

المصنوعات  
دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر  
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥  
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب  
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري  
صاحبها ورئيس تحريرها: أحمد الجايسر

للإشتراك (السنوي)  
٧٥ ريالاً للأفراد و ١٥٠ ريالاً لغير الأفراد  
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة  
عن الجزء: ١٣ ريالاً

ج ٣ ، ٤ س ١٨ رمضان ، شوال ١٤٠٣ هـ - تموز/آب (يوليو/أغسطس) ١٩٨٣ م

## العلّاء بن الحَضْرَمِيّ

أول أمير للمنطقة الشرقية (البحرين)  
في العهد الاسلامي

[محاضرة أقيمت في (جامعة الملك فيصل) في القمام، ليلة الاثنين ١٤٠٣/٤/٣ - ١٩٨٣/١/١٧]

حين أكرمني الأستاذ الدكتور القحطاني مدير هذه الجامعة الكريمة بالدعوة للتحدث في موسمها الثقافي لهذا العام استجبت بل سارعت، لأنني سأجتمع بإخوة وبأبناء أعتز حقاً بمعرفتهم وأرتاح لمحدثهم وهما أمران قد أستفيد بهما أكثر مما أفيد.

ولهذا فانا حين أتحدث إلى هؤلاء الإخوة وأثق بأن حديثي قد لا يضيف جديداً في موضوعه، ولكنه لا يخلو من فائدة التذكير بأمور لها صلة بتاريخ هذا الجزء الحبيب من بلادنا ونحن في كل وقت بحاجة إلى التذكير.

ومعلوم أن حياة أمتنا الحاضرة ترتبط بماضيها المجيد للقدوة الحسنة والتأسي بالأفعال الصالحة.

ولهذا حاولت عرض سيرة أول رجل في الإسلام كان له الأثر الحميد في تاريخ هذه البلاد كما تحدثت عنها قبل أربعين عاماً<sup>(١)</sup>.

إنه الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي ، أول أمير لهذه البلاد المعروفة قديماً باسم  
(البحرين) <sup>(٢)</sup> .

والرجال الذين يهبهم الله في هذه الحياة من المقدرة والتفوق ما يصبح به الفرد منهم  
ممتازاً على غيره، في عمل واحد من الأعمال كثيرون، أما الذين تتوفر فيهم صفات كثيرة  
عظيمة تؤهلهم لأن يقوموا بأعمال خالدة متعددة، فقليل ما هم، ومنهم العلاء السفير  
الموفق، والأمير العادل والقاتح العظيم، إنه بحاجة إلى من يحلو سيرته من جميع جوانبها  
بمؤلف شامل، إذ ما سأحدث به عنه ما هو سوى لمحات موجزة من تلك السيرة العطرة.

### أسرة الحضرمي :

الحضرمي نسبة لبلاد حضرموت أحد أجزاء وطننا الكريم، واسم الحضرمي عبدالله  
بن عماد من قبيلة الصّدف القحطانية التي أوضح أنسابها علامة اليمن الحسن بن أحمد  
الهمداني في كتابه «الاكلیل» <sup>(٣)</sup> .

وآل الحضرمي هؤلاء سكنوا مكة قديماً، وعُرفوا بوفرة العدد وكثرة المال، وقد حالف  
جدهم الحضرمي وهو - عبدالله بن عماد - حُرْبُ بن أمية بن عبد شمس - أبا أبي سفيان  
وجداً معاوية - فأصبح ذا مكانة سامية في قريش دفعت رؤساءهم إلى تقديره وإجلاله،  
والتسابق إلى مصاهرته وترئيس أبنائه في كثير من رحلاتهم التجارية وغيرها من الأمور.

وعرف من هذه الأسرة عدد من المشاهير منهم ميمون صاحب بئر ميمون التي كانت  
في أبطح مكة المكرمة، وكان الناس يستعذبون منها الماء، ويرى بعض المفسرين أن الآية  
الكريمة من سورة تبارك ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوَكُمْ غُورًا فَمِنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ نزلت  
في هذه البئر، ولم يكن بمكة في الجاهلية لقريش ماء شروب غيرها <sup>(٤)</sup> . قال الأزرقي في  
كتاب «أخبار مكة» <sup>(٥)</sup> : وكان الماء العذب بمكة عزيزاً لا يوجد إلا للإنسان يستعذب له  
من بئر ميمون، وخارج مكة.

وفيها يقول عمرو بن ثعلبة الحضرمي ويذكر صلة قومه بقريش :

وهم حفروا البئر التي طاب ماؤها بمكة والحجاج ثم شهود  
عقدنا بِحَبْلِيْ عبد شمس وهاشم حبال وفاء أسرهن شديد  
لعبد مناف كل حلف مؤكد بمكة ينمى عزة ويزيد  
حللنا بها في عصر تبع لم تزل لنا منذ كنا ثروة وعديد  
موارث من قحطان طابت فروعها ومجد قديم ما نراه يبيد  
وكان للحضرمي من الولد سبعة عشر: أربعة عشر رجلاً، وثلاث نسوة من  
أشهرهم:

عمرو بن الحضرمي الذي كان أميراً لِعَيْرِ قريش التي حدثت معركة بدر بسبب  
أخذها، وقتل ابن الحضرمي فكان أول قتل من المشركين، ومال تلك العير كان أول  
مال غنمه المسلمون.

وعامر بن الحضرمي الذي حَرَضَ قريشاً يوم بدر على القتال أخذاً بثأر أخيه عمرو،  
فصرخ فيهم: (واعمره!! واعمره) فحميت الحرب فقتل في تلك الواقعة هو وأخوه  
الحارث<sup>(٦)</sup>.

والصعبة بنت الحضرمي تزوجها أبو سفيان بن حرب ثم طلقها فتزوجها عبيد الله بن  
عثمان التيمي القرشي فولدت له طلحة أحد المبشرين بالجنة من أصحاب الرسول صلى  
الله عليه وسلم والصعبة صحابية جليلة كان لها موقف في الحث على الدفاع عن الخليفة  
عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كان محصوراً.

أما أرفع أبناء الحضرمي قدراً، وانبهم ذكراً، فهو الصحابي الجليل العلاء بن  
الحضرمي.

اسلام العلاء :

أسلم العلاء قديماً، ولهذا يعد من سادات المهاجرين<sup>(٧)</sup>، وروى بعض العلماء خبراً  
طريفاً عن وفادته، فقد جاء في كتاب «شرح الحماسة» للتبريزي<sup>(٨)</sup> : وفد العلاء بن

الخصمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له «أتقرأ من القرآن شيئاً؟» قال نعم. فقرأ (عبس وتولى) وزاد فيها من عنده: هو الذي أخرج من الحبل، نسمة تسعى، بين شراسيف وحشاً، فصاح به رسول الله صلى الله عليه وسلم «كف فان السورة كافية» ثم قال: «هل تقول من الشعر شيئاً؟» قال نعم قال: «أنشدني، فأنشده:

حي ذوي الأضغان تسب عقولهم نحية ذي الحسنى فقد يرقع النفل  
وان دحسوا بالكره فاعف كربه وان حبسوا عنك الحديث فلا تسك<sup>(٩)</sup>  
فان الذي يؤذيك منه سماعه وان الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ان من الشعر لحكماً، وان من البيان لسحراً».

وقد بلغ العلاء من الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة سامية بحيث اختاره من كتابه.

#### سفارته :

بعد أن انتشر الدين الإسلامي في شبه جزيرة العرب وأسلمت أكثر القبائل اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم لإرسال سفراء إلى ملوك الأمم، والكتابة إليهم لدعوتهم للدخول في الإسلام، وقد اختار للسفارة رجالاً اتصفوا بصفات تؤهلهم لأن يقوموا بما أسند إليهم قياماً مرضياً، فاخترهم بين أصحابه من ذوي اللياقة خلقاً وخلقا، كما يفهم من قول ابن عساکر في تاريخ دمشق<sup>(١٠)</sup> فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم، ومن هؤلاء السفراء دحية بن خليفة الكلبي من قبيلة كلب التي تعيش متاخمة لحدود الشام القريبة من مملكة قيصر، ودحية ممن وهبهم الله وسامة ووضاعة، بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ملك الروم.

ومنهم عبدالله بن حذافة السهمي أرسله إلى كسرى ملك الفرس.

وأرسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة.

وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الاسكندرية.

وأرسل عمرو بن العاص الداهية العظيم والسياسي المحنك الذي جاب كثيراً من الأقطار كالشام ومصر والحبشة واليمن ونجد إلى ملكي عمان.

وأرسل سليط بن عمرو إلى ملك اليمامة هوذة بن علي الحنفي.

وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى ملك الشام من قبل قيصر.

وأرسل المهاجر بن أمية المخزومي إلى ملك اليمن من قبل الفرس.

وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى ملك البحرين من قبل الفرس.

وقد قام كل واحد من هؤلاء السفراء بأداء مهمته، وإذا صح أن تقاس أقدار الرجال بآثار أعمالهم، فالعلاء هو أجملهم خطراً، وأعظمهم أثراً في هذا العمل المجيد، فقد سار إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى العبدي، ودفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتضمن لدعوته إلى الإسلام، وقد كتب الله للمنذر السعادة بقبول تلك الدعوة، فأرسل جواباً للرسول صلى الله عليه وسلم هذا نصه: «أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إليّ في ذلك أمرك»<sup>(١١)</sup>. فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح إنما ينصح لنفسه وان من يطع رسلي ويبلغ أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم نصح لي، وان رسلي قد أثنوا عليك خيراً، واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية).

كما كتب إلى مرزيان هجر - وهو الرئيس من قبل الفرس - في هذه البلاد فأسلم.

### استجابة أهل هذه البلاد للدعوة الإسلامية:

لقد سارع سكان هذه البلاد للاستجابة للدعوة الإسلامية فأرسلوا وفداً إلى الرسول

صلى الله عليه وسلم فاستقبل وفدهم استقبالاً حسناً وكتب معهم كتاباً إلى أهل هجر يحثهم على الطاعة، ويحذرهم من المخالفة،، وولى العلاء بن الحضرمي بلاد البحرين وأشرك المنذر بن ساوى في الولاية لحسن استجابته، ولمعرفته بأحوال هذه البلاد، لكونه من أهلها، وهكذا أصبح هذا القطر المترامي الأطراف الكثير المدن والسكان، الوافر الخيرات جزءاً من المملكة الإسلامية منذ عهد الرسالة.

وللباحث أن يعلل نجاح العلاء في سفرته هذه - بعد توفيق الله له - بأن تلك البلاد يسكنها أخطا من الأمم، من العرب والفرس وغيرهم وتسيطر عليهم دولة أجنبية بلغ ولايتها من الاستبداد والظلم والتهاون بشؤون الرعية الغاية، في وقت أدرك تلك الدولة من أسباب الاختلاف والفوضى والضعف ما شغل حكامها عن الاهتمام بِتَصَرُّفِ ولايتهم بحيث صار هؤلاء الولاة مصدر عسف وقهر وظلم لسكان هذه البلاد، فصاروا يتطلعون إلى ما ينقذهم مما هم فيه، وראوا في تعاليم الإسلام ما دفعهم إلى المسارعة في قبولها لا سيما والنفوذ في هذه البلاد لسكانها من العرب الذين هم أبعد الأمم انقياداً لمن ليس منهم.

#### إمارة العلاء :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم للعلاء عهداً بإمارة البحرين، بجانب المنذر بن ساوى<sup>(١٢)</sup> وضمن ذلك العهد التعاليم التي يسير عليها العلاء في معاملة أهل تلك البلاد، فسار سيرة عادلة مرضية وصالح السكان على الخراج والجزية، ممن بقي على دينه، وقدر ذلك تقديراً لا ضرر فيه، وفرق الزكاة التي يدفعها أغنياء تلك البلاد على الفقراء وأرسل الخراج إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت وجوه الجباية في هذه البلاد في ذلك العهد:

- ١ - الزكاة وتؤخذ من المسلمين من الأغنياء وترد على الفقراء.
- ٢ - الجزية من اليهود والنصارى والمجوس، من كان بالغ دينار - لبيت المال.
- ٣ - الخراج من غير أرض المسلمين ممن صالحهم العلاء على أن يقوموا بالعمل - من زرع واصلاح نخل - ولهم نصف الثمرة، ونصفها خراج يؤخذ منهم لبيت مال المسلمين.

وكان لانضواء هذا القطر تحت لواء الاسلام أثر كبير في الحياة الاقتصادية للدولة الإسلامية التي كانت في دور النشوء وكانت محدودة الموارد.

ولقد كان أول مال حمل إلى المدينة من هذه البلاد<sup>(١٣)</sup>.

ويختلف المؤرخون في مقداره فابن حبيب في كتابه «المحبر» يقول: انه سبعين ألفاً والمسعودي يقدره بثمانين ألف درهم، وفي كتاب «نيل الأوطار»<sup>(١٤)</sup> أنه كان مئة ألف وبلغ في إحدى السنوات مئة وخمسين ألف دينار - كذا ورد النص - وبلغ خمس مئة ألف درهم، ولعل هذا الاختلاف ناشىء عن اختلاف مقدار المال الذي يرسل إلى المدينة في كل سنة في عهد الرسالة.

### هل عزل العلاء عن الامارة؟

روى ابن سعد في الطبقات<sup>(١٥)</sup> أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى العلاء أن يقدم بعشرين رجلاً من عبد القيس، فقدم بهم واستخلف المنذر بن ساوى، فشكا الوفد العلاء فعزله.

وفي السنة التاسعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن حسان البكري من قبيلة بكر بن وائل التي تسكن في ذلك العهد نواحي البحرين، قدم يشكو العلاء<sup>(١٦)</sup>.

ولم أرفيا اطلعت عليه من الكتب ما يوضح سبب هذه الشكوى، وإنما ذكر بعض المؤرخين أن الرسول صلى الله عليه وسلم عزل العلاء وولى أبان بن سعيد بن العاص مكانه قال ابن عبد البر: <sup>(١٧)</sup> واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبان بن سعيد بن العاص على البحرين برها وبحرها إذ عزل العلاء بن الحضرمي عنها، فلم يزل عليها أبان إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكنه يقول في موضع آخر في ترجمة العلاء<sup>(١٨)</sup>: (ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليها فافقره أبو بكر خلافته كلها).

وابن هشام يروي في «السيرة» عن أجل علمائها وهو محمد بن اسحاق قوله (١٩) :  
(وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى  
العبدى فأسلم ثم هلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ردة أهل البحرين،  
والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين).. وأورد مثل هذا ابن  
جرير إمام المؤرخين، كما أورده ابن الأثير (٢٠).

وحين عد ابن حبيب في «المحبر» أمراء الرسول صلى الله عليه وسلم قال (٢١) : (أبان  
بن سعيد على الخط في البحرين والعلاء الحضرمي حليف سعيد بن العاص على القطيف  
بالبحرين).

ومع ما في هذه الجملة من اضطراب في المعنى إذ القطيف من الخط، إلا أنه يفهم  
منها أن الرجلين كانا في تلك البلاد حين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. ولكن  
البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» في الكلام على البحرين أورد: وقوم يقولون أن العلاء  
كان على ناحية من البحرين منها القطيف وأبان على ناحية فيها الخط، والأول أثبت.  
يعني عزل العلاء.

والذي يظهر لي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل أبان بن سعيد بن العاص لجباية  
الخراج، فمات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو هناك، فحصل التباس عند بعض الرواة  
فظن أنه أمير، ومن أولئك الواقدي وكتابه ابن سعد صاحب «الطبقات» وقبلها المسور  
بن مخزومة رضي الله عنه (٢٢).

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل إلى البلاد من يأتيه بخراجها وجزيتها، فقد  
أرسل أبا عبيدة كما أرسل قدامة وأبا هريرة لذلك الغرض (٢٣).

ولعل مما يؤيد هذا أن أبا بكر الصديق أعاد العلاء إلى إمارة البحرين وهو أجل قدراً  
من أن يعيد من عزله الرسول صلى الله عليه وسلم، ما لم يتحقق زوال سبب العزل.

### العلاء في حروب الردة:

لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ارتد أهل البحرين فأما عبد القيس ففأنت إلى



الاسلام بدعوة رئيسها الجارود بن المعلى العبدى، وأما ربيعة فتمت على ردتها بقيادة الحطم بن ضبيعة من بني قيس بن ثعلبة مع من اتبعه من المرتدين ومن تجمع إليهم ممن يزل كافراً، فكان من أعماله:

١ - سار حتى نزل القطيف واستغوى من فيها ممن ارتد أو لم يسلم من العرب والزط والسياحجة.

٢ - أرسل بعثاً إلى دارين ليحول دون وصول بني عبد القيس.

٣ - أرسل جيشاً إلى جواثا فحصر من فيها من المسلمين حتى اشتد عليهم الحصار وفي ذلك يقول عبدالله بن حذف الكلبي:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا وفتيان المدينة اجمعينا  
فهل لكم إلى قوم كرام قعود في جواثا محصرينا  
كأن دماءهم في كل فج شعاع الشمس يغشى الناظرينا

ولما أرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجيوش لحرب المرتدين عقد للعلاء ابن الحضرمي لواءً وسيره أمير جيش إلى البحرين وأمره عليها بعد تخليصها، فسار العلاء من المدينة معه نفر قليل فربلاد البمامة فانضم إليه سيد أهلها ثمامة بن أثال ومعه من أسلم منهم، ثم مربي بني تميم فانضم إليه قيس بن عاصم وغيره من رؤساء بني تميم وقومهم من الأبناء وبني عمرو، وبني سعد، وسار العلاء بمن معه فر بالدهناء فلما كان في محبوبحتا بين الحنانات والعزافات نزل بالجيش، فنفرت الإبل في (٢٤) جوف الليل، وقبل أن يحط عنها ما عليها من الزاد والماء، فاغتم القوم لذلك، وخشوا من الهلاك ظمأً في صحراء الدهناء، ولكن العلاء برز في هذا الموقف رابط الجأش ثابت القلب، فجمعهم وحادثهم حتى اطمأنوا، ويحيط بعض المؤرخين هذا الخبر بالتهويل والمبالغة في شأن الدهناء فينسبون إلى لقمان أنه نهى عن الحفر فيها عن الماء قائلاً: لا تبلغها الأرشية. وأن الله أكرم العلاء بوجود غدير ارتوى منه القوم واغتسلوا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل بما عليها.

وإكرام الله لعباده لا حد له، ولكن جرت عادة بعض المؤرخين المبالغة في بعض مواقف ذوي البطولات كما سيأتي عند ذكر خوض البحر إلى جزيرة دارين.

### حصار جوثا :

لا تفصل الكتب التي بين يدي ما جرى لجيش العلاء لما وصل إلى مشارف بلاد البحرين، ولا حين اجتاز سوادها حتى بلغ هجر، ومنها سار لفك الحصار عن جوثا، الواقعة في الناحية الشرقية من السواد، ويظهر أن الجيش لم يجد فيها مربه مقاومة، لأن سكان البلاد في جهتها الغربية بنو سعد بن زيد مناة وهم ممن شارك في هذا الجيش بقيادة ومحاربين، وفي وسطها بنو عبد القيس، ممن فاء الإسلام قبل وصول الجيش، ومنهم من هو محاصر في جوثا بسبب ثباته على الإسلام.

وسار العلاء بجيشه، حتى نزل جوثا، وأرسل الجارود ومن معه من قومه لينزل - على ما يذكر المؤرخون - مما يلي الحطم، وسار العلاء بجيشه حتى نزل على الحطم مما يلي هجر<sup>(٢٥)</sup> ومفهوم هذا أن جيش العلاء طوق جيش المرتدين المحاصر لبلدة جوثا من ناحية الجنوب، حيث مدينة هجر، ومن ناحية الشمال، لصد الامدادات التي قد تأتي من بلاد القطيف.

ويذكر البلاذري<sup>(٢٦)</sup> أن العلاء لما نزل جوثا دلفت إليه ربيعة، فخرج إليها بمن معه من العرب والعجم فقاتلها قتالاً شديداً ثم إن المسلمين لجأوا إلى الحصن فحصرهم فيه عدوهم ففي ذلك يقول عبدالله بن حذف:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا      وفتيان المدينة أجمعينا  
- الأبيات المتقدمة -

ثم إن العلاء خرج بالمسلمين ذات ليلة فبيت ربيعة، فقاتلوا قتالاً شديداً، وقتل الحطم.

وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «مختصر السيرة»<sup>(٢٧)</sup> أن العلاء نزل

بحصن جواثا، وأن مخارقاً نزل بمن معه من بكر بن وائل حصن المشقر، فسار إليهم العلاء  
فيمن اجتمع إليه فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى كثر القتلى في الفريقين، والجارود بن المعلى  
بالخط يبعث البعوث إلى العلاء.

ويبعث مخارق الحطم بن شريح أحد بني قيس بن ثعلبة إلى مرزيان الخط يستمده،  
فأمده بالأساورة فترل الحطم ردم القداح، وكان حلف أن لا يشرب خمرأ حتى يرى  
هجر.

وأخذ المرزيان الجارود عنده رهينة.

وسار الحطم وأبجر العجلي بمن معها حتى حصروا العلاء بجواثا، فقال عبدالله بن  
حذف (الشعر المتقدم).

فكثوا على ذلك محاصرين - فسمع العلاء وأصحابه لغطاً في العسكر، فقالوا: لو  
علمنا أمرهم فقال عبدالله بن حذف: أنا أعلمكم، فدلوه بجبل - فوجدتهم - سكارى  
كان نزل بهم تجار معهم خمر فاشتروا منهم، فترلوا إليهم فييتوهم فلم يفلت منهم أحد،  
وقتل الحطم.

ونقل البلاذري عن ابن الكلبي أن الحطم أتى ربيعة وهو بجواثا وقد كفر أهلها  
جميعاً، فأقام معهم فحصرهم العلاء حتى فتح جواثا وفض ذلك الجمع وقتل الحطم.  
ثم قال: والخبر الأول أثبت وهنا اشكالان:

أولها: تقدم ان المحاصرين من عبد القيس قبل وصول العلاء فهل حدث لجيش  
العلاء بعد فك الحصار عن أولئك أن حوَصِر في جواثا مرة ثانية؟، ليس هذا ببعيد، فقد  
ذكر البلاذري<sup>(٢٨)</sup> أن العلاء كتب إلى أبي بكر الصديق يطلب منه مدداً، فكتب أبو  
بكر إلى خالد بن الوليد يأمره بالنهوض إليه من اليمامة وانجاده، فقدم عليه وقد قتل  
الحطم، فحصر معه الخط.

ومفهوم هذا أن العلاء طلب المدد عند منازلة المرتدين في موقعة جواثا، قبل انتصاره  
وقتل الحطم في تلك الموقعة.

والثاني: خبر ابن الكلبي يدل على أن المحاصرين في جواثا هم المرتدون، ولكن البلاذري رأى الخبر الذي قبله أثبت منه. وما يستفاد منه تحديد أول وقعة جرت بين جيش العلاء وبين المرتدين وأنها كانت في جواثا<sup>(٢٩)</sup>.

يفهم من النصوص المتقدمة أن المرتدين اختاروا قاعدة لهم حصن المشقر في مدينة هجر وموقع هذا الحصن على وجه التقريب شرق عين الجوهريّة، فيما بينها وبين جبل القارة، وفي هذا الموضع كانت تقع مدينة هجر قاعدة الاقليم في ذلك العهد.

وهذا الموقع لا يبعد كثيراً عن موقع جواثا بالنسبة للمحاربين، ومن هنا يتضح معنى اختيار العلاء ناحية الجنوب من جواثا مقرأ لجيشه، لكي يفصل بين هذه البلدة وبين هجوم من في حصن المشقر.

ودامت المناوشة بين الفريقين نحواً من شهر، وكانت الخنادق تحول بين الجيشين، غير أن المرتدين استطاعوا محاصرة جواثا لكثرتهم حتى اضطر العلاء الى الاستنجاد بأبي بكر ولكنه انتصر قبل مجيء المدد، كما تقدم.

وكان فيما كتب العلاء إلى الصديق عن موقعة جواثا: (أما بعد فإن الله تبارك اسمه سلب عدونا عقولهم وأذهب ريحهم بشارب أصابوه من النهار، فافتحمنا عليهم خندقهم فوجدناهم سكارى، فقتلناهم، وقد قتل الله الحطم).

#### الخط - القطيف - الزارة:

لا شك أن المرتدين كانوا رموا بقوتهم لمحاصرة العلاء، وأنه بانتصاره في موقعة جواثا قضى على تلك القوة، فانقادت له قاعدة البلاد وهي هجر، فاتجه بعد ذلك إلى الخط، والخط المدن التي تقع على الشاطئ، وأشهرها القطيف، ومدينته إذ ذاك الزارة وكانت ذات شأن في عهد الفرس، ولها وال، غير والي هجر، ولذلك اتخذ منها المرتدون قاعدة لتجمعهم قبل وصول العلاء، فلما كتب النصر له، اتجه لمحاربة المرتدين في الخط وقبل ذلك أرسل رجالاً من مشاهير القواد منهم المثني بن حارثة الشيباني وغيره، لكي يحولوا دون وصول إمدادات للعدو، وتقدم أن المرتدين من قبيلة ربيعة ومن تابعهم من سكان

البلاد القدماء ممن جمعهم الحطيم بن ضبيعة من بكر بن وائل من أهل الخط من الزط والسيابجة (٣٠).

وقبيلة ربيعة كانت منتشرة في البحرين وتمتد بلادها إلى سواد العراق، ولهذا خشي العلاء أن يأتي مدد من هذه الجهة التي تنتشر فيها قبيلة ربيعة.

فلما أيقن أنه لن يؤتى من خلفه بشيء يكرهه اتجه إلى الخط حتى بلغ مدينة الزارة وقد اجتمع بها المجوس الذين امتنعوا عن دفع الجزية ومن انضم إليهم بقيادة المكعب الفارسي واسمه فيروز بن جشيش، وكان من مشاهير قواد الفرس وجهه كسرى لقتال بني تميم حين أخذوا عيره.

ولقوة هذه المدينة حاصرها العلاء ولم يستطع فتحها حتى خرج رجل من أهلها طالباً الأمان من العلاء على أن يدل على مجرى العين التي يشرب منها أهل الزارة، فلما أرشدهم إلى المجرى سد عنهم الماء فاضطروا للمصالحة على أن للمسلمين ثلث المدينة وثلث ما فيها من ذهب وفضة وعلى أن يأخذوا النصف مما كان لهم خارج المدينة (٣١)، وذلك بعد قتل مرزبانها قبل الصلح، فقد دعا إلى البراز فبارزه البراء بن مالك أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله، وأخذ سلبه الذي قوم بأربعين ألف درهم، فأمر عمر بأن يخرج خمسه وهو أول سلب خمس في الإسلام، لأن سلب القتيل قبل ذلك لقاتله. ويظهر أن من أسباب طول حصار المدينة أن أهلها أرسلوا ذراريهم إلى جزيرة دارين فلم يبق سوى من هو متأهب للقتال.

وذكر المؤرخون أن العلاء فتح من قرى الخط السابون والغابة.

وكان فتح الزارة في عهد عمر رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر.

جزيرة دارين :

هي الجزيرة المعروفة الآن باسم جزيرة تاروت ولها شهرة قبل الإسلام باعتبار مينائها من أشهر الموانئ في الخليج، ويظهر أن اسم تاروت كان يطلق على القسم الشمالي الشرقي

من الجزيرة في القديم، وفي عهدنا شمل الجزيرة وتقلص اسم دارين في طرفها الغربي والجنوبي.

بعد أن استولى العلاء على الزارة وهي قاعدة الخط، واطمأن إلى أنه لن يؤتى من خلفه اتجه للقضاء على الفلول التي تجمعت في جزيرة دارين، وكان فيما خطب به قومه: (ان الله جمع لكم أحزاب الشياطين وشرد الحرب في هذا البحر فانهضوا إلى عدوكم، ثم استعرضوا البحر إليهم فان الله قد جمعهم). (٣٢).

ويبالغ بعض المؤرخين حين يتحدثون عن خوض البحر إلى جزيرة دارين لأنهم يتصورنها بعيدة عن الساحل بحيث أن بعضهم في عصرنا وضعها في خليج عمان (٣٣)، وتمحل لوصول جيوش العلاء إليها أسباباً حين رأى غيره من المتقدمين يعلل ذلك تعليلاً بعيداً عن الواقع ويعدون ذلك من كرامات العلاء.

والمخاضة إلى الجزيرة كانت معروفة إلى عهدنا، فحين يحزر البحر يبقى الماء ضحضاها والأرض قريبة، فيسير الناس على الدواب إلى الجزيرة، وقد ردم البحر الآن فاتصلت الجزيرة بمدينة القطيف: كالميتور عدم رمدى

وقد ذكر البلاذري وهو من قدماء المؤرخين أن العلاء دُلَّ على طريق الخوض إلى تلك الجزيرة قال: (ودله كراز النكري - من نكرة من عبد القيس - على المخاضة إليهم، فتقحم في جماعة من المسلمين البحر، فلم يشعر أهل دارين إلا بالتكبير، فخرجوا، فقاتلوهم من ثلاثة أوجه، فقتلوا مقاتلتهم، وحووا الذراري والسبي، ولما رأى المكعب ذلك أسلم) (٣٤).

وفي «مختصر السيرة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣٥): أن العلاء ضيق على أهل دارين، وقاتلهم قتلاً شديداً، فطلب مخارق البكري - من بكر بن وائل - أن يخلي عنه ومن معه، فخلي عنهم العلاء، فعادوا إلى بلادهم وأن أهل دارين طلبوا الصلح فصالحهم العلاء على ثلث ما في أيديهم من أموالهم، وما كان خارجاً منها فهو له.

## فترة غامضة في حياة العلاء :

توفي الخليفة أبو بكر - رحمه الله - في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، والجيش الإسلامي بقيادة العلاء يحاصر مدينة الزارة، ثم استولى عليها في خلافة عمر. فواصل العلاء تتبع فلول المرتدين في دارين وغيرها حتى قضى عليها، ثم لما استقرت الأحوال في بلاد البحرين كان لا بد للعلاء من الذهاب إلى المدينة لمقابلة الخليفة.

وهنا تبدأ فترة غامضة من حياة العلاء، فقد عزله عمر عن إمارة البحرين، ويظهر أن هذا العزل كان في السنة الرابعة عشرة من الهجرة، لأن شيخ المؤرخين ابن جرير حين ذكر ولاية البحرين في هذه السنة عد عثمان بن أبي العاص أولاً، ثم قال: وقيل: العلاء بن الحضرمي، ولكنه عند ذكر السنة الخامسة عشرة يذكر عثمان بن أبي العاص - مفرداً - والياً على البحرين وعلى اليمامة<sup>(٣٦)</sup>. ثم في سنة ست عشرة يقول عن عمال عمر فيها: (وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي)<sup>(٣٧)</sup> على اختلاف بين المؤرخين في ذكر السنوات التي تولى فيها إمارة البحرين في عهد عمر، وفي ذكر الولاة الذين شغلوا هذه الفترة، ولعل ما ذكره ابن جرير أعدل الأقوال، وأن من أولئك الولاة من لم يطل عهده، كقدامة بن مظعون. مركز تحقيق كاتوير علوم إسلامي

ومهما يكن الأمر فقد رأى الفاروق إعادة العلاء لولاية ذلك القطر، كما فعل الخليفة قبله على رأي من يرى أنه كان معزولاً في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن أهل البحرين طلبوا إعادته إليهم، فلم يطل عهده بعد عودته.

## العلاء يجهز الجيوش لغزو فارس :

يرى بعض المؤرخين - كالامام ابن جرير - أن العلاء كان يباري سعداً لصدع صدعه القضاء بينهما، فطار العلاء على سعد في الردة بالفضل، فلما ظفر سعد بالقادسية وأزاح الأكاسرة عن الدار، وأخذ حدود ما يلي السواد، استعلى، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به، سرّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم، فرجا أن يدال كما قد كان أدبل، ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجحد، وكان أبو بكر قد استعمله،

وأذن له في قتال أهل الردة واستعمله عمر، ونهاه عن البحر.

والواقع أن المرء لا يستطيع الجزم بالغاية التي دفعت العلاء إلى المغامرة بأن يكون أول من يقتحم البحر لغزو دولة الفرس في عقر دارها. فهو ذو همة وطموح، ومكنه في بلاد البحرين مكنه من معرفة كثير من أحوال تلك الدولة، يضاف إلى هذا أن التنافس في الخير من الأمور المحمودة ولعل ثقته بأن عمله في مصلحة المسلمين هو الذي دفعه للإقدام قبل استشارة الخليفة.

ولعله قام ببعض المحاولات الأولى - في هذا السبيل - فكان النجاح حليفه.

قال ياقوت في كلامه على (فارس) (٣٨) : وأما فتح فارس فكان بدؤه أن العلاء وجه عرفجة بن هرثمة في البحر، فعبر إلى أرض فارس، ففتح جزيرة مما يلي فارس، فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه. ثم ذكر خبر عزله.

والغريب في الأمر أن المؤرخين يكادون يجمعون على أن غزو العلاء بلاد فارس بحراً هو الذي أثار سخط الخليفة حتى عزله. قال ابن جرير (٣٩) : كان معاوية كتب إلى عمر في غزو البحر يرغبه فيه، ويقول : يا أمير المؤمنين، إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص.

فكتب عمر إلى عمرو بن العاص : أن صف لي البحر. فكتب إليه : يا أمير المؤمنين، أني رأيت خلقاً عظيماً، يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، وإنما هم كدود على عود، إن مال غرق وإن نجا يرق. فقال عمر : لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً، وكتب إلى معاوية كتاباً جاء فيه : فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب، وتالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي وقد تقدمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء مني، ولم أتقدم إليه في مثل ذلك.

ثم إن من المؤرخين من يروي : أن عمر كتب (٤٠) إلى عثمان بن أبي العاص - وهو أمير على البحرين - أن يعبر إلى فارس بنفسه، فاستخلف أخاه المغيرة، وعبر إلى فارس، ومدينة توج، وجعل يغير على بلاد فارس، وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بمظاهرة



عثمان بن أبي العاص على أرض فارس فتتابعت إليه الجيوش حتى فتحت.

فهل رجع عمر عن رأيه الأول؟

قد يقال: بأن الجيوش الإسلامية قضت على أعظم قوة للدولة الفارسية في المعارك التي حدثت في سواد العراق - كالكادسية - فلم يبق إلا أن تواصل زحفها للتوغل في بلاد فارس من مختلف الجهات، آمنة من مجابهة قوية، ولهذا أذن الفاروق في غزو فارس من جهة البحر.

في السنة السابعة عشرة حث العلاء أهل البحرين لغزو بلاد فارس، وقد سمعوا بما أحرزته الجيوش الإسلامية من انتصارات في حروب العراق، فتسارعوا إلى الاستجابة لدعوة العلاء حتى اجتمع لديه جيش عظيم، فرقه إلى ثلاث فرق، وولي قيادته خلود بن المنذر بن ساوى وأمر على إحدى الفرق الجارود بن المعل، وعلى الأخرى سوار بن همام - وهما من مشاهير عبد القيس.

عبرت الفرق الثلاث إلى بلاد فارس. ولم توضح الكتب التي اطلعت عليها الطريق الذي سلكته حتى بلغت تلك البلاد، ويظهر أن الجيش لم يجد مقاومة فتوغل في البلاد إلى اصطخر على ما ذكر المؤرخون<sup>(٤١)</sup> - واصطخر اسم كورة قاعدتها مدينة تسمى بهذا الاسم، وتقع المدينة هذه شرق مدينة شيراز، التي كانت قصبة بلاد فارس في ذلك العهد<sup>(٤٢)</sup>.

ولعل المقصود باسم اصطخر الذي بلغه الجيش حدود الكورة لا المدينة، المتوغلة في بلاد فارس، البعيدة عن البحر، فقد جاء في سياق خبر الجيش - عند ابن جرير -: فخرجوا في اصطخر، وبازائهم أهل فارس، فاجتمعوا، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع يدعى طاووس، فصارت الهزيمة على جيش المسلمين، ولكنهم صابروا - ولم يجدوا للرجوع سبيلاً - حتى وافاهم المدد من أمير البصرة عتبة بن غزوان، حين كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب: <sup>(٤٣)</sup> ان العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس، وعصاني وأظنه لم يرد الله بذلك،

فخشيت عليهم ألا ينصروا وأن ينشبوا، فاندب إليهم الناس، واضممهم إليك من قبل أن يحتاجوا.

### نهاية العلاء :

يقول الشاعر القطامي :

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي، ولأم المخطيء الهبل  
لقد غضب الخليفة على العلاء فعزله.

وظاهر أن سبب العزل تغريره بالجيش، ومخالفة أمر الخليفة في عبور البحر، وكان عمر قاسياً في معاملة عماله كما فعل بخالد بن الوليد فلم يكتف رحمه الله بعزل العلاء، بل أمره بأثقل الأشياء عليه، تأمير سبعت عليه<sup>(٤٤)</sup> وأعاد إلى البحرين عثمان بن أبي العاص.

أما ما ذكر بعض المؤرخين من أن عمر حين عزله ولاه البصرة بعد وفاة أميرها عتبة بن غزوان سنة ١٧، فأراه من قبيل تخفيف وقع خبر عزل العلاء، ومهما يكن الأمر، فقد امثل العلاء أمر العزل، وسار إلى جهة البصرة، ولكن أجله وافاه قبل وصوله إليها، لقد مات - رحمه الله - في طريق البحرين إلى البصرة، واختلف المتقدمون في سنة وفاته، فمنهم من حددها بالسنة التي عزل فيها وهذا أعدل الأقوال، ومنهم من يرى أنه عاش إلى سنة إحدى وعشرين.

وكما اختلفوا في سنة وفاته فقد اختلفوا في الموضع الذي توفي فيه من ذلك الطريق فابن سعد قال في الطبقات: فلما كانوا بلياس من الصعاب من أرض تميم مات العلاء<sup>(٤٥)</sup>. وقال البكري في «معجم ما استعجم»: تياس موضع في بلاد بني تميم وهو الذي مات فيه العلاء بن الحضرمي، وقبله قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب»<sup>(٤٦)</sup> رمل تياس فيه بئر العلاء بن الحضرمي - وكلمة بئر - تصحيف قبر.

أما ياقوت فأورد في «معجم البلدان» في موضعين أن العلاء مات في ذي قار، وفي موضع ثالث: مات في البحرين. ولكن من تقدم ياقوتاً من العلماء أعلم منه، والقول بأنه مات في تياس أرجح الأقوال.

وتياس - بكسر المشاة الفوقية وفتح المشاة التحتية بعدها ألف فسين مهملة، اسم يطلق على مواضع<sup>(٤٧)</sup>، منها تياس الواقع في الصعاب، وهي رمال في بلاد بني تميم، وهو الموضع الذي مات فيه العلاء، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم، يقع شمال مدينة الحفقي في داخل حدود الكويت، غرب الوفراء، في الشمال من نفوذ حما المعروف قديماً باسم الصعاب.

وهذا يوضح قول أبي هريرة عن العلاء فيما نقل الذهبي في «تاريخ الإسلام»: (مات فدفناه بالرمل، فلما سرنا غير بعيد قلنا: يحيى سبع فيأكله، فرجعنا فلم نره).

ومعروف أن الرمال تسفيها الرياح فتزول معالمها.  
ولكن آثار البطولة النافعة تبقى خالدة مدى الدهر.

حمد الجاسر

#### الحواشي :

- (١) أوردت طرفاً من أخباره في جريدة أم القرى بتاريخ ١٠، ١٧ جادى الثانية سنة ١٣٦٠ - يولي ١٩٤١.
- (٢) اسم البحرين يشمل المنطقة الممتدة شمالاً من كاظمة بقرب الكويت، إلى عمان جنوباً، ثم انحصر الاسم في جزيرة تعرف قديماً باسم (أوال).
- (٣) الاكليل ٣٢/٢ وما بعدها.
- (٤) الاكليل ج ٤٨/٢.
- (٥) ١١٤/١.
- (٦) «السيرة النبوية» لابن هشام ٦٢٣/١ إلى ٧٠٨.
- (٧) «سير أعلام النبلاء» ٢٦٢/١.
- (٨) ٢/١ طبعة مصطفى محمد بمصر.
- (٩) لعله وقد على الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة، إذ هو من أهل مكة.  
قوله: وإن دحسوا الدحس طلب الشيء على وجه الكره، وأصله أن يدخل الرجل يده بين جلد الشاة وصفاقها ليسلخها، وهو الاقصاد أيضاً. ومعنى البيت انهم إذا داخلوك في حديثك فاصفح عنهم ولا تفجر، وإن قطعوا عنك الحديث فلا تسألم عن سبب قطعه. والأبيات في «معجم الشعراء» للمرزباني ص ١٥٧ تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج.
- (١٠) ترجمة عبدالله بن حذافة السهمي.
- (١١) زاد المعاد: ٨١/٣، صبح الأعشى ٣٧٦/٦.
- (١٢) «الاصابة» (ترجمة العلاء).

- (١٣) كتاب «المهبر» لابن حبيب ص ٧٧، وكتاب «النتيه والإشراف للمسعودي» ص ٣٢٤.
- (١٤) ٣٣٤/٥.
- (١٥) القسم الثاني ٧٧/٤ طبعة أوروبا.
- (١٦) «تاريخ ابن جرير»: ٢١٨/١.
- (١٧) «الاستيعاب» ٧٥/١ هامش الإصابة، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في «مختصر السيرة» ص ٢٠٩: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل أبان بن سعيد على البحرين وعزل العلاء بن الحضرمي، فقال أبان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتداد أهل هجر: أبلغوني مأمني، فقالوا: لا نفعل فانت أعز الناس عندنا وهذا عليك فيه مقالة، يقال فر من القتال، فأبى وانطلق في ثلاث مئة رجل يملغونه المدينة، فقال له أبو بكر: ألا ثبت مع قوم لم يبدلوا ولم يرتدوا، فقال: ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- (١٨) ٥١٩/٢ هامش الإصابة.
- (١٩) «السيرة النبوية» ٥٧٦/٤ طبعة الحلبي.
- (٢٠) «تاريخ ابن جرير» ١٣٧/٣ طبعة دار المعارف بمصر و«اسد الغاية»: ٧/٤.
- (٢١) ٢٢٦ والعلاء حليف لحرب بن أمية عم سعيد بن العاص، وقد يعد حليفاً له تجوزاً.
- (٢٢) «سير أعلام النبلاء»: ٢٦٣/١.
- (٢٣) «الوثائق السياسية» ص ٦١، المعجم الجغرافي قسم المنطقة الشرقية ٦٨/١.
- (٢٤) «تاريخ ابن جرير»: ٣٠٦/٣ وما بعدها.
- (٢٥) «الكامل» لابن الأثير ٢٥٠/٢.
- (٢٦) «فتوح البلدان»: ١٠١/١ تحقيق المنجد.
- (٢٧) ٢١٠.
- (٢٨) «فتوح البلدان»: ١٠٣/١.
- (٢٩) أنظر عن جواتا كتاب «المنطقة الشرقية» ٤٣٢/١ إلى ٤٣٢.
- (٣٠) «فتوح البلدان» ٤٥٩ إلى ٤٦٣ تحقيق قاتر علوم راسدي.
- (٣١) «فتوح البلدان» ١٠٣ طبعة المنجد.
- (٣٢) «تاريخ ابن جرير» ٣١٠/٣.
- (٣٣) «الدكتور محمد حسين هيكل في كتاب «أبو بكر الصديق».
- (٣٤) «فتوح البلدان» ١٠٤ تحقيق المنجد.
- (٣٥) ٢١١.
- (٣٦) تاريخ ابن جرير ٩٧/٣ ٦٢٣/٥.
- (٣٧) المصدر: ٣٩/٤.
- (٣٨) «معجم البلدان» و«فتوح البلدان» ٤٧٦، «طبقات ابن سعد» القسم الثاني: ٧٨ طبع أوروبا - وفيها: (واتخذ فيها مسجداً وأغار على بارمجان والأسياف).
- (٣٩) ٢٥٩/٤.
- (٤٠) «معجم البلدان» رسم (فارس).
- (٤١) «تاريخ ابن جرير» ٨٠/٤ - وغيره.
- (٤٢) «بلدان الخلافة الشرقية».
- (٤٣) «تاريخ ابن جرير» ٨١/٤.
- (٤٤) «الكامل» لابن الأثير.

# أضواء على نظام المواخاة

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

بعد أن عقد الرسول ﷺ بيعة العقبة الأولى مع اثني عشر رجلاً من أهل المدينة، ونجاح مصعب بن عمير في المدينة، الذي كان يقوم بنشر الإسلام فيها، يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويُفقههم في الدين، ازداد الإسلام بعد هذه البيعة بالمدينة انتشاراً. وفي الأشهر الحرم لحق مصعب بمكة وقصَّ على الرسول ﷺ خبر المسلمين في المدينة، وما هم عليه من منعة وقوة، وأنهم سيجيئون إلى مكة موسم حج هذا العام الجديد أكثر عدداً وأعظم إيماناً<sup>(١)</sup>.

إن موقف عرب المدينة من الإسلام دعا الرسول ﷺ للتفكير في الهجرة إلى المدينة، وخاصة عندما علم أن أتباعه هناك يزدادون كل يوم عدداً وسلطاناً.

وفي سنة ٦٢٢ ميلادية كان الحاج من المدينة كثيرين، وكان من بينهم خمسة وسبعون مسلماً ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان<sup>(٢)</sup> فلما علم رسول الله ﷺ بمقدمهم، سارع فاتصل بزعمائهم سرّاً وعرف حسن استعدادهم، فواعدهم أن يلتقوا به عند العقبة. وهناك عُقدت البيعة التي أقر الرسول ﷺ بموجبها «أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسلم من سلمتم» وفي المقابل كان على أهل المدينة كما عبّر الرسول ﷺ أيضاً: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن تأكد الرسول ﷺ من صدق نيات عرب المدينة أمر أصحابه أن يتركوا مكة متفرقين يهاجرون فرادى أو نفراً قليلاً، لكن قريشاً فطنت للأمر، فحاولت أن تردّ



- (٤٥) القسم الثاني: ٧٩/٤ وكلمة (لباس) مصحفة صوابها: بتياس.  
وفي الاعلام للزركلي ٤٥/٥: (فات في الطريق في قرية لبني نعيم اسمها لباس) وهذا خطأ.  
(٤٦) طبع دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر.  
(٤٧) ذكرتها في كتاب المنطقة الشرقية: ٢٩٨/١.

# أضواء على نظام المواخاة

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

بعد أن عقد الرسول ﷺ بيعة العقبة الأولى مع اثني عشر رجلاً من أهل المدينة، ونجاح مصعب بن عمير في المدينة، الذي كان يقوم بنشر الإسلام فيها، يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويُفقههم في الدين، ازداد الإسلام بعد هذه البيعة بالمدينة انتشاراً. وفي الأشهر الحرم لحق مصعب بمكة وقصَّ على الرسول ﷺ خبر المسلمين في المدينة، وما هم عليه من منعة وقوة، وأنهم سيجيئون إلى مكة موسم حج هذا العام الجديد أكثر عدداً وأعظم إيماناً<sup>(١)</sup>.

إنَّ موقف عرب المدينة من الإسلام دعا الرسول ﷺ للتفكير في الهجرة إلى المدينة، وخاصة عندما علم أنَّ أتباعه هناك يزدادون كل يوم عدداً وسلطاناً.

وفي سنة ٦٢٢ ميلادية كان الحاج من المدينة كثيرين، وكان من بينهم خمسة وسبعون مسلماً ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان<sup>(٢)</sup> فلما علم رسول الله ﷺ بمقدمهم، سارع فاتصل بزعمائهم سرّاً وعرف حسن استعدادهم، فواعدهم أن يلتقوا به عند العقبة. وهناك عُقدت البيعة التي أقر الرسول ﷺ بموجبها «أنتم مني وأنا منكم» أحارب من حاربتم وأسلم من سلمتم» وفي المقابل كان على أهل المدينة كما عبَّر الرسول ﷺ أيضاً: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن تأكد الرسول ﷺ من صدق نيات عرب المدينة أمر أصحابه أن يتركوا مكة متفرقين يهاجرون فرادى أو نفراً قليلاً، لكن قريشاً فطنت للأمر، فحاولت أن تردَّ



- (٤٥) القسم الثاني: ٧٩/٤ وكلمة (لباس) مصحفة صوابها: بتياس.  
وفي الاعلام للزركلي ٤٥/٥: (فات في الطريق في قرية لبني نعيم اسمها لباس) وهذا خطأ.  
(٤٦) طبع دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر.  
(٤٧) ذكرتها في كتاب المنطقة الشرقية: ٢٩٨/١.

كل من استطاعت ردةً إلى مكة. وعندما شعرت بنجاح الهجرة حاولت قتل الرسول ﷺ إلا أن تدبيرهم باء بالفشل، وهاجر الرسول ﷺ سرّاً بصحبة أبي بكر الصديق<sup>(٤)</sup> (رض).

وقد استقبل الرسول ﷺ في المدينة استقبالاً عظيماً، وبدأ يعمل على توطيد الإسلام وبناء الدولة العربية الإسلامية. غير أن الرسول ﷺ جابه بعض المشاكل التي تغلب عليها بأسلوبه السياسي البارع، وكان من جملة المشاكل تفشي الحمّى بين أصحابه من المهاجرين<sup>(٥)</sup> الذين لم يعتادوا بُعد سُكنى مدينة موبوءةٍ بِالْحُمَّى (الملاريا) وذلك لكثرة المياه فيها، بينما جاء المهاجرون من مكة حيث المناخ الجاف البعيد عن الأمراض التي تسببها كثرة المياه<sup>(٦)</sup>.

وجابه الرسول ﷺ مقاومة من بعض زعماء المدينة الذين شعروا بفقدان سيادتهم على عشائهم، وفقدان مراكزهم الاجتماعية والسياسية<sup>(٧)</sup>. إذ أن الدين الإسلامي يجعل الرسول ﷺ السيد المطاع وأنه ما كان بين أهل هذه المدينة من حدث أو شجار، فإن مرّده إلى الله والرسول ﷺ<sup>(٨)</sup>.

ولكن أصعب مشكلة وأعقدها جابهها الرسول ﷺ وأتباعه هي مشكلة نظرة أهل المدينة (الأنصار) الاجتماعية إلى إخوانهم في الدين من المهاجرين، ويمكن أن نلمس عظم هذه المشكلة إذا عرفنا طبيعة المجتمع القبلي بصورة عامّة، ومجتمع المدينة بصورة خاصة.

لقد كان التنافس بين المكّين وأهل يثرب قبل الإسلام، على الرغم من أن هناك بعض العلاقات الفردية الطيبة<sup>(٩)</sup> بينها، لأنّها من سلالتين مختلفتين، وذلك لأن سكان الجزيرة العربية ينتمون إلى مجموعتين مختلفتين، في النسب هما القحطانيون، سكان الجنوب العربي، والعدنانيون سكان وسط الجزيرة<sup>(١٠)</sup>، وينتمي سكان المدينة من الأوس والخزرج إلى المجموعة الأولى، الذين كانوا على خلاف مع قريش<sup>(١١)</sup>. ويظهر أنه لم يكن هناك حلف بينها<sup>(١٢)</sup>.

ولما كان لسكان يثرب من القبائل العربية نظمهم الاجتماعية كانت نفسها النظم السائدة بين القبائل العربية الأخرى، ونحن نعلم أن القبيلة تُعَدُّ وَحْدَةً اجتماعية يقوم عليها النظام البدوي، وينظر أفراد القبيلة الواحدة إلى أنفسهم على أنهم مُتَحَدُّون من أصل واحد مشترك، هو الجد الأعلى للقبيلة، لذا كانوا يعدون أنفسهم متساوين نظرياً على الأقل، في الحقوق والواجبات القبلية العامة، ويتمتعون بكل ما نظمته قانون العرف القبلي من حقوق، كما كان عليهم كل ما فرضه من واجبات، على أساس التضامن التام بين الفرد وجماعته في ظل الدم المشترك.

أما من يسكن من القبائل الأخرى والأفراد بينهم، فهم في عداد الحلفاء، وهم الذين لا يتحدرون من الجد الأعلى للقبيلة، ولا تربطهم بأفرادها رابطة الدم، ولكنهم لجأوا إلى القبيلة ووضعوا أنفسهم تحت حمايتها أو حماية أحد أفرادها فترة قصيرة، أو بصورة دائمة<sup>(١٣)</sup>. ومع أن القبيلة تدافع عن حلفائها باعتبارهم أفراداً منها، وترثهم إن لم يكن لهم وارث في القبيلة<sup>(١٤)</sup>، وتُعِينُهُمْ على دفع دية القتل غير العمد الذي قد يرتكبونه<sup>(١٥)</sup>، كما أنها تطالب بديتهم إن قتلوا، ولكن يجب أن لا تنسى أن دينهم عادة هي نصف دية الصُرْحَاء<sup>(١٦)</sup>، كما أن الصريح لا يقتل بالحليف<sup>(١٧)</sup>. وعلى الرغم من أن الحلف يصبح قوياً إذا صاحبه قسم؛ إلا أن البدوي لا يقبل زعامة الحليف أو المولى.

ويظهر أن الرسول ﷺ لمس منذ الأيام الأولى، أو قبل الهجرة، ما سيُعَانِيهِ هو وأتباعه من المهاجرين من جرّاء سكناهم بين إخوانهم الجدد في الدين - الأنصار - في المدينة، إذ كان يعلم علم اليقين بالظروف الاجتماعية والتقاليد القبلية المترسخة في نفوس القبائل العربية، والتي تصعب إزالتها في فترة قصيرة.

ويلاحظ أن الرسول ﷺ أخذ عهداً من الأنصار في العقبة «لَنَمْنَعَنَّكَ بِمَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَرْزَنَا».. وقول الرسول ﷺ «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارئين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي»<sup>(١٨)</sup>. وفي بيعة العقبة الثانية بايعهم رسول الله ﷺ «على حرب الأحمر والأسود، وأخذ لنفسه واشترط على القوم لِرَبِّهِ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة»<sup>(١٩)</sup>.



وعلى الرغم من وصول نصوص عن العقبة، إلا أن من المؤسف حقاً أننا لا نجد تفاصيل كافية عن اتفاقات الرسول ﷺ مع الأنصار، من الأوس والخزرج، وعن مستقبل المهاجرين من قريش، وأين ستكون مساكنهم؟ ومن سيقوم بإعالة من لا مال له؟ وما هي النظرة الاجتماعية إليهم؟. ويظهر أن الرسول ﷺ كان عارفاً بطبيعة المجتمع البدوي والمشاكل التي ستواجه أتباعه من المهاجرين، إلا أنه لم يُثر ذلك في مفاوضاته في العقبة، إذ أنه لم يُرد أن يَدْخُل في تفاصيل ربما تؤخر عقد البيعة، كما أن من حضر العقبة من الأنصار لم يكونوا يمثلون إلا أنفسهم. هذا والرسول ﷺ كان في وضع لا يُساعد على تأخير البيعة، وهو في أشد الحاجة إلى أنصارٍ يحمونه وأتباعه من تزايد أذى قريش، بعد أن اشتدت المعارضة. كما يظهر أن الرسول ﷺ ترك تقدير وضع المهاجرين وما سيرافقه من مشاكل إلى وقتها ليقوم بحلها حسب ظروفها.

ولكن بعد أن استقر المهاجرون في المدينة شعر بجراحة موقف أصحابه من النظرة الاجتماعية إليهم من قبل أهل المدينة وخاصة وأنهم غرباء ومعظمهم بلا مال ولا مأوى. وقد لقي الرسول ﷺ نفسه مقاومة على اعتباره غريباً في المدينة، ويتبين ذلك من شعر عصماء بنت مروان التي كانت تحرض أهل المدينة عليه بقولها:

فَبَاسَتْ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيتِ وَعُوفٍ وَبَاسَتْ بَنِي الْخَزْرَجِ  
أَطْعَمَ أَتَاوِيًّا مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْجِ  
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤُوسِ كَمَا يُرْتَجَى مَرَقُ الْمُنْضِجِ<sup>(٢٠)</sup>

لذا نلاحظ أن الرسول ﷺ فكر جدياً بحل هذه المشكلة بنظام يحل محل نظام الأحلاف، الذي كما أوضحنا سابقاً، يشين أتباعه، وذلك لأن نظام الأحلاف يجعل من قريش (المهاجرين) تحت رحمة الأنصار، وسيصبح مركزهم أقل اجتماعياً من إخوانهم (الأنصار) في الدين. كما أن الرسول ﷺ لم يسمح بقيام محالفات بين أتباعه، وذلك لأن الإسلام يعد جميع المسلمين إخوة ومتحالفين ضمناً ضد أعدائهم، وأنهم أمة واحدة من دون الناس، وأنه لا حلف في الإسلام<sup>(٢١)</sup>.

ونتيجة لفهم الرسول ﷺ لطبيعة المجتمع العربي، ومحاولة منه للتخلص من مفهوم الأحلاف وما ينتج عنه من ولاء، وضع الرسول ﷺ نظام المؤاخاة في المدينة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان ذلك قبل معركة بدر كما يروي ابن سَعْد (٢٢) بينما يذكر ابن سيد الناس: (وكانت المؤاخاة بعد بنائه عليه السلام المسجد، وقيل: كان ذلك والمسجد يُبنى، وقال أبو عمر: بعد قدومه عليه السلام المدينة بخمسة أشهر) (٢٣).

أما أين عقدت المؤاخاة فيروى عن أنس بن مالك حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا. ف قيل له: أليس قال رسول الله ﷺ لا حلف في الإسلام! فقال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين أو ثلاثاً (٢٤). ويظهر أن رواية أنس بن مالك هذه يقصد بها أن نظام المؤاخاة تمّ عقده في دار أبيه.

### المؤاخاة في مكة :

قبل التحدث عن تفاصيل المؤاخاة في المدينة لا بُدَّ من دراسة المؤاخاة في مكة، حيث يذكر ابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ): وكانت المؤاخاة مرتين الأولى بين المهاجرين بعضهم وبعض، قبل الهجرة على الحق والمواساة آخى بينهم النبي ﷺ فأخى بين :

- ١ - أبي بكر، وعمر بن الخطاب.
- ٢ - حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة (مولى الرسول).
- ٣ - عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف.
- ٤ - الزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود.
- ٥ - عبيدة بن الحارث وبلال.
- ٦ - مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص.
- ٧ - أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة.
- ٨ - سعيد بن زيد وطلحة بن عبيدالله.
- ٩ - علي بن أبي طالب ومحمد بن عبدالله ﷺ.

أما البلاذري [ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م] فإنه يذكر هذه المؤاخاة، إلا أنه لا يذكر فيها إذا كانت في مكة أم في المدينة.

ومن إلقاء نظرة فاحصة على قائمة المؤاخاة المذكورة يتبادر إلى الذهن أسئلة عدة تتطلب الإجابة، ومنها ما هي دوافع هذه المؤاخاة؟ وعلى أي أساس قام الإخاء بين كل اثنين بالذات؟ وما هي شروط هذه المؤاخاة؟ ولماذا لم تُذكر أسماء باقي المسلمين في مكة ضمن قائمة المؤاخاة؟ وفي أية فترة من العهد المكي تمَّ عقدُ هذه المؤاخاة؟ ومتى انتهى مفعولها؟

هذه أسئلة تصعب الإجابة عنها إذ لا يعرف دوافع هذا النوع من الإخاء. وكل ما نعرفه عن هذه المؤاخاة (أنهم تآخوا على الحق والمواساة) وهي عبارة عامة شاملة لا تعطي مدلولاً واضحاً لنظام المؤاخاة في مكة وخاصة إذا علمنا أن الدين الإسلامي يجعل من كافة المؤمنين به أخوة في الدين (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) وأن المؤمنين أيديهم على من اعتدى عليهم، وهم عُصبة واحدة في السراء والضراء، وحيث أن المؤمنين إخوة في الدين فإن إعطاء أية تفسيرات لهذه المؤاخاة غير أكيدة للباحث.

ويكن القول بأن هذه القائمة وُضِعَتْ مُتَأَخِّرَةً ولأسباب سياسية أو لأسباب تتعلق بالعلاقات الشخصية بين كل اثنين مذكورين في القائمة، وذلك لأنه لا يمكن تفسير مواخاة الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب (رض) وكيف يكون أخاه بمفهوم الأخ وبتزوج فاطمة ابنة النبي ﷺ. ثم ما فائدة مثل هذه المؤاخاة وعلي نفسه تربي في أحضان النبي ﷺ وفي بيته وهو ابن عمه؟! \*

كما أننا لا نعرف لماذا لم تذكر القائمة كل أسماء المسلمين في مكة، وحتى لو وُضِعَتْ بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة فإنها لم تذكر أسماء كل المهاجرين. علماً بأن عددهم في كلتا الحالتين كان كبيراً.

هذا وإن القائمة لا تذكر أية إشارة إلى مؤاخاة حدثت بين المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، وهم في أمس الحاجة إلى مثل هذا النوع من الترابط والوحدة، وهم في بلاد

غربة ويعيشون بين أناس يختلفون عنهم في الدين والجنس.

وبذا يمكن الجزم بأن قائمة المؤاخاة في مكة وضعت متأخرة لتنسجم مع العلاقة الحسنة (؟) بين كل اثنين. وهي في الوقت نفسه لا تنسجم مع واقع الدين الإسلامي الذي يجعل كل أتباعه إخوة في الدين، كما لا يمكن تصديق أن الرسول ﷺ حاول أن ينظم مثل هذا الإخاء الذي يؤدي إلى التكتل بين أتباعه. علماً بأن الرسول ﷺ يدعو إلى وحدة الدين، ووحدة العقيدة والتآخي، والمحبة بين كافة المسلمين بغض النظر عن العشيرة أو الجنس أو الشخص. ويمكن التأكيد ثانية بأن واضع هذه القائمة كان يبغي من وراءها مقاصد سياسية.

#### المؤاخاة في المدينة :

يذكر ابن سعد، وهو أوسع المؤرخين الذين تناولوا المؤاخاة وأكثرهم تفصيلاً، روايتين عن عدد الذين آخى بينهم الرسول ﷺ في المدينة: (وكانوا تسعين رجلاً، خمسة وأربعون من المهاجرين، وخمسة وأربعون من الأنصار. ويقال: كانوا مئة: خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار). إلا أن ابن سعد نفسه يترجم الخمسة وثمانين من المهاجرين ممن شارك في معركة بدر، ويذكر خلال ترجمته لهم تسعة وخمسين فقط تأخوا مع الأنصار. ويذكر خمسة وسبعين من المهاجرين سكنوا عند إخوانهم من الأنصار، وأن ثمانية عشر منهم سكنوا عند كلثوم بن الهدم، بينما تأخى كلثوم مع حمزة بن عبد المطلب. أما صالح شقران، غلام الرسول ﷺ فلم يذكر مع من تأخى ولا أين سكن. كما أن أربعة من المهاجرين سكنوا عند عبد الرحمن بن سلمة العجلاني، بينما لم يذكر بأنه تأخى مع أحد من المهاجرين. أما عثمان بن عفان فقد سكن عند أوس بن ثابت، وفي الوقت نفسه تأخى معه. وأن اثنين سكنوا عند عباد بن بشر، وهما أبو حذيفة بن عتبة وقد تأخى معه، أما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة، والأخير تأخى مع معاذ بن معص الأنصاري.

كما أن ستة عشر من المهاجرين سكنوا عند بشر بن عبد المنذر بينما واحد من هؤلاء

الستة عشر، هو عاقل بن أبي عاقل تآخى مع بشر بن عبد المنذر. وسبعة من المهاجرين سكنوا عند عبد الله بن سلمة العجلاني والأخير لم يتآخ مع أي واحد منهم أو مع غيرهم من المهاجرين. وسكن ثلاثة عند المنذر بن محمد بن عقبة بينما تآخى مع الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب، والأخير لم يسكن معه ولكنه سكن عند عبد الرحمن بن سلمة العجلاني. ومُصعب الخير سكن عند سعد بن معاذ بينما سعد تآخى مع سعد بن أبي وقَّاص، والأخير سكن عند أخيه عتبة بن أبي وقَّاص الذي كان يسكن المدينة قبل الهجرة وقد سكن عند عتبة أيضاً أخوه عمير بن أبي وقَّاص الذي يذكر ابن سعد بأنه تآخى مع عمرو بن معاذ. ونزل خمسة من المهاجرين عند سعد بن خيثمة، وأربعة من المهاجرين ذكر أنهم سكنوا عند كلثوم بن الهدم، أو سعد بن خيثمة. هذا وأن سعد بن خيثمة (أحد النقباء) كان قد تآخى مع أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال، والأخير لم يسكن مع من تآخى معه، بل نزل على بني عمرو بن عوف أو مبشر بن عبد المنذر. أما أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فقد نزل عند خارجة بن زيد بن أبي زهير، وتزوج ابنته، وقد تآخى معه، بينما يذكر ابن سعد رواية أخرى بأنه سكن عند خبيب بن يساف وأن عشرة من المهاجرين نزلوا عند رفاعه بن عبد المنذر (نقيب في العقبة الثانية) ولم يكن أحد منهم قد تآخى مع رفاعه، ولم يتآخ رفاعه نفسه مع أحد من المهاجرين، علماً بأنه كان نقيباً في العقبة. ونزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زُرارة، بينما الأول تآخى مع سعيد بن زيد (أو أبي بن كعب أو الحارث بن الصمة)، ولم يذكر أن أسعد تآخى مع أحد من المهاجرين وهو في الوقت نفسه أحد النقباء.

وبلاحظ أن هناك اختلافاً في أسماء من تآخى من المهاجرين مع إخوانهم الأنصار. فمثلاً عثمان بن عفان يذكر أنه تآخى مع أوس بن ثابت، ورواية أخرى تآخى مع أبي عبادة سعد بن عثمان. أما الطفيل بن الحارث فيذكر أنه تآخى مع المنذر بن محمد بن عقبة وفي رواية ثانية: تآخى مع سفيان بن بشر بن عمرو. والحسن بن الحارث تآخى مع رافع بن عنجدة وفي رواية أخرى: مع عبد الله بن جبير. وطلحة بن عبيد الله تآخى مع سعيد بن زيد وفي رواية ثانية: مع أبي بن كعب أو الحارث بن الصمة. وعمر بن

الخطاب يذكر أنه تأخى مع أبي بكر الصديق (ربما يقصد بها مؤاخاة مكة) بينما تذكر رواية ثانية بأنه تأخى مع عويم بن ساعدة، أو عتاب بن مالك، أو مالك بن عفراء، بينما سكن عند رفاعه بن المنذر.

ومن الجدير بالذكر أن ابن سَعْدٍ يذكر خمسة فقط من المهاجرين تأخوا مع خمسة من الأنصار، وسكنوا عندهم، وهم حمزة بن عبد المطلب تأخى مع كلثوم بن الهدم، وسكن عنده. وفي رواية أخرى لابن سعد نفسه: سكن عند سعد بن خيثمة. وعثمان بن عفان تأخى مع أوس بن ثابت وسكن عنده. وأبو حذيفة بن عتبة تأخى مع عباد بن بشر وسكن عنده. وعبد الرحمن بن عوف تأخى مع سعد بن الربيع وسكن عنده. وأبو بكر الصديق تأخى مع خارجة بن زيد وسكن عنده.

ويظهر من قائمة ابن سعد - وهي كما ذكرنا أوسع وأشمل قائمة وصلتنا - أن أكثر المهاجرين لم يسكنوا عند من تأخوا معهم، بل سكنوا عند غيرهم من الأنصار. وأن هناك عدداً معيناً سكن عنده عدد كبير من المهاجرين، وأن المهاجرين اقتصر نزولهم على (بني عمرو بن عوف لم يتجاوزهم) كما يذكر البلاذري (٢٨).

أما قائمة ابن حزم فتشمل أسماء تسعة وخمسين من المهاجرين ولكن لا تذكر إلا أسماء ستة عشر من المهاجرين وأسماء إخوانهم من الأنصار، وابن حزم نفسه يذكر بأن معظم المهاجرين لم يسكنوا عند من تأخوا معهم.

ويمكن أن نستدل على صحة المعلومات الواردة حول سكن المهاجرين عند كل من ابن سعد وابن حزم بالرجوع إلى المعلومات التي يُقدِّمها ابن اسحاق حول سكن المهاجرين، علماً بأن ابن إسحاق يذكر فقط أسماء تسعة وعشرين من المهاجرين، وأسماء من تأخوا معهم، وهو نفسه يذكر قائمة كبيرة بأسماء المهاجرين ومنازلهم. ونص ابن اسحاق حول منازل المهاجرين كما يأتي:

(قال ابن اسحاق: ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو، وعبدالله ابنا سُرَاقَة بن المعتمر، وخُنَيْس بن

حُذَافَةُ السَّهْمِيِّ - وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده - وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وواقد بن عبد الله التميمي، حليف لهم، وخولي بن أبي خولي، ومالك بن أبي خولي حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خولي: من بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن اسحاق: وبنو البكير أربعهم: إياس بن البكير، وعافل بن البكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، على رفاة بن عبد المنذر بن زهير، في بني عمرو بن عوف بقباء وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدم المدينة.

ثم تتابع المهاجرون، فترل طلحة بن عبيد الله بن عثمان، وصُهب بن سنان على خبيب بن إيساف (٢٨)، أخي بلحارث بن الخزرج بالسُّح. ويقال: بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زُرارة، أخي بني النجار.

قال ابن اسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مرثد، كَنَاز بن حصن. قال ابن هشام: ويقال ابن حصين - وابنه مرثد الغنويان - حليفا حمزة بن عبد المطلب، وأنسة، وأبو كبشة مولى رسول الله ﷺ على كلثوم بن هذم، أخي بني عمرو بن عوف بقباء. ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيشمة، ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة أخي بني النجار كل ذلك يقال.

ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب وأخوه الطفيل بن الحارث، والحصين بن الحارث، ومسطح بن أثانة بن عبادة بن المطلب، وسويط بن سعد بن حُرَيْملة، أخو بني عبد الدار، وطليب بن عُمير، أخو بني عبد بن قُصَيٍّ وخَبَّاب، مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخو بلعجلان بقباء.

ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بلحارث بن الخزرج، في دار بلحارث بن الخزرج.

ونزل الزبير بن العوام، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى، على منذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة، دار بني جحجبي.

ونزل مضعب بن عمير بن هاشم، أخو بني عبد الدار، على سعد بن معاذ بن النعمان، أخي بني عبد الأشهل، في دار بني عبد الأشهل.

ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حذيفة... ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عبادة بن بشر بن وقش أخي بني عبد الأشهل، في دار عبد الأشهل.

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر، أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار، فلذلك كان حسان يُحبُّ عثمان، ويكيه حين قُتل.

وكان يقال: نزل الأعزب من المهاجرين على سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزباً، فالله أعلم أي ذلك كان<sup>(٢٩)</sup>.

ولنعد إلى قوائم المؤاخاة، فنلاحظ أن ابن اسحاق ذكر ثمانية عشر من المهاجرين تأخوا مع الأنصار. أما ابن حزم فيذكر تسعة وخمسين مهاجراً إلا أنه يشير فقط إلى أسماء ستة عشر من المهاجرين تأخوا مع ستة عشر من الأنصار. وقائمة ابن حبيب تذكر أربعة وخمسين من المهاجرين مع أربعة وخمسين من الأنصار. وابن سيّد الناس خمسة وأربعين من كلا الطرفين. وقد أنكر الواقدي كما جاء عند ابن سيّد الناس مؤاخاة جعفر بن أبي طالب لمعاذ بن جبل لأن جعفر كان في الحبشة. كما أنكر إخاء أبي ذر مع المنذر بن عمرو، لغيبة الأول عن المدينة، وأنه لم يشهد بدرًا. كما ذكر عثمان بن مضعون مرتين مرة تأخى مع أبي الهيثم بن التيهان وأخرى مع العباس بن عباد بن نضلة.

والبلاذري يذكر فقط أسماء اثنين وعشرين من كلا الطرفين والجدير بالذكر أن قائمة ابن سعد تذكر أسماء سبعة عشر من حضر العقبة من أصل ثلاثة وسبعين تأخوا مع المهاجرين في حين تذكر بأن أربعة فقط ممن شهد العقبة أسكنوا عندهم عدداً من المهاجرين.

بعد أن قدمنا هذا العرض عن أسماء المهاجرين، ومع من تأخوا وأين سكنوا يمكن



القول بأن الرسول ﷺ قام بالمؤاخاة لحل المشاكل الاجتماعية التي جابهها أتباعه من المهاجرين نتيجة سكنهم بين إخوانهم الأنصار، إذ أن الأنصار كانوا ينظرون إليهم نظرة الحليف. ولهذا أراد الرسول ﷺ أن يبدل مفهوم الحلف بنظام جديد، يساوي فيه بين أتباعه من المهاجرين والأنصار. ومع ذلك فمن المحتمل بأن الأنصار فهموا لأول وهلة بأن المؤاخاة هي نفس الحلف (الولاء) إلا أن أي استفسار من جانب الأنصار عن طبيعة الإخاء لم يثر. هذا ومصادرنا تذكر بأن من شروط المؤاخاة إلا (آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار) (الأنفال/ ٧٥) فانقطعت المؤاخاة في الميراث (٣١).

وعلى الرغم من أن البلاذري يذكر بأن الرسول ﷺ آخى بين المهاجرين على أن يتوارثوا، إلا أن البلاذري نفسه يذكر بعد هذا النص مباشرة أسماء اثنين وعشرين من المهاجرين تأخوا مع اثنين وعشرين من الأنصار. وهكذا يظهر أن نص البلاذري ربما حُدِّثَ منه كلمة (الأنصار) بعد المهاجرين.

إن ورود ما يدل على الميراث، في نصوص المؤاخاة ربما وُضِعَتْ متأخرة، أو ربما فهمها الأنصار وحدهم على أن المؤاخاة تصل إلى حد الإرث، كما كانوا عليه قبل الإسلام، حيث (كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر) (٣٢). وكان أهل المدينة يرثون حلفاءهم بأن يأخذوا سدس تركته (٣٣).

وربما كان الرسول ﷺ نفسه والمهاجرون يعلمون ما في نفوس الأنصار عن مفهوم المؤاخاة، إلا أنه لم يثر ذلك قبل معركة بدر لأن المهاجرين كانوا يسكنون في دور الأنصار، لذلك لم يحاول الرسول ﷺ أن يقف ضدَّ العرف القبلي قبل أن يتحسن مركزه في المدينة، ويصبح المهاجرون في موقف سياسي واقتصادي قويين يستطيع فيها أن

يساعد أتباعه من المهاجرين، فيذكر الواقدي: (وكان المهاجرون في دورهم [الأنصار] وأموالهم، فلما غنم رسول الله ﷺ بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال: ادع لي قومك! قال ثابت الخزرج يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: الأنصار كلها. فدعا الأوس والخزرج، فتكلم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم وأثرتهم على أنفسهم، ثم قال: إن أحببتهم قَسَمْتُ بينكم وبين المهاجرين مما أفاء الله عليّ من بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكن في مساكنكم وأموالكم وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دوركم، فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا: يا رسول الله: بل نقسمه للمهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رَضِينَا وَسَلَّمْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ (٣٤).

إن هذا النص يذكر بوضوح بأن المهاجرين أو على الأقل عدداً منهم بقي يسكن مع الأنصار في دورهم حتى غزوة بني النضير سنة أربع للهجرة فإذا علمنا بأن آية الموارث نزلت بعد بدر (سنة ٢ هـ) فيعني أن نظام المؤاخاة أوسكنى المهاجرين مع الأنصار استمر إلى سنة أربع. وربما استمر سكنى بعضهم إلى ما بعدها. وعندما شعر الرسول ﷺ بأن الأنصار: (أشحاء على من نزل عليهم من المهاجرين) (٣٥). خطاً لأصحابه في كل أرض ليست لأحد، وفيما وهبت له الأنصار من خططها: (وأقام قوم من المسلمين لم يمكنهم البناء بقباء، على من نزلوا عنده) (٣٦).

وهكذا نرى بوضوح أن الرسول ﷺ لم يقصد بالمؤاخاة أن تؤدي إلى الإرث كما فهمها الأنصار، وأن قتلى بدر فتحت المجال أمام الأنصار للمطالبة بالإرث. إلا أن القرآن الكريم أوضح لهم (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض)..

ويظهر أن توضيح المؤاخاة بعد معركة بدر التي حققت نصراً وشرفاً للرسول ﷺ، وزادت من مكانته الاجتماعية والسياسية في المدينة، وجعلت منه السيد الحقيقي بلا منازع فيها، كما أن المهاجرين أصبح لهم نفوذ أوسع، وهم قوة في المدينة ولهم تنظيماتهم،

ومسؤولون عن فداء عانيهم: (المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يَفْدُون عَانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين)<sup>(٣٧)</sup> ولذا فقد أوضح الرسول ﷺ للأَنْصار بأنَّ المؤاخاة لا تعني الإرث وأكَّد ذلك القرآن الكريم في آية الموارِيث. وبهذا لم يبطل المؤاخاة وإنما أزال اعتقاد الأنصار في الموارِيث، وأبْقَى الرسول ﷺ رابطة الأخوة في الدين، وبقي بعض المهاجرين يسكنون مع إخوانهم الأنصار.

ولذا يمكن الجزم بأنَّ نظام المؤاخاة قام به الرسول ﷺ وكان يشمل كل المهاجرين وإن لم تصلنا قوائم كاملة، وأنَّ السبب الرئيسي من هذا النظام لم يكن اقتصادياً كما يذكر المؤرخون القدماء والمحدثون، لأنَّ بعض المهاجرين لم يعدموا أموالاً جلبوها معهم من مكة. ويؤكد البلاذريُّ ذلك بقوله: (وجعلوا يترافدون بالمال والظَّهر)<sup>(٣٨)</sup>. كما أنَّ أبا بكر هاجر ومعه خمسة آلاف درهم، وهاجر عثمان بن عفَّان ومعه سبعة آلاف درهم<sup>(٣٩)</sup>. وهكذا يظهر أنَّ بعض المهاجرين لم يعدموا مالاً، وهذا ما يجعلنا نُعيد النَّظر في سبب مؤاخاة أبي بكر وعثمان لسبب اقتصاديٍّ وهما في هذه السَّعة من المال، كما أنَّ سعد بن أبي وقَّاص وأخاه عُمير بن أبي وقَّاص نزلا على أخيها عتبة بن أبي وقَّاص وكان يسكن المدينة، لذا لا نرى مُبرراً للمؤاخاة الاقتصادية. كما أنَّ نشاط أهل مكة الاقتصاديَّ جعل بعض المهاجرين يتزلون إلى السوق منذ الأيام الأولى للهجرة.

هذا ولا ينكر أنَّ الأنصار قدَّموا مساعدات طيِّبةً من سكنٍ وزادٍ إلى إخوانهم في الدين، المهاجرين، إلَّا أنَّ عملهم هذا كان بدافع المثلِّ العربيَّة التي تدعو إلى ضيافة الغرب إضافةً إلى المثلِّ الإسلاميَّة العليا، التي تدعو إلى مساعدة إخوانهم في الدين والعقيدة. وأخيراً يمكن القول بأنَّ المساعدات المالية جاءت من الأنصار الذين استقبلوا في منازلهم إخوانهم من المهاجرين.

أما نظام المؤاخاة الذي وضعه الرسول ﷺ فكان الهدف منه حلَّ المشاكل الاجتماعيَّة ليس غير.

كلية الآداب - جامعة بغداد: الدكتور خالد صالح العسلي

## جريدة المصادر

- ١ - ابن اسحاق: محمد بن اسحاق [ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م]  
السيرة النبوية تهذيب عبد الملك بن هشام جزءان ط ٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٥٥.
- ٢ - الأصفهاني: علي بن الحسين [ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م]  
«الأغاني». طبع دار الكتب المصرية، ١٩٣٠ فابعد.
- ٣ - البخاري: محمد بن اسماعيل [ت ٢٥١هـ / ٨٦٥م]  
«الصحیح» حيدر آباد، ١٣٦١هـ.
- ٤ - البلاذري: أحمد بن يحيى [ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م]  
«أنساب الأشراف» ج ١ تحقيق محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٥٩.
- ٥ - ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد [ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م]  
«جوامع السیر»: تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، القاهرة، بلا تاريخ.
- ٦ - الحيدر أبادي: محمد حميد الله.  
«مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» ط ٢، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٧ - أبو داود: سليمان بن الأشعث [ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م].  
«سنن أبي داود» ٤ أجزاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٠.
- ٨ - ابن سعد: محمد بن سعد [ت ٢٣٠هـ / ٨٤٣م].  
«الطبقات الكبرى» ٨ أجزاء، بيروت، ١٩٥٧ - ٥٨.
- ٩ - ابن سيّد الناس: فتح الدين أبو الفتح محمد بن أبي بكر [ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م].  
«عيون الأثر، في فنون المغازي والشمال والسير»، جزءان، القاهرة، ١٩٣٧.
- ١٠ - الشيباني: محمد بن الحسن [ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م]  
«الآثار». لكنو، ١٨٨٣م.
- ١١ - الطبري: محمد بن جرير [ت ٣١٠هـ / ٩٣٢م]

«تاريخ الرسل والملوك» ١٠ أجزاء، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٠ - ١٩٦٩.

«جامع البيان في تفسير القرآن»، القاهرة ١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ.

١٣ - العلي: صالح أحمد.

«التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري». ط ٢، بيروت، ١٩٦٩.

١٤ - فنسك

«مفتاح كنوز السنة» ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٩٣٣.

١٥ - الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى [ت ٦٦٤ هـ / ١٢٣٧ م] «كتاب الاكفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء». ج ١، الجزائر، ١٩٣١.

١٦ - محمد بن حبيب [ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م]

١ - «كتاب المحبر»، حيدر آباد، ١٩٤٢.

٢ - كتاب المنق، حيدر آباد، ١٩٦٤.

١٧ - الواحدي: علي بن أحمد [ت ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م]. «أسباب النزول». القاهرة، ١٩٥٩.

١٨ - الواقدي: محمد بن عمر [ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م]

«كتاب المغازي». ٣ أجزاء، القاهرة، ١٩٦٦.

Caskel, W.

20 — **Gamharat An-Nasab** das Genealogische des Hisam Ibn Muhammad al-Kalbi.

Goldziher, Ignacz

21 — **Muslim Studies**. 2 vol. tr. by C.R. Barker and S.M. Stern, London' 1967-1971

Tritton, S.A.

22 — Notes on religion in early Arabia", **Le Museon** (1959) pp. 191-195

Smith, W.R.

23 — **Kinship and Marriage in Early Arabia**. London, 1903

## الحواشي:

- (١) انظر ابن اسحاق ج ١ ص ٤٣٥ - ٣٨.
- (٢) ترد القائمة كاملة عند ابن اسحاق ج ١ ص ٤٥٤ وما بعدها، بينما تردنا ناقصة عند ابن حزم: جوامع السير ص ٧٨.
- (٣) انظر عن نصوص بيعة العقبة الحيدر آبادي: محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية ص ٧.
- (٤) أشار القرآن الكريم إلى مصاحبة أبي بكر (الا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) - التوبة/٤٠ -
- (٥) ابن اسحاق ج ١ ص ٥٨٨ - ٥٩٠ وذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ.
- (٦) وقد شعر رهط من عكل أو عرينة أن المدينة غير صالحة لسكنائهم فقالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة، فأمرهم رسول الله ﷺ بإبله أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها، انظر البخاري الصحيح (كتاب الدييات عن أنس بن مالك نفس المصدر) كتاب الطب ج ٨ ص ١٦؛ وانظر الواحدي أسباب النزول ص ١١١ عن أنس بن مالك.
- (٧) انظر أمثلة على ذلك في ابن اسحاق ج ١ ص ٥١٩ وما بعدها.
- (٨) الحيدر آبادي: مجموعة الوثائق ص ٢٠.
- (٩) لقد تروج هاشم من يثريّة وأنجبت منه عبد المطلب.
- (١٠) انظر شجرة أنساب كل من قريش والأنصار في Caskel, w. "Gamharat Añ-Nasab das Genealogische werk des Hisām Ibn Muhammed al- Kalbi" vol. I, p.5 ff.
- (١١) كان الخلاف يشمل أيضاً طريقة الحج فيينا قريش تخرج على طريقة الحمس كان أهل المدينة يمجون على طريقة الحلة. انظر محمد بن حبيب: المهر ص ١٧٩؛ Tritton, A.S. "Notes on religion in early Arabia Le Museon Lxxii (1959), pp 171-125
- (١٢) حاول بعض أهل المدينة أن يعقدوا حلفاً مع قريش إلا أنه لم يتم بسبب معارضة أبي جهل بن هشام: انظر: محمد بن حبيب: المنق ص ٣٢٧ - ٣٣١.
- (١٣) انظر عن المؤاخاة قبل الاسلام Smith, P 51 وانظر عن القبائل التي تحالفت مع قريش: محمد بن حبيب: المنق ص ٢٧٥ - ٢٩٩.
- (١٤) الأصفهاني: الأغاني ج ٣ ص ٤١؛ ابن سعد ج ٦ ص ١٥٦؛ الشيباني: الآثار، لنكو (١٨٨٣) ص ١٠١.
- (١٥) انظر Coldziher, I, PP 63 - 69 العلمي: التنظيمات ص ٧٩.
- (١٦) الأصفهاني ج ٣ ص ١٩.
- (١٧) الأصفهاني ج ٣ ص ٤١.
- (١٨) الطبري: تاريخ في ص ٣٦٢ - ٣٦٣.
- (١٩) ابن اسحاق: ج ١ ص ٤٥٤؛ الحيدر آبادي ص ٧.
- (٢٠) الواقدي: المغازي ج ١ ص ١٧٢.
- (٢١) لا تقصد بالحلف هنا الأحلاف السياسية، إذ أن الرسول ﷺ حرّمها بقوله ولا حلف في الاسلام وما كان في الجاهلية فلا يزيد الإسلام إلا شدة. محمد بن حبيب: المنق ص ٣١٦. علماً بأن الرسول ﷺ حين وادع قريشاً كتب بينه وبينهم: وأن من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد محمد، وعقده دخل، المنق ص ٣٠٩، وانظر عن الأحلاف قبل الاسلام Coldziher, I, PP. 66 - 6 وانظر عن الأحاديث في تحريم الأحلاف فنسك ص ١٦١؛ الأصفهاني ج ١٢ ص ١٥٧؛



# مسيرتنا الأدبية في معجم الطاهر

نشر الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر الحلقة السادسة والخمسين من كتابه القيم «معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية بمجلة «العرب» (ج ٩، ١٠، ١٧ - الربيعان ١٤٠٣ هـ - كانون ٢/ شباط - يناير/فبراير ١٩٨٣ م). وكانت هذه المرة بعنوان: «الخاتمة - المقدمة الثانية»، استغرقت صفحات طويلة (من ص ٦٤١ إلى ص ٧٠٣)، أشبه بكتيب عن الحياة الأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية، منذ

الطبري: جامع البيان تفسير آية ٣٧ السورة الرابعة. وقد قال الرسول ﷺ عن حلف الفضول «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الإسلام لأجبت» الكلاعي: كتاب الاكتفاء ج ١ ص ١٤٧ - ١٤٨، المنقح ص ٣٤١.

- (٢٢) ابن سعد ج ١ ص ٢٣٨.
- (٢٣) ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٠٠.
- (٢٤) أبو داود: السنن ج ٣ ص ١٧٦ حديث رقم ٢٩٢٦؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٠٠.
- (٢٥) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٩٩ ويؤكد هذه الرواية محمد بن حبيب: المهر ص ٧٠.
- (٢٦) البلاذري: أنساب ج ١ ص ٢٧١.
- (٥) وقد أنكر هذه المؤاخاة الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في كتابه «منهاج السنة» في الرد على ابن المطهر - أنكر المؤاخاة بين المهاجرين، خصوصاً مؤاخاة النبي ﷺ لعلي قال: لأنها شرعت للإرفاق والتألف، فلا معنى لها بينهم - «العرب».
- (٢٧) البلاذري ج ١ ص ٢٦٣.
- (٢٨) ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلماً، بل تأخر إسلامه حتى خروج رسول الله ﷺ إلى بدر.
- (٢٩) ابن اسحاق ج ١ ص ٤٧٧ - ٤٨٠.
- (٣٠) محمد بن حبيب: المهر ص ٧١.
- (٣١) البلاذري ج ١ ص ٢٧٠.
- (٣٢) أبو داود: سنن ج ٣ ص ١٧٦ حديث رقم ٢٩٢١ عن ابن عباس؛ وانظر مقاتل بن سليمان: تفسير (تحقيق عبدالله محمود شحاتة) القاهرة ١٩٦٩، ص ٢٣٤؛ وانظر عن ميراث الموالى في الإسلام العلي ص ٧٨.
- (٣٣) الطبري: جامع البيان ج ١ ص ١٢.
- (٣٤) الواقدي ج ١ ص ٣٧٩.
- (٣٥) البلاذري ج ١ ص ٢٧٠.
- (٣٦) المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٠.
- (٣٧) الحيدر آبادي: مجموعة الوثائق ص ١٦ - الوثيقة (١).
- (٣٨) البلاذري ج ١ ص ٢٥٧.
- (٣٩) البلاذري ج ١ ص ٢٦١.

# مسيرتنا الأدبية في معجم الطاهر

نشر الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر الحلقة السادسة والخمسين من كتابه القيم «معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية بمجلة «العرب» (ج ٩، ١٠، ١٧ - الربيعان ١٤٠٣ هـ - كانون ٢/ شباط - يناير/ فبراير ١٩٨٣ م). وكانت هذه المرة بعنوان: «الخاتمة - المقدمة الثانية»، استغرقت صفحات طويلة (من ص ٦٤١ إلى ص ٧٠٣)، أشبه بكتيب عن الحياة الأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية، منذ

الطبري: جامع البيان تفسير آية ٣٧ السورة الرابعة. وقد قال الرسول ﷺ عن حلف الفضول «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الإسلام لأجبت» الكلاعي: كتاب الاكتفاء ج ١ ص ١٤٧ - ١٤٨، المنقح ص ٣٤١.

- (٢٢) ابن سعد ج ١ ص ٢٣٨.
- (٢٣) ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٠٠.
- (٢٤) أبو داود: السنن ج ٣ ص ١٧٦ حديث رقم ٢٩٢٦؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٠٠.
- (٢٥) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٩٩ ويؤكد هذه الرواية محمد بن حبيب: المهر ص ٧٠.
- (٢٦) البلاذري: أنساب ج ١ ص ٢٧١.
- (٥) وقد أنكر هذه المؤاخاة الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في كتابه «منهاج السنة» في الرد على ابن المطهر - أنكر المؤاخاة بين المهاجرين، خصوصاً مؤاخاة النبي ﷺ لعلي قال: لأنها شرعت للإرفاق والتألف، فلا معنى لها بينهم - «العرب».
- (٢٧) البلاذري ج ١ ص ٢٦٣.
- (٢٨) ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلماً، بل تأخر إسلامه حتى خروج رسول الله ﷺ إلى بدر.
- (٢٩) ابن اسحاق ج ١ ص ٤٧٧ - ٤٨٠.
- (٣٠) محمد بن حبيب: المهر ص ٧١.
- (٣١) البلاذري ج ١ ص ٢٧٠.
- (٣٢) أبو داود: سنن ج ٣ ص ١٧٦ حديث رقم ٢٩٢١ عن ابن عباس؛ وانظر مقاتل بن سليمان: تفسير (تحقيق عبدالله محمود شحاتة) القاهرة ١٩٦٩، ص ٢٣٤؛ وانظر عن ميراث الموالى في الإسلام العلي ص ٧٨.
- (٣٣) الطبري: جامع البيان ج ١ ص ١٢.
- (٣٤) الواقدي ج ١ ص ٣٧٩.
- (٣٥) البلاذري ج ١ ص ٢٧٠.
- (٣٦) المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٠.
- (٣٧) الحيدر آبادي: مجموعة الوثائق ص ١٦ - الوثيقة (١).
- (٣٨) البلاذري ج ١ ص ٢٥٧.
- (٣٩) البلاذري ج ١ ص ٢٦١.



صدر كتاب محمد سرور الصبان «أدب الحجاز» سنة ١٣٤٤ هـ حتى سنة ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م .

وقد صدر حمد الجاسر هذه الحلقة بكلمة بليغة موجزة ، أثنى فيها على المؤلف وجهوده العلمية المخلصة في سبيل اخراج معجمه بالمظهر العلمي اللائق بعالم متخصص . وأستاذنا الطاهر لا يحتاج إلى تعريف . رأيناه أول مرة حين عدنا مجموعة من الشبان المتحمسين المتخرجين في بعض الجامعات البريطانية سنة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م . وجدناه أمامنا في إحدى الحجرات العتيقة التابعة لقسم اللغة العربية ، بكلية الآداب - جامعة الملك سعود (جامعة الرياض - سابقاً) ، لم يعرنا اهتماماً كبيراً - أو هكذا خيل إلى بعضنا - مع أننا أكبر مجموعة من الخريجين تعود إلى البلاد آنذاك : أحمد الضبيب ، عبد الرحمن الأنصاري ، أحمد خالد البدي (الوحيد بيننا من جامعة طهران) ، حسن شاذلي ، ثم عبد العزيز الفدا ومحمد الصالح ومحمد الشامخ . زحمتنا حجرات القسم ، والرجل على حاله ، قابع في مكتبه ، مكب على كتبه وأوراقه ، يقرأ ويدون ، يسود ويبيض . ساكن ، لا يتحرك . نستدرجه إلى الحديث أحياناً - فقد سئمت صمت الانجليز سنوات طوال - فيستجيب ، ثم لا يلبث أن يعود مسرعاً إلى كتبه وأوراقه وقد يتحفنا - ان اعتدل المزاج - بضحكة (عراقية) مقلدة .

ذلكم هو أستاذنا علي جواد الطاهر ، صاحب المعجم الشهير ، الذي عرفه قراء «العرب» طيلة السنوات العشر الماضية ، وعرفوه قبل ذلك وبعد ذلك ، بكتبه وبحوثه ومراجعاته الكثيرة الرصينة في الشعر والقصة والنقد والمقال ومنهج البحث الخ .

كان مشغولاً عنا حين عدنا بفكرة المعجم ، التي ولدت لديه - كما يقول - سنة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م . أي قبل عودتنا بنحو ثلاث سنوات . لم نكن نعرف ذلك ، ولربما حدثنا عن «المعجم» فلم نكثرث . وفي هذه «الخاتمة - المقدمة الثانية» ، التي نشرت في مجلة «العرب» يذكّر الكاتب كل شيء ، ويروي لنا كيف تطورت الفكرة إلى عمل فتنفيذ . وما لقيه في سبيلها من صعوبات ومشاق . يذكر المكتبات التي ارتادها والاصدقاء الذين اعانوه وسهلوا له المهمة . وهو يوضح منهجه في «المعجم» والفترة

الزمنية التي اختارها بدايةً ونهاية . ولا ينسى أن يقف عند بعض الشخصيات التي قابلها أثناء بحثه ، وقد يقف وقفات أطول عند بعض الكتب المهمة ، مبيّناً موضعها في مسيرة التطور . وربما أشاد وامتدح ، وربما حث وانتقد . وقد يكتفي باللمحة الذكية ، ويحجج أحياناً إلى شيء من التفصيل وهو يكتب في ذلك كله بضمير الغائب ، ولكنه ينسى في بعض المواضع فيرجع إلى ضمير المتكلم . وربما غلب عليه حرص المربي فكرر ما قاله وأكد عليه . ان المؤلف العالم الذي يسعى وراء الحقيقة ، قد يكتب أحياناً بروح الفنان .

والحقيقة التي يريد أن يعرفها الطاهر ، ونعرفها معه ، هي : (الأدب في المملكة العربية السعودية ، في نشأته وتطوره واتجاهاته وعلامه ، والعوامل المؤثرة فيه ، ومترلته بين أدب الأقطار العربية الأخرى ، ثم درسه وتدرسه ، فليس من المنهجي أو المعقول أن ندرس في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود) أدب مصر وأدب العراق ، ولا ندرس أدب البلد نفسه !).

ولكن حصر المظان في الأدب وحده أمر غاية في الصعوبة ، فما بالك بحصر المظان الأخرى في التاريخ والتعليم والفقه والفكر . الخ ... مما لا غنى عنه لدارس الأدب ، وهو لا يختلف عن معظم المثقفين العرب خارج المملكة لا يعرف عنها أي المملكة وأدبها وفكرها إلا القليل . وقد بعد به العهد عن كتاب المازني «رحلة إلى الحجاز» ، وكتاب «أدب الحجاز» الذي جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ، ومجلة «المنهل» التي اشترك بها بعد تخرجه في دار المعلمين العالية ببغداد (١٩٤٥ - ١٩٤٦ م) ، وديوان «فجر العمر» للشاعر على حسن غسال ، وقد كان زميله في الدراسة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) ابتداء من سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ م . لقد أثبت الأستاذ الطاهر أنه يعرف أكثر مما كنا نتوقع .

أما الكتب التي وجدها عن الأدب في المملكة العربية السعودية ، - حينما انتدب للتدريس بكلية الآداب - جامعة الرياض سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ - فهي قليلة لا تروى غلة ، يذكر في مقدمتها كتاب عبد الله عبد الجبار «التيارات الأدبية في قلب جزيرة العرب» ، وكتاب عبد السلام الساسي «شعراء الحجاز في العصر الحديث» ، وكتاب عبد الله بن إدريس «شعراء نجد المعاصرون» .

هكذا بدأ مشروع الطاهر في وضع المعجم . كان عن الأدب ثم كبر واتسع وأخذ الباحث يطرق الأبواب : المكتبات العامة - مثل المكتبة العامة السعودية التابعة للشئون الدينية في دخنة ، ودار الكتب الوطنية ، ومكتبة كلية الآداب ، ومكتبة وزارة المعارف ومكتبة المدينة المنورة ومكتبة نصيف - والمكتبات الخاصة - مثل مكتبة حسن عبد الله القرشي ومكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن - ومكتبات البيع والشراء في جدة والمدينة والرياض .

وأفاد المؤلف في تصنيف معجمه من شتى المصادر : كتب المختارات وكتب التراجم وكتب (البليوجرافيا) والنشرات التي تصدرها المؤسسات العلمية والدوائر والوزارات ، كما أفاد من الصحف والمجلات والدوريات ، ومن الكتب التي تناولت أدب المملكة في مناطقها المختلفة .

أما الفترة الزمنية للمعجم فتبدأ بطبيعة الحال مع مطلع الحكم السعودي ، ولكن المشكلة في النهاية . اينهيا بسنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م - تاريخ مغادرته للسعودية؟ أم بسنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م؟ فيتقدم بالمعجم سنتين يستطيع أن يستكمل مادتها عن طريق بعض المجلات التي تصله ، وعن طريق المراسلة والمتابعة . هذا ما قرر أن يفعله . وعام ١٣٩٠ هـ - في نظر الكاتب - ليس تحداً علمياً وإنما هو حد زمني أو أنه - كما يقول - حد زمني أكثر منه حد علمي . ومع ذلك ، فانه يلاحظ المد الثقافي الواسع بعد سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م «ألم تصدر مجلة كلية الآداب (جامعة الرياض) ١٩٧٠ م / ١٣٩٠ هـ؟ ألم تكثر دور النشر والطبع بعد ذلك؟ . وأخيراً ألم توجد «تهامة»؟؟ . ويعود مرة أخرى فيقرر أن هناك ارهاصات لهذا المد الثقافي قبل سنة ١٣٩٠ هـ . ومن طبيعة الأشياء التدرج والتطور (دار اليمامة) مرحلة ، و(الدار السعودية) مرحلة ، و(تهامة) ، مرحلة ، و«مجلة عالم الكتب» مرحلة - هكذا .

ويذكر الدكتور علي جواد الطاهر طريقته في تأليف المعجم ، والفرق بينه وبين (البليوجرافيات) والمعاجم الأخرى التي اقتبست منه أو التي ظهرت بعد نشر حلقات معجمه في مجلة «العرب» فيقول : إن المعجم الذي أعده ليس معجماً مكتيباً ، ولهذا فاني لم أوزعه أبواباً على طريقة (ديوي) ، ولم أكتف بالجفاف المكتبي . إن المعجم الذي

أعده (بدل عوض) عن بحث أدبي فكري ثقافي . انه وسيلة بيد من يتصدى للبحث تزوده بأكبر وما يمكن من المعلومات ومصادر المعلومات) .

ولا يحتاج الطاهر أن يدل على منهجه ، ففي «خاتمته - المقدمة» التي بين أيدينا - كما ذكرنا آنفاً - ما يدل على تمرد الأديب الناقد بالمنهجية الضيقة لمعظم من يسمون بـ (الأكاديميين) وبآلية (البليوجرافيين) . انه يرسم بقلمه ، ويفتح أمامك أبواباً كثيرة ، ويدعوك إلى التفكير . يقول عن الشيخ حمد الجاسر في أول لقائه به :

(.. ولكن الشيخ كان قليل الكلام ، لم تبد عليه أية علامة قابلة للتفسير في عمل «المعجم» لقد كان «حيادياً» وربما كان أقرب إلى الانقباض منه إلى الترحيب ، وأميل إلى رؤية الاخفاق منه إلى الأمل بالنجاح .. ومن يدري ، فلعله كان - لما هو معروف من تواضعه - لا يرى للمؤلفات السعودية ما يؤهلها لمعجم) .

والصورة لا تختلف كثيراً في اللقاء الثاني :

(.. ظفر ذات يوم .. بوجود الشيخ حمد ، بثوبه و«غترته» ولحيته ، وتشعبت الأحاديث ، على قلة كلام الشيخ وما يبدو من تحفظه لدى حضور شخص غريب . وكان لابد من فتح موضوع «المعجم» مجدداً ، ولكن الرجل هو .. هو ، أقرب إلى الصمت ، ولا يكاد يمنحك أي انطباع عموماً وبصدد المعجم خصوصاً أهو راض أم غير راض ؟ لا تدري لعله إلى عدم الرضا أقرب منه إلى الرضا ، وكأنه يستبعد النجاح في المشروع أو يستقله أو أنه لا يرى في البلاد ما يستحق بذل الجهد أو أنه كان أقرب إلى البخل في تزويدك المعلومات وارشادك ، أو أنه الجذر داخل البلاد من الطائرين على البلاد .. أو .. أو ..» .

أما اللقاء الثالث فيختلف تماماً . وإذا كان الطاهر قد توقف مراراً عند أستاذنا الجاسر فذلك لما يقتضيه السياق ، ولأن المعجم قد ارتبط منذ ولادته بمجلة «العرب» ، ولكن المؤلف يقف وقفات أخرى عند بعض الاسماء المعروفة في ساحتنا الأدبية والثقافية مثل : عبد الله بن خميس ، عبد الله بن ادريس عبد العزيز الرفاعي ، أحمد الضبيب ، نحمد

# حسن القرى في ذكر أودية أم القرى

(٢)

لجار الله بن فهد المكي

(٩٥٤/٨٩١ هـ)

حرف الألف

أرض حسان :

وسط وادي مرّ، قال القاضي تقي الدين الفاسي الإمام في «شفاء الغرام» رأيتُ لها  
ذكرًا في كتاب مبيعٍ فيها في عشر السبعين - بتقديم السين - وخمس مئة، وإلا ففي عشر  
الثمانين الشك مني انتهى.



الشامخ، غازي القصيبي . الخ . ولا يخلو الأمر من كلمات على الهامش تنقد أو توجه أو  
تحت . فمحمد حسن فقي (ظاهرة في الشعر العربي) ، وحمزة شحاتة (قد جار مزاجه  
الخاص على عوامل شهرته) ، وغازي القصيبي لم تشغله السياسة ولا الوزارة كثيرًا عن  
الشعر والأدب ، وإن كانتا قد شغلتاه قليلًا ، ويخشى أن يستحيل القليل كثيرًا ، وإن  
تأثر الطلاوة وتضعف نسبة الجمال ، وقد بدت طلائع ذلك .. الخ ، الخ .

وبعد : فإن الحديث يطول ويطول عن معجم علي جواد الطاهر ، أو بالأحرى  
عن «مقدمته الثانية - الخاتمة» . فترجو أن نرى المعجم الموسوعة قريبًا بين دفقي كتاب ،  
في جزء أو أجزاء ، وألا ننتظر كثيرًا حتى نرى المقدمة في كتاب مستقل ، فهي تحفة نادرة  
تزخر بالمعلومات والنظرات الصائبة ، وهي فوق ذلك لوحة فنية نرى فيها مسيرتنا الأدبية  
والفكرية والثقافية حية ، متحركة ، نابضة . نراها بعيني أديب ناقد لا يدعى فصل  
الخطاب في ما يقوله ، ولا يطمع في ثواب أو نوال ، بل إنه لا يزال يتعلم ويعلم ويتسامح  
ويعترف بالخطأ إن نبه إليه ، وتلك من شيم العلماء .

جريدة «الرياض» ع : ٥٣٩٦ في ١٦ / ٦ / ١٤٠٣ هـ . د. منصور الحازمي

# حسن القرى في ذكر أودية أم القرى

(٢)

لجار الله بن فهد المكي

(٩٥٤/٨٩١ هـ)

حرف الألف

أرض حسان :

وسط وادي مرّ، قال القاضي تقي الدين الفاسي الإمام في «شفاء الغرام» رأيت لها  
ذكرًا في كتاب مبيع فيها في عشر السبعين - بتقديم السين - وخمس مئة، وإلا ففي عشر  
الثمانين الشك مني انتهى.



الشامخ، غازي القصيبي . الخ . ولا يخلو الأمر من كلمات على الهامش تنقد أو توجه أو  
تحت . فمحمد حسن فقي (ظاهرة في الشعر العربي) ، وحمزة شحاتة (قد جار مزاجه  
الخاص على عوامل شهرته) ، وغازي القصيبي لم تشغله السياسة ولا الوزارة كثيرًا عن  
الشعر والأدب ، وإن كانتا قد شغلتاه قليلاً ، ويخشى أن يستحيل القليل كثيرًا ، وإن  
تأثر الطلاوة وتضعف نسبة الجمال ، وقد بدت طلائع ذلك .. الخ ، الخ .

وبعد : فإن الحديث يطول ويطول عن معجم علي جواد الطاهر ، أو بالأحرى  
عن «مقدمته الثانية - الخاتمة» . فترجو أن نرى المعجم الموسوعة قريباً بين دفقي كتاب ،  
في جزء أو أجزاء ، وألا ننتظر كثيراً حتى نرى المقدمة في كتاب مستقل ، فهي تحفة نادرة  
تزخر بالمعلومات والنظرات الصائبة ، وهي فوق ذلك لوحة فنية نرى فيها مسيرتنا الأدبية  
والفكرية والثقافية حية ، متحركة ، نابضة . نراها بعيني أديب ناقد لا يدعى فصل  
الخطاب في ما يقوله ، ولا يطمع في ثواب أو نوال ، بل إنه لا يزال يتعلم ويعلم ويتسامح  
ويعترف بالخطأ إن نبه إليه ، وتلك من شيم العلماء .

جريدة «الرياض» ع : ٥٣٩٦ في ١٦ / ٦ / ١٤٠٣ هـ . د. منصور الحازمي

أقول : ورأيتُ في سُفلها أثرَ بناءِ مسجدٍ متقادم، يقال : إنه من زمن الأُمراء المعروفين بالهواشم، وكانت دولتهم قبل السادة ذوي قتادة، ولهم فيها الآن أصايل كبار، وحدائق وأشجار، تُسقى بعين عذبة، في جريانها قوة، عَدَدُ وَجَابِهَا ثمانية وعشرون من طويل، وأربعة عشر من قصير، كل وَجَبَةٍ باثني (؟) عشر ساعة، وكل ساعة بقيراطين كبيرين، عن أربعة وعشرين صِفراً، وغالبها لصاحب مكة كان، السيد محمد بن بركات الحسني، جدُّ أصحابها الآن، ثم صارت من بعده لأولاده، / ٢٧ / وعمرُ فيها أصيلة وبركة عظيمة، تُسَمَّى أُمُّ شَمِيلَةَ <sup>(١)</sup>، وهي كالبحرة وسطها دعائم عليها قبة، فقال في مدحها وصاحبها من ذكره في ديوانه، وهو العلامة الأملعي أديب زمانه، أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز الفيومي المكي رحمه الله وعفى عنه :

حَمَامٌ بَدَأَ فِي الصَّوْتِ أُمُّ صَاتَ مِزْهَرُ؟  
وَرِيحٌ صَبَا بِسَرِي، أُمُّ الرَّاحِ مُسْكِرُ؟  
وَرَوْضٌ بَهِيٌّ أُمُّ جِنَانٍ تَزْخَرَتْ  
وَمَاءٌ شَهِيٌّ ذَاكَ أُمُّ هُوَ كَوَثَرُ؟  
نَعَمْ قَدْ تَذَكَّرْنَا بِأُمِّ شَمِيلَةَ  
جِنَانِ النَّقْلِ وَالشَّيْءِ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ  
وَقَدْ نَسَجَتْ أَيْدِي الرَّبِيعِ بِرِسْمِهَا  
قَمِيصاً مِنَ الزَّهْرِ النَّدِيِّ مُدَنَّرُ  
وَأَلْبَسَ أَجْيَادَ النَّخِيلِ قَلَائِدًا  
عَقِيقُ وَيَاقُوتُ وَنَبْرُ وَجَوْهَرُ  
وَوَجْهُ نَرَاهَا تَحْتَ خُضْرَةِ رَوْضَةٍ  
مَلِكٌ غَدَاً فِي ثَوْبِ خَزٍّ مُدَنَّرُ  
وَلَيْلُ غَيُومِ الْجَوِّ أَرْخَى سُدُولَهُ  
وَلَكِنَّهُ مِنْ أَوْجِهِ الصَّحْبُ مُقْمَرُ  
وَقَدْ جُمِعَ الْأَخْبَابُ جَمْعَ سَلَامَةٍ  
وَلَكِنْ بِمَاءِ الْعَيْنِ جَمْعُ مُكْسَرُ

وَقَدْ ضَحِكَ السَّوَارُ فِي طَيِّ كُمِهِ  
 وَرَبِحُ الصَّبَا فِي ذَيْلِهِ يَتَعَثَّرُ  
 وَقَدْ جَرَّدَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي سَيْفَهُ  
 وَصَلَّى خَطِيبُ الرَّعْدِ يَنْهَى وَيَأْمُرُ  
 وَقَدْ نَضَّدَتْ أَيْدِي النَّدَى الْمَكْرُ (؟) فِي الرُّبَا  
 وَقَدْ سُلَّ سَيْفُ الْمَاءِ وَهُوَ مُجَوَّهَرُ  
 وَأَضَحَتْ تُغُورُ الْأَرْضُ تَفْتَرُ مُدْغَدَا  
 لَهَا ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ حِصْنُ مُعَمَّرُ  
 فَلَا زَالَتِ الْأَنْوَاءُ تَهْمِي بِجُودِهِ  
 وَلَا بَرَحَتْ هَبِجَاهُ بِالرُّعْبِ تَنْصَرُ

ثم عمر مولانا السيد الشريف المشار إليه - رحمة الله عليه - ، لأكبر أولاده ، الذي جعله الله ثمرة فؤاده ، وهو ذو السعد والحركات ، السيد الشريف أبو زهير بركات ، أصيلة جلييلة ، بجانب أم شميعة ، سماها النغيصة (٢) ، عمل فيها بركة هي لأعدائه غصّة ، وذلك في أول القرن العاشر ، وتعدّ لبني حسن من المفاخر ، وأنشد بعض الشعراء فيها جملة أبيات في مدحها ، وكتب ذلك في جدرها ، ومنه قول العلامة خطيب مكة الأريب ، العلامة محي الدين عبد القادر بن عبد الرحمن العراقي المكي الشافعي ، أعزه الله تعالى ، وكان له ووالى ، وسمعت من لفظه ، في عاشر صفر عام سبع وأربعين وتسع مئة بالمسجد الحرام ، ٢٨ / وهو :

قُلْ لِمَنْ جَاءَ صَائِفًا بَطْنَ مَرٍّ لَا يَفُوتَنَّكَ الْمَقِيلُ بِنَغْصَةِ  
 وَادُعْ بِالنَّصْرِ وَالْبَقَاءِ لِمَنْ قَدْ عَمَّ بِالْعَدْلِ دَهْرُنَا ثُمَّ خَصَّهُ  
 دَامَ فِينَا أَبُو زُهَيْرٍ مَلِيكًا وَلَهُ فِي الْجَنَانِ أَوْفَرُ حِصَّةِ

وأنشدني في المعنى الفقيه الجليل ، العلامة الأصيل ، الزيني عبد الرزاق ابن قاضي المسلمين ، وجيه الدين عبد الرحمن بن شيخنا الإمام الزاهد ، عفيف الدين عبد الله باكثر المكي الشافعي ، كان الله له ولي ، في الشهر المذكور عام تاريخه بمكة ، قوله :



يَا حَبَبًا أَرْضَ حَسَّانٍ وَنُزْهَةً وَمَاءُ بَرَكَتِهَا الْمُسْتَعْدَبِ الْخَضِرُ  
مَاءُ الْحَيَاةِ بِهَا تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا وَالْبَاسُ عَنَّا جَلَاهُ رَوْضُهَا الْخَضِرُ<sup>(٣)</sup>  
أَرْضُ خَالِدٍ<sup>(٤)</sup> :

بين الجموم والخصرا، لا أعلم لمن نسبتها، ويقال: إنها تنسب لأمير مكة، خالد بن  
عبدالله القسري، الذي كان متولياً لبني أمية في المئة الأولى فيحضر ذلك، لأني سمعت من  
بعض الفضلاء أن هذا مذكور في «مرآة الزمان» لسبط الحافظ أبي الفرج بن الجوزي،  
وهي الآن غالبها نخيل لفقهاء مكة، وفيها عين عذبة جارية، مع عدة برك وبيوت عالية.

ولقد كان لسلفي فيها أصايل عدة، فالله تعالى يَمُنُّ بعودها لنا في أقرب مدة،  
ووجدت في القوائم القديمة، أن عدد وجابها كأرض حسان، أربعة وعشرون من قصير،  
وثمانية وعشرون من طويل، كل وجبة باثني (٩) عشر ساعة، وكل ساعة بقيراطين  
كبيرين، عن أربعة وعشرين قيراطاً صغيراً، كما هو في بقية الأودية.

وقال في مدحها العلامة الأديب، الأملعي الأريب، أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز  
الفيومي المكي رحمه الله تعالى، وكتبته من ديوان نظمه، وهما بيتان لطيفان:

٢٩/ سَقَى اللَّهُ أَشْجَاراً عَلَى أَرْضِ خَالِدٍ

كَغَيْدٍ بَدَتْ مِنْ بُسْرِهَا فِي قَلَائِدِ  
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ جَنَّتْ خَلْدَ رِيَاضُهَا  
لَمَا سُمِّيَتْ بَيْنَ الْوَرَى أَرْضَ خَالِدِ

وقال أيضاً فيها - لما حلَّ بها قاضي القضاة شيخ الإسلام، ناظر المسجد الحرام،  
الجهالي أبو السعود محمد بن إبراهيم بن ظهيرة القرشي الخزومي المكي الشافعي، تغمده الله  
برحمته آمين، وكتبته من ديوان نظمه، ومطلعه:

وَرَدَ الْمَصِيفُ بِصُدْحٍ وَأَوَابِدِ وَحَدَائِقِ تُسْقَى بِمَاءِ وَاحِدِ  
مَرَّ الصَّبَا مِنْ بَطْنٍ مَرٌّ فَاغْتَنِمْ فِي أَرْضِ خَالِدٍ طَيْبَ عَيْشِ خَالِدِ

هَبَّتْ صَبَاحًا نَسْمَةً هَبَّتْ إِلَى  
بَاتَتْ تَرْغَبُ فِي التَّهَجُّدِ، فَالرُّبَا  
لَا غَرَوْ أَنْ تَبْكِي حَمَامَةً أَبْكِيهِ  
فَكَأَنَّا الْأَغْصَانُ عُبَادُ بِهَا  
وَدُمُوعُ هَذَا الطَّلِّ قَدْ سَالَتْ عَلَى  
فَالطَّلُّ يَحْكِي شَكْلَ طَلْعِ ذَائِبٍ  
لَا فَرْقَ فِي الْأَنْهَارِ مِنْ تَجْعِيدِهَا  
وَالشَّمْسُ مِنْ خَلَلِ الْغُصُونِ عَلَى الثَّرَى  
قَدْ حُفَّ بِالشَّهَوَاتِ جَنَّةُ رَوْضِهَا  
مَنْ سَاجِعٍ أَوْ صَاهِلٍ أَوْ نَاطِقٍ  
قُمْ زَوْجَ ابْنَةِ كَرِيمِهَا ابْنَ سَمَائِهِ  
فُرْصُ السُّرُورِ دَنْتَ فَهَلْ مِنْ مَاهِرٍ؟  
كَمْ ذَا يُبْطِئِي الْعَدُولُ وَمَا جَرَتْ  
كَمْ ثَبْتُ عَنْ شُرْبِ الْمُدَامِ وَكُنْتُ إِذْ  
لَا كُنْتُ إِكْسِيرَ الْخَلَاعَةِ فِي الْوَرَى  
يَا صَاحَ هَذَا مَوْسَمِ اللَّذَاتِ قَدْ  
إِيَّاكَ يُوقِفُكَ التَّوَانِي عَنْهُ فِي  
٣٠/ فَإِذَا أَرَدْتَ مِنَ الزَّمَانِ تَمَتُّعًا  
سَرَّحَ لِحَاطَكَ فِي الْحَدَائِقِ وَالرُّبَا

طَيْبِ الصَّبُوحِ بِهَا عَيُونُ الرَّاقِدِ  
مَا بَيْنَ غُصْنٍ رَاكِعٍ أَوْ سَاجِدِ  
إِنَّ الْبُكَاءَ فِي اللَّيْلِ شَأْنُ الْعَابِدِ  
وَكَأَنَّمَا مِنْ رَوْضِهَا بِمَسَاجِدِ  
خَدُّ الزُّهُورِ بِكُلِّ غُصْنٍ مَائِدِ  
وَالطَّلْعُ يَحْكِي شَكْلَ طَلِّ جَامِدِ  
مَا بَيْنَ جَارِي مَائِهَا وَالرَّاكِدِ  
كَالنَّقْدِ يَهْوِي مِنْ أَيْدِي النَّاقِدِ  
وَضَفَرْتُ فِيهَا بِانْبِسَاطِ زَائِدِ  
أَوْ نَاعِقٍ أَوْ بَاغِمٍ أَوْ آيِدِ(؟)  
مَا دُمْتُ فِي ثَمَرِ الرِّيَاضِ الْعَاصِدِ(؟)  
وَطَبَا إِلَيْنَا رَتَعَتْ فَهَلْ مِنْ صَائِدِ؟  
بِتَرْجُعِي فِي مِثْلِ ذَلِكَ عَوَائِدِ  
بِتَرْنَمِ الْمَوْصُولِ أَوَّلَ عَائِدِ  
إِنْ لَمْ أَوْفَّ لَهَا عُهْدَ مَعَاهِدِ  
وَأَفَى وَرَيْحُ الْبَسْطِ غَيْرَ مُعَانِدِ  
سِلَعِ الْهُمُومِ وَسُوقِهَا الْكَاسِدِ  
فِي رَوْضِ أَزْهَارِ وَرَوْضِ مَحَامِدِ  
وَانْظُرْ إِلَى قَاضِي الْقُضَاةِ<sup>٢</sup> وَشَاهِدِ<sup>(٥)</sup>

الْمَاجِدِ بْنِ الْمَاجِدِ بْنِ الْمَاجِدِ بْنِ الْمَاجِدِ بْنِ الْمَاجِدِ

ثم ذكر عشرة أبيات في مدحه، وقال بعدها في ختامه:

قَدْ رَاجَ مَشْجَرُ شِعْرِنَا بِنَوَالِهِ  
فَمَدِينُحُهُ دُرٌّ لِبَحْرِ قَرِيضِهِ  
وَعَطَائِهِ مِنْ بَعْدِ سُوقِ كَاسِدِ  
وَبُيُوتُ ذِكْرَاهُ بُيُوتُ قَصَائِدِ

## أَرْضُ فِرَاسٍ <sup>(٦)</sup> :

هي بَيْنَ أَرْضِ حَسَّانَ والجديد، ويقال لها قرية الشيخ، وهو ولي الله تعالى، عبد الكبير بن حميد الأنصاري الحضرمي، نزل مكة المشرفة رحمه الله تعالى، ونفع به، المتوفي بها سنة تسع وستين وثمان مئة، وله فيها نخيل ومزارع تسقى بعين جارية عذبة، وعدد وجابها ثمانية وعشرون من طويل، كل وجبة باثني (٩) عشر ساعة، وكل ساعة بقيراطين وأربعة عشر من قصير [....] <sup>(٧)</sup> وكبيرين عن أربعة وعشرين قيراطاً صغيراً، كما سمعته واستفدته من الشيخ الجليل القدوة الأصيل، الجمالي، محمد ابن الشيخ المعتقد زين الدين عبد الكبير ابن الشيخ المسلك - بسين، بن الشيخ الولي الكبير عبد الكبير المنسوب إليه القرية المذكورة، نفع الله به كما نفع بسلفه.

## أَبُو عُرْوَةَ :

وأما الكنى فأبو عروة قرب الروضة والبرقة وعنده جبل يقال له الظاهرة، يصعد منه المشاة إلى هدة بني جابر الآتي ذكرها، فيه نخيل ومزارع للحب والبطيخ، يُسقى من عين عذبة، وينزله الحج الشامي ذهاباً وإياباً، ويتكسب عليهم أهل البلد بالمأكولات، وسمعت من أكابر بعض الحجاج يسميه وادي فاطمة <sup>(٨)</sup>، ولا أعرف هذه التسمية بمكة.

ووجاب عينه أربعة عشر من قصير، وثمانية وعشرون من طويل، كالبرقة وأرض حسان وأرض فراس، وكل وجبة بقيراطين كبيرين/٣١، عن أربعة وعشرين قيراطاً صغيره، فالتة يبارك فيها، وينفع بها أهلها.

## أُمُّ الْعِيَالِ :

قرية بهدة بني جابر، قال الشريف تقي الدين الفاسي في «العقد الفين»: إنَّ صاحب مكة كان السيد أحمد بن عجلان أحياها مع البقاع بواديهما، أقول: وكان الشريف أحمد موجوداً في الثمانين وسبع مئة، ودثرت من بعده البقاع. وأما أم العيال فهي باقية

إلى زمننا، يحصل بها الانتفاع، وفيها آبار كثيرة، يسقى منها بالسانية النخيل والمزارع الشهيرة، نفع الله بها وكثر من أهلها.

### حرف الباء الموحدة

البَحْرَيْن<sup>(٩)</sup> :

- بفتح الباء الموحدة بعدها حاء مهملة ساكنة، تشية بحر - وهي بَيْنَ واسط بني أحمد والجديد.

وقال الشريف تقي الدين الفاسي في «العقد الثمين» في ترجمة صاحب مكة كان، السيد أحمد بن عجلان - أنه ملكها من غير شريك له فيها.

أقول: وكان الشَّراء في الثمانين وسبع مئة، وهي الآن لجماعة متفرقين فيها نخيل ومزارع، تسقى بعين جارية للمنافع، وعدد وجابها ستة عشر من قصير، باثنين وثلاثين من طويل، كل وجبة باثني(?) عشر ساعة، وكل ساعة بقيراطين كبيرين، بأربع وعشرين، كالتى قبلها من الأودية، وفيها وفي واسط نظم ذكرته في البرابر الآتية<sup>(١٠)</sup>.

بُجَيْر :

- بضم الباء الموحدة، وفتح الجيم المعجمة، كَبْحَيْر، تصغير بحر - قرية لطيفة من أعمال هَذَة بني جابر، عَرَب من القحطانية، فيها نخيل وعين عذبة جارية عدد وجابها<sup>(١١)</sup> ..

الْبَرْدَان<sup>(١٢)</sup> :

عُلُو وادي نخلة الشامية، قال الأمير الأديب ياقوت الحموي في تأليفه «المشترك وضعاً»<sup>(١٣)</sup> : إنَّ البردان تسعة مواضع - بفتح أوله وبابه ودال مهملة وآخره نون - أولها عَيْنٌ بِأَعْلَى نَخْلَة الشامية من نواحي مكة، وآخر: ماء لبني عُقِيل بنجد، وثالث: ماء لبني نَصْر بن معاوية بالحجاز انتهى، ونقلت من خط والدي الحافظ عز الدين عبد

العزیز بن فہد الهاشمی المکی رحمہ اللہ تعالیٰ: إِنَّا سُمِّيَ بِالْبِرْدَانِ لِأَن فِيهِ جَبلاً غَيْرَ شَاهِقٍ وَلَا تَكَادَ ٣٢/ لِّلشَّمْسِ نُصْبُهُ، وهو عن يسار الطريق، مشرف على وادي نخلة كذا في كتاب يشتمل على ذكر منازل الحاج العراقي اسم مؤلفه أبو عبدالله محمد بن أحمد غير منسوب انتهى<sup>(١٤)</sup>.

وقال القاضي تقي الدين الفاسي في كتابه «شفاء الغرام»: إنه من نخلة الشامية.

أقول: وهو علو واديا لعاترة قبيلة من عرب هذيل، ولهم فيه حصن قديم خراب، على جبل عُلُوّ مسيل الوادي، وأمامه بركة كبيرة<sup>(١٥)</sup> مبنية بالحصن والحجارة الكبار، شبه البحرة، وسطها قبة يتوصل إليها على قُبَّة (؟) من حجارة منقورة، وقد خرب بعضها لهجرانها، وكأنها من بناء خلفاء بني العباس للحجاج من الناس على طريق العراق، وينشرح برؤيتها كل مشتاق، وعدد وجاب عينها<sup>(١٦)</sup>.

البرابر<sup>(١٧)</sup>:

- بفتح الباء الموحدة بعدها راء وألف ثم موحدة أيضاً مكسورة وراء ساكنة - قرية لطيفة، مقابلة القصر والحُميمة والبحرين وواسط، فيها نخيل ومزارع، وماء عينها أجاج فيها الصحة لبدن من الله يحتاج<sup>(؟)</sup> وفي اسمها التفاؤل بالبرا، والبر، ولأجل ذلك أَخَذَتْ فيها عيالي<sup>(١٨)</sup>. الثانية أم أولادي خاتون المرشدية، حصتها من مُخَلَّفِ أبيها، فאלله تعالى يرحمه، ويبارك لها فيها، وعدة وجابها ثلاثون من طويل، وخمسة عشر من قصير، كُلُّ وجبةٍ باثني<sup>(؟)</sup> عشر ساعة، وكل ساعة بقراطين كبيرين عن أربعة وعشرين قيراطاً صغيراً، وقد صَيِّفَتْ فيها، ورأيت الانشراح بها مع صلاح أهلها.

وفي عُلُوّ عَيْنِهَا الظريفة، بركة لطيفة، وبها معدن المَدَرِ الذي يدق في الغاسول، كما بمكة اشهر، مع كثرة الخضر، ويحصل بها الأنس لمن حضر، ولذلك قال صاحبنا العلامة الحجة شيخ الأدباء زين الدين أبو اللطف عبد اللطيف المرقبة<sup>(؟)</sup> ابن الشيخ نور الدين علي الديري الأنصاري نزيل مكة - أعزها الله تعالى - ونفع به، وسمعت من لفظه في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وتسع مئة بالمسجد الحرام، قوله بَدِيْهَاً في وصفها،

وكنت سأله في نظمها:

وَادِي الْبَرَابِرِ<sup>(١٩)</sup> وَادٍ مَا نَمَّ أَعْظَمُ مِنْهُ  
فِيهِ الْبَرَاءُ وَبَرٌّ وَأَسْأَلُ مِنْ أَكْبَرِ مِنْهُ(؟)  
وَالْمَاءُ فِيهِ أَجَاجُ تَصِحُّ الْأَجْسَادُ مِنْهُ  
وَكُلُّ حُسْنٍ لَهُ فِي أَشْيَاعِهِ مِنْهُ وَجْهٌ

وقال غيره في وصفها، وما يحصل فيها، وفي القرى التي بقرها، وأصلح الناظم الأول بعضها.

إِذَا كُنْتَ فِي وَادِي الْبَرَابِرِ تَشْكُرُ فَلَا تَنْسَ فِيهِ الثَّمَرَ وَالزَّرْعَ أَخْضَرَ  
وَوَاسِطَ وَالْبَحْرَيْنِ أَبْهَجَ رُؤْيَا بِكَادٍ وَمَاءٍ مِنْهُمَا تَتَحَدَّرُ  
وَفَاغِيَةَ كَاللُّوْلُو الرُّطْبِ مَفْطَرًا رَوَائِحُهَا كَالْمِسْكِ بَلْ هِيَ أَغْطَرُ  
وَرُؤْيَاهَا تَزْهُو عَلَى كُلِّ مَنْظَرٍ وَنَاهِيكَ لِلْقَطَارِ بِالْعَيْنِ تَنْظُرُ  
وَجَمِيزُهُ بِالْحُسْنِ قَدْ شَاعَ ذِكْرُهُ وَلَيْمُونُهُ مِثْلُ الزُّمُرِّ أَخْضَرُ

الْبَرْقَةُ<sup>(٢٠)</sup> :

- بضم الباء الموحدة بعدها راء ساكنة وقاف مفتوحة - قرية حسنة، بين خيف بني شديد وأبي عروة، بها نخيل ومزارع حنّا، خضرة نظرة لمن تبتى، قال جدي الحافظ نجم الدين عمر بن فهد المكي رحمه الله تعالى في مسودة «بلدانياته» عند ذكر الجموم كما سيأتي: وَيَمُرُّ الظَّهْرَانُ حَصْنٌ كَبِيرٌ يَسْمَى بَرْقَةً، وفيها يسكن أمير مكة، شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني انتهى، وقال شيخ شيوينا القاضي تقي الدين الفاسي في «العقد الغمين» عن شيخه ابن خلدون: إِنَّ الشَّرِيفَ شُكْرَ مَلِكِ الْحِجَازِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، وَانْقَرَضَتْ بِهِ دَوْلَةُ السَّلْمَانِيِّينَ مِنْ مَكَّةَ، وَجَاءَتْ دَوْلَةُ الْهَوَاشِمِ انْتَهَى.

أقول: وَبَعْدُ مَلِكُهَا جَمَاعَةٌ، وَهِيَ فِي زَمَنَاتِنَا لَبْنِي جَوْشَنُ وَالْأَشْرَافُ، مِنْ بَنِي حُسَيْنِ ذَوِي الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، وَعِنْدَهُمُ الْحُسْنُ(؟) الْمَذْكُورُ، يَشْرَحُ الصَّدُورُ، وَفِي خَارِجِ

القرية قريب من الحصن آثار بناء قديم يقال له (مرابط الخيل) وهي أساطين مدورة مبنية بالحجارة، ولعلها كانت لحيل أمير مكة شكر الذي كان يسكنها، ولا يبعد أنه هو الذي بناها مع الحصن المذكور، وواديها بكثرة الحسان مشهور، وأنشد فيها بعض العرب على عُرْضَةِ أبيات (؟) فيما أحسب منها /٣٤/:

يا حَسَنَ الْبَرِّقَا نَذَلِي واشْرِفُ البيت خالي، والرجال عُيْبٌ<sup>(٢١)</sup>

وفي القرية عين جارية عذبة، عدد وجابها أربعة عشر من قصير، وثمانية وعشرون من طويل، كأبي عُرْوَة، وأرض حسان وغيرها كما مضى، كل وَجْبة باثني (؟) عشر ساعة، وكل ساعة بقراطين كبيرين عن أربعة وعشرين قيراطاً صغيراً، فالله يبارك فيها وينفع بأهلها.

### حرف التاء المثناة

التَّنْضُبُ : (٢٢)

– بفتح التاء المثناة بعدها نون ساكنة وضاد مضمومة: قريتان: إحداهما علو وادي مرٍّ – كما سيأتي – وثانيتهما قال الشريف تقي الدين الفاسي في «شفاء الغرام»: هي من نخلة الشامية، أقول: ولعلها أقدمهما، ويدلُّ لذلك ما وجدته بخط والدي – رحمه الله تعالى – أنها كانت لورثة محمد بن علي بن أبي طالب الشهير بابن الحنفية، كذا في «منازل الحاج» بأخبار مروية<sup>(٢٣)</sup>، وفيها الآن نخيل ومزارع للحب مرضية، يسكنها عرب نباتة من هُذَيْل، ولأجلهم تعرف ببني نباتة، وبني مسعود، ولهم بها حصن قديم علو جبل في سفلى وادي نخلة، كالعاترة في علوها في البردان، ويقع بينهم الحروب في بعض الأزمان، فيؤذيهم صاحب مكة بأخذ أموال جمَّة، لقوتهم وكسر شوكتهم، وأما عينهم فعدة وجابها<sup>(٢٤)</sup>.

التَّنْضُبُ : (٢٥)

– وادٍ ثلثي، يعرف بالرقاعي – بكسر الراء المهملة، بعدها قاف مفتوحة – علو وادي

مر، علو الروضة، وخيف بني شديد، ويقال لواديه وادي عَلاف - بفتح العين المهملة واللام ألف بعدها فاء - وأولها وادي نخلة الشامية - كما تقدم ذكره - بأنه كان لورثة محمد بن الحنفية.

وأما تَنْضُبُ الرقاعي فيقال: إنه كان لأمير مكة شكر بن أبي الفتوح الحسني، في نصف القرن<sup>(٢٦)</sup> الخامس وجاب الله(?) لبني حسن من الأشراف، وبني جوشن الظراف، وفيه نخيل ومزارع، وعين عذبة للمنافع، عدد وجابها<sup>(٢٧)</sup>.

### حرف الجيم المعجمة

الجَدِيد: (٢٨)

- بفتح الجيم بعدها دال مكسورة - قرية تحت أرض فراس، فيها نخيل ومزارع للناس، وغالبها لصاحب مكة الآن، وهو عين الأعيان، السيد الشريف أبو نُمي محمد بن بركات، بلغه / ٣٥ / الله غاية الأمان والمسرّات، وبعضها لبني عمه، وفيها عين عذبة جارية، عَدَدُ وجابها خمسة عشر من قصير، عن ثلاثين من طويل، كل وجبة اثني(?) عشر ساعة وكل ساعة بقيراطين كبيرين عن أربعة وعشرين قيراطاً صغيراً، كما في الأودية.

وقال في مدحها مُضْمَنًا للمثل فيها علامة أوانه، وأديبُ زمانه، أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز الفيومي المكي الشافعي رحمه الله تعالى وعفا عنه، ونقلته من ديوانه، هو:

أَقُولُ لِخَلِّي بِوَادِي الْجَدِيدِ تَمَتَّعَ بِذَا الرُّونَقِ الْبَاهِرِ  
فَكُلُّ جَدِيدٍ لَهُ لَذَّةٌ كَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ

الْجَمُومُ:

- بفتح الجيم المعجمة بعدها ميم مضمومة كالحموم - إحدى قرى أودية مكة المشهورة، ويقال لها: بَطْنٌ مرّ ووادي مرّ الظهران - بفتح الميم أوله وتشديد ثانيه



والظهران - بفتح الظاء المعجمة - قال الشريف تقي الدين الفاسي في «شفاء الغرام»: ذكر السُّهَيْلِيَّ خلافاً في سبب تسميتها بِمَرٍّ، قال: وَسُمِّيَ مَرًّا لَأَنَّ فِي عِرْقٍ مِنَ الْوَادِي مِنْ غَيْرِ لَوْنِ الْأَرْضِ شِبْهُ الْمِمْ، بعدها راء، خُلِقَتْ كَذَلِكَ، قال: وَيُذَكَّرُ عَنْ كَثِيرٍ: سَمِيَتْ مَرًّا لِمَارَاتِهَا. وَلَا أُدْرِي مَا صَحَّةُ هَذَا. انتهى، ونقل الحازميُّ عن الكنديِّ أَنَّ مَرَّاسِمُ الْقَرْيَةِ، وَالظَّهْرَانِ اسْمُ الْوَادِي (٢٩) انتهى، ومن ثمَّ إلى مكة فيما قال البكريُّ ستة عشر ميلاً، وقيل: ثمانية عشر ميلاً، وقيل: إحدى وعشرين حكاة ابن وضاح انتهى، وقال الشريف تقي الدين الفاسي أيضاً: إنها تشتمل على قرى كثيرة، فيها نخيل وأشجار وعيون جارية، وقال الأديب ياقوت الحموي - في كتابه «المشترك وضعاً»: الظهران - بفتح الظاء وسكون الهاء بعدها راء وألف ونون - : ثلاثة مواضع: ثالثها وادٍ قرب مكة، وعنده قرية يقال لها مَرٌّ، فنسبت إليه، فيقال: مَرَّ الظهران انتهى، وقال جدي الحافظ، نجم الدين عمر بن فهد المكي رحمه الله تعالى، في مسودة «بلدانياته»: موضع بينه وبين البيت ستة عشر ميلاً، ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ردَّ الذي ترك طواف وداع البيت مِنْ مَرَّ الظهران، وكانت منازل عَكٍَّ مِنْ مَرَّ الظهران، فسميت مَرًّا لِشِدَّةِ مَرَارَةِ مِيَاهِهَا، وكان رسول الله ﷺ ينزل المسيل الذي من أدنى مَرَّ الظهران، حين يَهْبِطُ مِنَ الصَّفْرَاوَاتِ، ليس / ٣٦ / بين منزل رسول الله ﷺ وبين الطريق إِلَّا مَرْمَى حَجَرٍ (٣٠)، وهناك نزل عند صلح قريش.

وبِمَرَّ الظهران حِصْنٌ كَبِيرٌ يُسَمَّى الْبَرْقَةَ، وقد كان مسكن أمير مكة شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني، وهناك ضياع كثيرة لأهل مكة، ولبنى جُمَحَ وبني مخزوم وغيرهم، وببطن مَرَّ تَخَزَعَتْ خَزَاعَةٌ عَنْ إِخْوَتِهَا، فَبَقِيَتْ بِمَكَّةَ، وَسَارَتْ إِخْوَتُهَا إِلَى الشَّامِ أَيَّامَ سَيْلِ الْعَرَمِ، وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في ذلك:

وَلَمَّا نَزَلْنَا بَطْنَ مَرَّ تَخَزَعَتْ خَزَاعَةٌ عَنَّا فِي الْحُلُولِ الْكَرَاكِ

ونزل الأوس والخزرج يثرب، ونزل أزدُ عَمَانَ عُمَانَ، ونزل خَزَاعَةٌ مَرًّا كَمَا هُنَا.

وبطن مَرَّ منزل فيه عين ماء، في مسيل رمل، وحوله نُحَيْلَاتٌ يَأْوِي إِلَيْهَا قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ، ومن بطن مَرَّ إلى عسْفان ثلاثة وثلاثون ميلاً، انتهى كلام جدي رحمه الله

تعالى، ونقلته من خطه في «بلدانياتي» ولم أجده في أصله ولعله ضاع مني.

والمشهور عند الناس أنَّ الجموم هو وادي مرّ، ويُطلق ذلك على جميع الأودية التي في نواحيها وأولها الصفراوات، وآخرها حدّة - كما يأتي ذكره فيها -

وقد بنى وزير صاحب مكة كان، القائد بُديد بن رزق (؟) بن شكر الحسني في رأس الجموم، عند رأس عينها مسجد عظيم مبيض بالنورة<sup>(٣١)</sup>، وكان ذلك في نصف القرن التاسع، في محطة الحاج المصري ذهاباً وإياباً، ويجمع عنده سوق كبير يباع فيه جميع الأقوات<sup>(٣٢)</sup>، وشاهدت ذلك مع عين الوادي، وهي حلوة لها قوة جريان يشاهدها الحاضر والبادي، ويعد من محاسن الأنهار، تسقي بها النخيل والمزارع والأشجار، والله تعالى يبارك فيها، وي طرح البركة عليها، وعدد وجابها ستة عشر من قصير، عن اثنين وثلاثين من طويل، كل وجبة باثني عشر ساعة، وكل ساعة بقيراطين كبيرين عن أربعة وعشرين صغيراً، وهي قوية الجريان، متوسطة في عدد الأوجاب في هذا الزمان، ووقع لي فيها سماع الحديث الشريف، وبعض ٣٧/ نظم حسن ظريف، ذكرته في بلدانياتي المساة «الفرايد البهيات»، في الفوائد البلدانيات ومنه ما أنشدني العلامة الحجة، قاضي المالكية بمكة المشرفة، شرف الدين أبو القاسم بن قاضي القضاة بها، الجلالي أبو السعادات الأنصاري المكي أعزه الله تعالى، في يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وتسع مئة، قوله بديها في وصف مقلنا بوادي الجموم، ونحن ذاهبون إلى هدة بني جابر للتصيف، وإزالة الهموم:

لله يوم به جادت يد الزمن	طاب المقليل بواديهما البهي الحسن
وادي الجموم الذي يزهو بجارية	له بمنظرها يشكو الشجي الشجن
لما جرت ما (؟) بيننا وعلى	تلك المعاهد منها نفسها العدني <sup>(٣٣)</sup>
سقى لها كم سقتنا الأنس راحتها	في ظل مسجدها المعهود بالمن
قضيت به بأحباب محاسنهم	تسلي العريب عن الأهلين والوطن

وقوله أيضاً في المعنى، لما قدمها في سنة أربعة عشر (؟) وتسع مئة:

وَأَقِيتُ فِي الصُّبْحِ هَذَا الْمَسْجِدَ السَّامِي جَمَّ الْمَحَاسِنِ نِعَمَ الرَّيِّ لِلظَّامِي  
وَكَيْفَ وَهُوَ جَمُومٌ الْخَيْرِ فَاغْنِ بِهِ فِي نِعْمَةٍ وَهِيَ عَيْشَةُ النَّامِي (٣٤)

وقوله أيضاً في المعنى لما وافاه سنة خمسة عشر (٩) وتسع مئة، وكان والده وأخاه  
(٩) بالقاهرة المحروسة المعاصم:

أَجَارِيَةَ الْجَمُومِ إِلَيْكَ عَنِّي وَإِنْ نَقَشَ النَّسَاءُ لَكَ الْمَعَاصِمُ  
فَبَعْدُ الْأَصْلِ لِي وَالْفَرَعُ (٣٥) مِنِّي عَنْ اللَّذَاتِ هَذَا الْيَوْمَ عَاصِمُ

ثم أنشدني ونحن آيئون من الهدّة، شقيقه الامام العلامة القدوة، قاضي المسلمين  
محبي الدين عبد القادر بن قاضي القضاة الجلالی أبي السعادات الأنصاري المكي المالكي  
- رحمه الله تعالى - في يوم الأحد ثالث عشرين شهر رجب الفرد سنة عشرين وتسع  
مئة بمسجد الجموم، قوله فيه:

قَدْ حَلَّ فِي مَسْجِدِ هَذَا الْوَادِي عَبْدٌ مِنَ التَّقْوَى قَلِيلُ الزَّادِ  
يُسَمَّى بَعْدَ الْقَادِرِ الْأَنْصَارِيِّ خَلَصَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَوْزَارِ  
فِي يَوْمٍ تَاسِعٍ عَشَرَ الْحَرَمِ فِي عَامِ (طَظ) (٣٦) مِنْ هِجْرَةِ الْمَكْرَمِ  
٣٧/ وقوله أيضاً في المعنى يديها:

لِلَّهِ ضَخْوَةٌ أَنْسَ لِلْجَمُومِ سَرَى سُرُورُهَا سَرِيَانُ الرُّوحِ فِي الْأَبْدَانِ (٣٧)  
فَتِنْتُ لَمَّا بِهَا عَابَتْ جَارِيَةً تُرْوِي مِيَاهَ أَمَاقِيهَا ظَمًا الْحِرَانِ

ثم سمعت من لفظ الامام الحجة شيخ الأدباء متنبّي زمانه أبي الطيب أحمد بن  
الحسين الشهير بالعُليّيف العكي العدناني المكي رحمه الله تعالى، في عام التاريخ الماضي  
بها، ووجدته مكتوباً بمسجد وادي الجموم، قوله فيه على العموم:

نَزَلْنَا بِالْجَمُومِ نَهَارَ قَيْظٍ وَمَنْشُورُ الرَّبِيعِ طَوَى بَسَاطَةِ  
قَطَعْنَا يَوْمَنَا فِي طَيْبِ عَيْشٍ بِرَأْسِ الْعَيْنِ، فِي ظِلِّ الْحَمَاطَةِ

ثم كتب تحت هذين البيتين في مسجد الجموم المذكور، العلامة المفضّل المشهور، فخر

الدين أبو بكر ابن شيخنا مفتي المسلمين، شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر الشافعي،  
رحمه الله، قوله في المعنى معارضاً له:

حَلَلْنَا بِالْجَمُومِ صَبَاحَ يَوْمٍ وَلَمْ نَأْمَنْ مِنَ النَّاسِ اغْتِبَاطَهُ  
فَلَا قَيْظًا رَأَيْنَا مُذْ حَلَلْنَا وَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى ظِلِّ الْحَمَاطَةِ

فلما اطلع الشيخ الأجد شهاب الدين أحمد، الشهير بالعليف المشار إليه رحمه الله  
كتب مقابلها وسمعتة منه في التاريخ الماضي، قوله:

حَطَطْنَا بِالْجَمُومِ غَدَاةَ دَجْنٍ وَعَقْدُ الطَّلِّ قَدْ أَرْخَى رِبَاطَهُ  
وَنَحْنُ عَلَى بَسَاطٍ مِنْ زُهْرٍ وَقَدْ مَدَّ الرَّبِيعُ بِهِ سِمَاطَهُ  
وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَرْمُقُنَا بِطَرْفٍ خَفِيٍّ قَدْ حَكَى سَمَّ الْخِيَاطَةِ  
عُرُوسٌ تُجْتَلَى حِينًا، وَحِينَ يُدِيرُ سُخْبَهُ قَرْحُ قِاطَةِ  
وَكُنَّا فِيهِ مَعَ جَمْعٍ كِرَامٍ حَمَاهُ اللَّهُ مِنْ شَرِّ وَحَاطَهُ  
وَقَدْ طَبِعُوا عَلَى أَدَبٍ وَلَكِنْ هُمْ السَّادَاتُ قَدْ رَفَعُوا اشْتِرَاطَهُ

ولما اطلع على هذه الأبيات العلامة الأريب، رئيس المؤذنين فخر الدين، أبو بكر  
بن أبي عبدالله الحنبلي المكي عفى الله عنه، قال في معناها هذه الأبيات:

أَقْمْنَا فِي الْجَمُومِ بِطِيبِ عَيْشٍ وَقَدْ بَسَطَ الرَّبِيعُ لَنَا بَسَاطَهُ  
وَحَطَّ الْمَزْنُ مِنْ قَطْرِ عَلَيْنَا فَيَا لَهِ مَا أَحْلَى انْحِطَاطَهُ  
وَكَمْ بَرْدٌ لَقَطْنَاهُ كَدْرٌ نَضِيدٌ، فَمَا أَشْهَى التِّقَاطَةَ  
وَكَمْ مِنْ فُرْطٍ بَانَ مَاسَ نَيْهَاً وَعُنُقُودِ غَدَا عَجَلًا فِرَاطَهُ  
/٣٩/ وَبَرَقَ الْأَفَقُ لَاحَ كَمْثُهِفَاتٍ وَصَوْتُ الرَّعْدِ أَسْمَعَنَا عِيَاطَهُ  
فَلَا مَضْضُ رَأَيْنَاهُ بِحَرٍّ وَظِلُّ الْمُزْنِ لَمْ يَحُلْ رِبَاطَهُ  
كَأَنَّا فِي رِيَاضٍ مِنْ جَنَانٍ بِحَقِّ لِيذِي الثُّهَى فِينَا اغْتِبَاطَهُ  
وَجَمْعُ الصَّخْبِ فِي مَرَحٍ كَثِيرٍ وَكُلُّ فِيهِمْ أَبْدَى انْبِسَاطَهُ  
وَهُمْ مَا بَيْنَ أَغْلَامٍ كِرَامٍ تَرَاهُمْ بِالْعُلُومِ لَهُمْ إِحَاطَهُ

وَإِنْ جَنَّانَ عَدْنٍ عَنْ يَقِينٍ بِمَكْرُوهاَتِهَا أَبَدًا مُحَاطَةً

ثم أنشدني صهري العلامة الأصيل الجليل، أفضى القضاة فخر الدين، أبو بكر بن قاضي المسلمين نور الدين علي المرشدي الأنصاري المكي الحنفي رحمه الله تعالى، ووالده<sup>(٣٨)</sup> في سنة ست وعشرين وتسع مئة قوله عند رؤية البيت الأولين، للشيخ شهاب الدين أحمد العليف الماضي ذكرهما، معارضاً لها:

أَقَمْنَا بِالْجَمُومِ نَهَارَ غَيْمٍ فَظَلَّ الْوَدْقُ يَنْهَلُ انْحِطَاطَةً  
وَكَانَ الْقَيْظُ وَلَّى بِأَنْهَارٍ وَقَدْ بَسَطَ الرَّبِيعُ لَنَا سِاطَةً  
وَزِلُّ الْجَوِّ مَسْبُورٌ عَلَيْنَا وَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى ظِلِّ الْحَمَاطَةِ

وقوله أيضاً في المعنى عند رؤية الأبيات الأخيرة، للشيخ شهاب الدين العليف أيضاً، معارضاً لها شعراً:

حَضَرْنَا بِالْجَمُومِ نَهَارَ صَبْفٍ وَحَرُّ الْقَيْظِ حَاطَ بِنَا إِحَاطَةً  
وَكَادَ الْحَرُّ يُهْلِكُنَا جَمِيعاً فَأَوَيْنَا إِلَى ظِلِّ الْحَمَاطَةِ  
وَعُدْنَا فِي الرَّبِيعِ إِلَيْهِ يَوْماً فَوَاقَى الْغَيْثُ إِذْ ذَاكَ انْحِطَاطَةً  
فَجِئْنَا الْمَسْجِدَ الْمَشْهُورَ لَيْلاً فَبِئْنَا فِي انْشِرَاحٍ وَاغْتِبَاطَةٍ  
فَكُلُّ مِنْهُمَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَمِنْ<sup>(٣٩)</sup> أَقْرَ فَقَدْ كَثُرَ اخْتِبَاطَةُ

وقوله في المعنى أيضاً:

أَنْحَنَّا بِالْجَمُومِ رَبِيعَ عَامٍ وَقَدْ نَصَبَ الرَّبِيعُ لَنَا سِاطَةً  
عَلَى فُرْشٍ مِنَ الدِّيَاجِ تَزْهُو بِسُورِ زَانَهُ نَوْرٌ وَحَاطَهُ  
لِسَادَاتٍ كِرَامٍ حَيْثُ حَلُّوا رَأَيْتَ الْحِلْمَ أَفْرَشَهُمْ سِاطَةً  
وَقَدْ كُنَّا جَمِيعاً فِيهِ يَوْماً سَقَاهُ اللَّهُ مَا أَحْلَى انْحِطَاطَةَ

يقول مؤلفه غفر الله له، وبلغه سوله: وهذه الأبيات المذكورة سمعتها من ناظمها، ورأيت في مسجد الجموم زيادة عليها، فلم أتعرض لكتابتها، والحماسة المذكورة هي عند

بركة لطيفة مشهورة في أصيلة يقال لها مُغِيضَة<sup>(٤٠)</sup> عمرها ٤٠ / سلطان مكة كان، وجدُّ سلاطينها الآن، السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، تغمده الله بالرحمة والرضوان.

ثم بعده في الأربعين من القرن العاشر، عُمِّرَ في الجُمُوم بجانبها بركة صارت نزهة للناظر، في أصيلة تُسَمَّى البقية (؟) والعمارة عمرها القائد الكبير جوهر المغربي، لسيد الشريف سلطان الحجاز المنيف، نجم الدين أبو نُمَيٍّ محمد، نصره الله تعالى وأيده، فتوجهت لرؤيتها مع جماعة الفقهاء والرؤساء النبهاء، فحصل لنا فيها الانشراح، والبسط والمزاح، فضمن بعضهم ذلك على أحسن المسالك، فقال العلامة الأديب الخطيب البليغ الأريب، محي الدين عبد القادر بن عبد الرحمن الشهير بالعراقي، المكي الشافعي، أعزه الله تعالى، وكان له ولي، وسمعت من لفظه بوادي الجُمُوم، في البركة المذكورة، سلخ صفر، عام سبع وأربعين وتسع مئة قد نظم بديهاً في وصف حالنا المشار إليه هنا، وهو:

لَذَّةَ عَيْشٍ مَا لَهَا مِنْ مِثْلٍ	لِلَّهِ أَيَّامًا قَضَيْنَا بِهَا
تَهْوَى وَمَشْمُومٌ وَأَهْنَا مَقِيلٌ	أَنْسُ وَبَسْطُ واجْتِمَاعُ بَيْنَ
مِنْ مَوْرِدِ الآدَابِ حَظٌّ جَزِيلٌ	وَنَحْنُ فِي جَمْعِ كِرَامٍ لَهُمْ
وَهُوَ (آصِفُ خَانَ) الْوَزِيرِ الْجَلِيلِ	وَالْمُسْنِدُ الْعَالِي لَهُمْ جَامِعُ
بَالِدٌ وَالطَّيِّبُ ضَحَى مَعَ أَصِيلِ	فِي بَرَكَةِ أَرْجَاؤِهَا عُطِّرَتْ
وَضَلُّهَا الْوَارِفُ ظِلُّ ظَلِيلِ	بِبَطْنِ مَرٍّ قَدْ حَلَا مَأْوَاهَا
مَالِكُهَا الضَّرْغَامُ حَامِي التَّزِيلِ	وَزَانَهَا طَلْعَةُ سُلْطَانِنَا
بِهِ الْمَطَايَا وَأَجَارَ التَّزِيلِ <sup>(٤١)</sup>	(أَبُو نُمَيٍّ) خَيْرٌ مِنْ أَرْقَلَتْ
بِالطَّغْنِ وَالضَّرْبِ وَمُشْفِي الْغَلِيلِ	وَفَارِسُ الْهَيْجَاءِ يَوْمَ الْوَعَا
وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ	لَا بَرَحَ السَّعْدُ لَهُ خَادِمًا

## الْجُمُيْزَةُ : (٤٢)

من أعمال هَذَّةِ بني جابر، قرية لطيفة في سفليها، فيها نخيل ومزارع، وعين جارية، تضعف بعض الأحيان، لقلة المطر في هذه الأزمان، وكان لأجداد والدي من جهة أمِّه بني العجميُّ أملاكٌ بها، وأوقاف على فقرائها، وصار بعضها لوالدي فأجرَّ غالبها قبل وجودي، وبعضها باقٍ إلى الآن، واضع يده عليها من استأجرها، فالله تعالى يُحقِّقُ الحقَّ ويُمِّنُ بعودها، وعدد وجاب عينها (٤٣).

## حرف الحاء المهملة

### الحادثة (٤٤)

### والحميمه (٤٥) :

وتعرفها العرب الآن بالجديدة وقديماً بالمباركة /٤١/ وهي قبلي البرابر، فيها مزارع للحب والخضرة، تسقى بها بالسانية المزارع، ويعين عذبة، وعدد وجابها ستة عشر من قصير، عن اثنين وثلاثين وجبة من طويل، وكل وجبة باثني عشر ساعة، كما مضى قبلها في الأودية، وغالبها لورثة صاحب مكة كان، وجد سلاطينها الآن، السيد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، تغمده الله بالرحمة والرضوان.

وبلغني أنَّ قبلي أرض فراس قرية أخرى تعرف بالمباركة، أخذتها وليُّ الله تعالى الشيخ عبد الكبير الحضرمي - نفع الله به - للزراعة، وأجرى إليها الماء من أرض حسان، بل حفر فيها آباراً في المكان، وأحبي بها في كل آن، وعلى الله المستعان.

### حَدَّة (٤٦) :

- بفتح الحاء المهملة بعدها دال مشددة، قريب من الركاني وسرَّوعة -

قال جدِّي الحافظ نجم الدين عمر بن فهد المكي رحمه الله تعالى، في مسودة «بلدانياته» هي قرية في وادي مرٍّ من أعمال مكة المشرفة، وإنَّا عُرِفَتْ بهذا الاسم لأنَّها

آخِرُ حَدِّ وادي مرٍّ، ويقال: إنها آخر حَدِّ وادي الصَّفراء، وهو غلط ولعله الصفراوات، وكانت أرض مزدرعة لبني البدرية، فباعوها واشتراها منهم الشريف سليمان بن علي بن عبد الله بن موسى الحسيني، واستخرج العين، وقيل كانت العين على حالها، فبقيت في أيدي القوم مدَّة، يتقلبون بها في إدراك الغلال، فاشتراها منهم الشريف الحسين بن ثابت الشَّديدي، وغرس فيها جميع الأرض نخلاً مقدار عشرين ألف نخلة، والقوم مُلَّاكها إلى سنة اثنين (؟) وست مئة، ففي هذا التاريخ ملك الأمير الطنبغا الحجاز فتملك نخل الأشراف، وأخذ هذا المحل في جملة ما أخذ، والنخل الآن رجع سلطاني (؟) انتهى، كلام جدي رحمه الله تعالى.

أقول: وقد صار جميع النخل في تاريخنا مملوكاً للجماعة من أكابر زمننا. وعين البلد جارية، طعمها أجاج، لقربها من بحر القلزم، وبينها وبين ساحل جُدَّة ليلة كاملة، وهي متوسطة بينها وبين مكة.

وبالقرب منها الحديبية، وهي المعروفة الآن ببيئر شُمَيْسٍ، وهي بجانبها سبيل، صاحب مكة كان السيد محمد بن بركات ذي الفخر الجليل، وكانت البيعة عندها تحت الشجرة، مع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة العشرة، وغيرهم رضوان الله تعالى عنهم، وقت صلح قريش، كما ذكره الله تعالى في القرآن بقوله: (إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) الآية، وهي الآن غير معروفة<sup>(٤٧)</sup>، وعدد وجاب عَيْنِ حَدَّة ستة وثلاثون وجبة /٤٢/ من طويل، كل وجبة باثني (؟) عشر ساعة، وكل ساعة بأربعة وعشرين قيراطاً صغيراً، وبُني في قرية حدة مساكن عدة، عاليها بالخصف والجريد.

ثم حدث فيها في آخر القرن التاسع وأول العاشر، جملة دور كبار، أولها عَمَر (شاه بندر جُدَّة) كان الخواجا الأجد، جمال الدين محمد الشهير بالطاهر الصفدي المالكي، وثانيها للجمالي محمد بن فُطَيْس العمدة، وكبير الدالين بجدة، واثنان آخران لقاصد صاحب مكة للقاهرة، الشريف عنقا بن وُيَّير الحسيني المالكي، والخامس لوزير صاحب مكة في زمننا، القائد جوهر المغربي، مع عدة بيوت صغار، ينتفع بها أهل القوافل القادمين من مكة إلى جُدَّة طول الأعصار.



وبها سوق لطيف يباع فيه الأقوات للمسافرين، وقد دخلتها مراراً كثيرة، وسمعت فيها الحديث الشريف على والدي في أوقات شهيرة، كما ذكرته في بلدانياتي المسماة «الفرائد البليات، في فوائد البلدانيات» والله أعلم بالأعمال الصالحات.

### الْحُمَيْمَة :

بين البرابر وسروعة، قال الأديب ياقوت الحموي في كتابه «المشترك وضعا»: هي بضم الحاء وفتح الميم وياء ساكنة وميم بعدها هاء، كأنه تصغير الحمة - قرية بأطراف الشام في البلقاء، كان منزل بني العباس في أيام بني أمية، والثاني: قرية ببطن مرّ [ذات نخل] وبها عين ماء عذبة، وفيها يقول محمد بن إبراهيم بن قزم شاعر عصري<sup>(٤٩)</sup>. وإذا مَا نَجَعْتُ وَاِدِي مَرٌّ لِرَبِيعٍ وَرَدْتُ مَاءَ الْحُمَيْمَةِ وقال الشريف تقي الدين الفاسي في «العقد الثمين»: إنَّ صاحب مكة كان السيد أحمد بن عجلان، ملكها من غير شريك له فيها. انتهى.

أقول: وعدد وجابها الآن ستة عشر وجبة من قصير، واثنان وثلاثون من طويل، وكل وجبة باثني (٢) عشر ساعة، وكل ساعة بقيراطين كبيرين عن أربعة وعشرين صغيراً، وهي وقت تأليفنا لهذا الكتاب، في نصف القرن العاشر على الصواب، جميعها وقف لصاحب مكة كان، السيد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، تغمده الله بالرحمة والرضوان، فبعضها على سرارية وهو على ابن له<sup>(٥٠)</sup>، ومن بعدهم على ذريته، ونظرها لأكبرهم، وجميعها مزارع حب، وأشجار فاغية، التي هي ٤٣/ سيّدة رياحين الجنة، كما رواه بُرَيْدَةُ الأَسْلَمِيُّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، بلفظ: «سيد آدم الدنيا والآخرة اللَّحْمُ، وسيّدة ريحان أهل الجنة الفاغية» وفي رواية: «سيد الإدام اللحم، وسيد الشراب الماء، وسيد الرياحين الفاغية» أقول: وقد وقع لنا رواية هذا الحديث مسلسلاً بالنحاة كما ذكر الحافظان، والدي وشيخنا السخاوي في مسلسلاتهما، وقالوا: حديث ضعيف الإسناد، وإنّا ذكرته لبيان فضل الفاغية، ليعلمه العباد، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

## حرف الخاء المعجمة

### الخَضراء :

بين الجموم وأرض خالد،<sup>(٥١)</sup> فيها نخيل نظرة، وعين جارية، وحدائق ومزارع للحب والخضرة، وبعضها ملك للفقهاء، وغيرهم من الأصلاء النّبهاء، وعدَدُ وجَابِ عينا ستة عشر من قصير، واثنان(؟) وثلاثون من طويل، كل وجبة باثني(؟) عشر ساعة، وكل ساعة بقيراطين كبيرين، عن أربعة وعشرين قيراطاً صغيراً، كما في أودية(؟) وادي مرٍّ كما تقدم، والله أعلم.

### الخَفْجُ :

- بكسر الخاء المعجمة بعدها فاء وجيم ساكنة - قرية بوادي المبارك، قبالة الريّان والكدايا، فيها مزارع للحب وعين جارية، بل يقال: إنّ في عدة من الأودية أماكن تسمى الخفج،<sup>(٥٢)</sup> تعد للزراعة، منها مكان في البردّان، علُو وادي نخلة الشامية، وأما هذه القرية فلها عين جارية، عدد وجابها أربعة عشر من قصير، عن ثمانية وعشرين من طويل، وجميعها ملك للقواد من الحُمِيضات، ملّكها لهم صاحبُ مكة في زمننا ذو السعد والحركات، أبو زهير بركات، تغمّده الله بالرحمات، وكان في أول القرن العاشر عمّر عينا بعد دُمورها، فأحيا الله به معالمها، وضاعف له ثوابها.

### خَيْف بني شديد :

- بفتح الشين المعجمة، بعدها دالٌ مكسورة وياءٌ ساكنة - علُو الرّوضة وأبي عروة، يسكنه الأشراف، ذوي(؟) راجح من بني حسن الطّراف، ولهم فيه قُوّة ومنعةٌ وحميّةٌ، بَلْ يُجِيرُونَ عَلَى مَنْ يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ، ويحتمي بهم، وفي الغالب أمير مكة يُراعيهم، ويُمضي الجوّارَ على مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ، ولا أعلمُ [زمن] وجوده، ولعلَّ نسبته للشريف الحسين بن ثابت الشّديدي، الذي غرس نخل حدة - بالخاء المهملة - آخر وادي مرٍّ، من أسفلها، وهذا الخَيْفُ من علّوها.

وفيه نخيلٌ وأشجار كثيرة، ومزارع شهيرة، وعين ماءٍ حلوة عدَدُ وجابها<sup>(٥٣)</sup>...

## الحواشي :

- (١) هذه الأرض مشهورة بالفيض - بفاء معجمة - وبالقرب منها قرية الشيخ عبد الكبير المسماة الآن بـ (الشامسي) وأما (أم شميلة) لم يتغير اسمها حتى الآن وكذا نغصة) وقد درست البرك، ولم يبق منها إلا الرسوم (هامش الأصل).
- (٢) هي الآن اسمها نغصة غير مصغر.
- (٣) كذا ولعل الصواب (روضها النضر) دفعا للإيطاء في البتين. وبعد الشعر بياض في الأصل مقدار ثلاثة أسطر ذكر العصامي أن السيد قايتباي بن محمد بن بركات مات في ٢١ صفر سنة ٩١٨ بأرض حسان من وادي مّر وحمل على أعناق الرجال إلى مكة «سمط النجوم»: ٨٩/٤.
- (٤) هي الآن تعرف بأبي شبيب - هامش الأصل - [وورد في كتاب «معجم الشيوخ» لابن فهد أن بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة توفي في ٩ شعبان سنة ٨٥٩ هـ بأرض خالد من وادي مّر - ح].
- (٥) لقب (قاضي القضاة) من الألقاب المحرمة شرعاً، كما أوضح ذلك شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب «التوحيد» (٢) ذكر العصامي أن الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة توفي سنة ٨٥٩ هـ بأرض خالد من وادي مّر، وحمل على أعناق الرجال إلى مكة، توفي عصر يوم الاثنين ودخل به مكة أثناء ليلة الثلاثاء. «السمط»: ٢٧٥/٤.
- (٦) مشهورة الآن بالشامسي (هامش الأصل).
- (٧) بياض في الأصل مقدار كلمة ولعلها (بقراطين) كما سيأتي.
- (٨) بلغني أن أول من سماه بوادي فاطمة الهواشم حين تغلبوا على هذا الوادي أيام ولايتهم انتهى من إملاءات السيد محمد بن ناصر الحازمي البجلي شفاها - هامش الأصل - وذكر الفاسي أن صاحب مصر الملك الظاهر رسم لعنان وحسن بن ثقيبة لما قدما مصر وشكيا من أحمد بن عجلان (أمير مكة المتوفي سنة ٧٨٨) رسم لها بنظام الزاملة ٧٥ درهماً، وبأبي عروة قرية بوادي مّر بيد أمير مكة. «العقد»: ٩٣/٣.
- وقال السخاوي في «الضوء»: ٥١/٣ جاز الله بن بجير، من أهل وادي أبي عروة، ثم نزل مكة، ممن سمع مني بها في سنة ٨٩٤ - ولم يلبث أن قُتل بجدة، وراح هدرًا. انتهى.
- أرض نافع :
- ذكر الفاسي أن الشيخ أحمد بن عبد الله بن العفيف الهبسي المتوفي سنة ٨٢٠ كان يعاني الزراعة فيها خلفه له أبوه وأخوته من الأراضي والسقاي بأرض نافع من وادي نخلة. «العقد»: ٧٤/٣.
- الأصيفر :
- قال الفاسي في ترجمة أمير مكة الشريف أحمد بن عجلان المتوفي سنة ٧٨٨: ويسر الله له عقاراً طائلاً بوادي مّر، عظم انتفاعه به، وذلك خيول أحيائها فلكها من غير شريك فيها وهي الأصيفر، والبحرين والبثني والحميصة: «العقد»: ٩٥/٣.
- (٩) هذا اسمها حتى الآن لم يتغير تملكها خزاعة والأشراف ذوي غيث. من ذوي بركات - هامش الأصل.
- (١٠) البحار: قال في «المناسك» ص ٤٦٥ - وعلى أربعة أميال من مّر - أي للمتجه إلى مكة - يترعرع بالبحار.
- (١١) بياض في الأصل.
- (١٢) والآن مشهور بعين المضيق، كان يملك غالبه الأشراف الحرث، ثم انتقل بالشراء للعبادلة وذوي زيد، وبه قرنتان للحرث ونباتة من هذيل - هامش الأصل.

- (١٣) لا أدري لم لقيه بـ (الأمير) وهو مملوك، وفي «المشرك وضعاً والمفترق ضقعا» - المطبوع - ص ٤٣ - : (عشرة مواضع) وعدّ عشرة،
- (١٤) في الهامش (لعله الأسدي) وأقول: يظهر أن الكتاب هو «كتاب المناسك» للحري فقد ورد في هذا الكتاب في وصف طريق الحج - ص ٣٥٤ - والبردان جبل سمي بذلك لأن الشمس لا تكاد تصيبه، وهو مشرف على وادي نخلة، وفي سفحه هذه الضيعة، عيون كثيرة، وأحواض عظيمة، وبساتين وقصر لا يتزله الناس) وقبل هذا: (والتنضب بعد خيف السلام، متصل به، ثم البردان والبردان على ميلين من البستان، بها قصور للسلطان، وعين تجري، وعند السابغ من البريد بمنه قصر للخليفة، مبنى بالساج والذهب، والبردان جبل) الخ.
- (١٥) وهذه البركة موجودة الآن على ثلاث مراحل من مكة يتزل الحاج إذا خرج على طريق الشرقي مربعة البنيان من رأسها إلى قعرها قدر خمسة عشر قامة تجتمع بها المياه أيام الأمطار ثم تنجح (؟) إلى العلم القابل مع كثرة الوارد من الحجاج والأعراب وهي ذات عرق الميقات المعلوم لأهل العراق - انتهى من هامش الأصل ولكن ميقات حيج العراق هو ذات عرق، بعيد عن هذه البركة بمسافة تقرب من مسيرة يوم.
- (١٦) بياض في الأصل.
- (١٧) لم يتغير اسمها حتى الآن وكذا الحميصة والقصر هناك لم يبق منه إلا أثره - من هامش الأصل -
- (١٨) بياض في الأصل وكلمة (عيالي) ليست واضحة وكذا ما بعدها من الكلام ليس مفهوماً.
- (١٩) لم يتغير اسمها حتى الآن وبالقرب منها معدن المدر - هامش الأصل -
- (٢٠) لم يتغير اسمها حتى الآن، آلت بالشراء لمولانا الشريف عبدالله بن عون ولورثته من بعده، وبها آثار القصر المذكور، وبظاهرها مرابط الخيل على الوصف المذكور أساطين مدورة - هامش الأصل - ولعلها هي التي سماها بعض الرحالين البرقاء.
- قال الجزيري في «الدرر الفرائد المنظمة» - وهو بصف الطريق من خليص إلى مر الظهران - : وغدى بأول الديسة وبعد عسفان منزلة العقال (؟) التي صلى النبي ﷺ فيها صلاة الخوف ... وسار إلى أن قطع طارف المنحنى، ويسمى عند الدلاء طارف البرقاء، وعشى بالقرب من جبل المنحنى ... وبهذه المنزلة في هذا الزمان تحضر أقارب أمير مكة للملاقة أمير الحاج المصري. وكانت العادة بمغداة بطن مر... وسار من جبل المنحنى فقطع جبل العميان، سمي به لكثرة من يحضر إليه من فقراء مكة وغالبهم من العميان للسؤال من الحاج .. وكان نزول أمير الحاج إلى وادي مر الظهران ليلاً واستمر سائراً إلى وادي الزاهر. انتهى والديسة: اسم لمحل كثير الثبت والطارف: الجبل.
- والبرقة: هي من أقدم قرى الوادي، فقد ذكرها الرحالة ناصر خسرو الذي زار مكة سنة ٤٤٢ (١٠٥٠) فقال في «سفرنامه» ص ١٢٤ و ١٣٤ - الطبعة الثانية ما نصه: (وعلى مسافة نصف فرسخ من طريق برقة بئر تسمى الزاهر، عنده مسجد جميل وماء هذا البئر عذب ويحمله السقاؤون إلى مكة لبيعهم) وقال أيضاً: (وعلى مسافة أربعة فراسخ شمالي مكة ناحية تسمى برقة بها أمير مكة مع جيش خاص به، وهناك ماء جار وأشجار، ومساحتها فرسخان طويلاً في مثلها عرضاً).
- وذكر الفاسي في «العقد»: ٩٤/٤ أن أمير مكة حسن بن عجلان استدعى في ١٢ شوال سنة ٨٠١ من في خدمته من الترك وعلمانه فذهبوا إلى الوادي ومضوا معه إلى الخيف فقطعوا فيه ثمر نخيل ذوي راجح، وقطعوا بالبرقة نخلاً لبني أبي سويد، وقطعوا في الروضة الخضراء نخيلاً للأشراف، لأنهم دخلوا على الحميضات بعد عودهم من الشرق فأذهبهم بذلك.

البريقة: نخل في خيف بني شديد، على ما جاء في كتاب «العقد الفخمين»: ٨٩/٤.

بستان ابن معمر: مجتمع النخلتين، النخلة الجمانية والنخلة الشامية، وهما واديان، والعامية يسمونه بستان ابن عامر، وهو غلط. قال الأصمعي وأبو عبيدة وغيرهما: بستان ابن عامر إنما هو لعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، ولكن الناس غلطوا فقالوا: بستان ابن عامر وبستان بني عامر، وإنما هو بستان ابن معمر، وقوم يقولون نسب إلى حضرمي بن عامر وآخرون يقولون: نسب إلى عبد الله بن عامر بن كريض وكل ذلك ظنّ وترجم، وذكر أبو محمد عبد الله بن محمد البطليوسي في «شرح كتاب أدب الكاتب» فقال: وقال - يعني ابن قتيبة -: ويقولون بستان ابن عامر، وإنما هو بستان ابن معمر، وقال البطليوسي: بستان بن معمر غير بستان ابن عامر، وليس أحدهما الآخر، فأما بستان ابن معمر فهو الذي يعرف ببطن نخلة وابن معمر هو عمر بن عبد الله بن معمر التيمي، وأما بستان ابن عامر فهو موضع آخر قريب من الجحفة، وابن عامر هذا هو عبد الله بن عامر بن كريض استعمله عثمان على البصرة، وكان لا يعالج أرضاً إلا أنبط بها الماء، ويقال أن أباه أتى به النبي ﷺ وهو صغير فعوضه وتفل في فيه فجعل يتمص ريق رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إنه لمسي»، فكان لا يعالج أرضاً إلا أنبط فيها الماء «معجم البلدان».

بشرا: قال الفاسي في ترجمة أحمد بن محمد القسطلاني المكي المتوفي سنة ٧٧٦ (ووقف وفقاً على مسجد بشرا بنخلة الشامية) كذا ذكر - وفي «القاموس المحيط» بشرى كجمزى - بلدة بمكة بنخلة الشامية.

(٢١) كذا وهو من الشعر العامي وكلمة (نذلي) لعل صوابها (بنّ لي) أي تبين واربر.

(٢٢) قد تغير اسمها بالجديدة، وبها آثار الحصن، ونباتة وبني مسعود موجود عقهم يجبل يقال له جبل بني مسعود، أجود الأعمال الجلوية لمكة أعساله، وعائرة قد انقرضوا - هامش الأصل -

(٢٣) كتاب «المناسك» وهو الذي يعبر عنه المؤلف باسم «منازل الحاج» لا يوجد فيه هذا النص

(٢٤) يياض في الأصل.

(٢٥) هذا اسم الوادي حتى الآن، واسم العين لم يتغير وهي الآن مملوكة لسيدنا وسيد الجميع أمير مكة حالياً عون بن محمد طالت أيامه ودام إنعامه ببيت المقدس علوم ردي

آمين آمين لم أقنع بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

- هامش الأصل.

(٢٦) في الأصل (العذب الخامس) والكلام بعده يظهر أن فيه نقصاً. ولعل والصواب: (وهو الآن لبني حسن) الخ.

(٢٧) يياض في الأصل. وذكر صاحب «المناسك» - ص ٥٣٤ - التنضب، وأنه بعد خيف السلام للمتجه إلى مكة متصلاً به. وقال باقوت: تنضب قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة فيها عين جارية ونخل. ولا أرى قوله بأعلى نخلة صحيحاً، بل هي بأسفلها.

وذكر الفاسي أن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الطبري المتوفي سنة ٧٩٣ سكن قرية التنضب من نخلة الشامية، وأمّ بها وياشر العقود بها نيابة عن أبي الفضل النويري.

كما ذكر في ترجمة الشيخ محمد بن محمد الطبري (٨١٥/٧٦١) أنه - أي الفاسي سمع منه في مسجد التنضب بنخلة بعض «الأربعين التساعية» وأنه كان يوم بمسجد التنضب ويخطب فيه ويتولى عقود الأنكحة نيابة عن قضاة مكة. «العقد» ١٠٣/٢ و ٢٩٧.

وقال الفاسي أيضاً في ترجمة رميثة بن أحمد الهذلي المسعودي المتوفي سنة ٨١٩: كان من أعيان الخفراء الذين يسكنون قرية سولة من وادي نخلة الجمانية وأظن أن السبب في شهرته بالخفير هو وأقاربه لكون بعض

أجدادهم يخفرون الحاج العراقي إذا قدم عليهم بلادهم ولا مندوحة لهم عن المرور بقرية التنضب من وادي نخلة الشامية وأمرها لبني مسعود الذين الخفراء منهم «العقد»: ٤٠٣/٤.

(٢٨) لم يتغير اسمه حتى الآن وهو الآن للاشراف ذوي حسان وللسادة الأمراء بقايا الهواشم - هامش الأصل - في ٤ صفر سنة سبع مئة وواحد توفي أبو نجي من خراج في مقعده، ومواضع في بدنه في وادي الجديد من أهال وادي مر. «الدرر الفرائد» وفيه أيضاً:

سنة ٧١٥ خرج السيد حميضة وأحرق المال والبر وهو مئة حمل وأحرق الباقي في الحصن الذي في الجديد بوادي مر الظهران وقطع ألي نخلة، وتوجه إلى الخلف والحليف وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام. وذكر الفاسي على ما في «الدرر الفرائد» أن أمير مكة حسن بن قتادة أقام في الجديد في سنة ٧٩٨ حتى جاء الموسم.

وذكر أن رميثة - وهو خارج على أمير مكة - أقام في الجديد بعد سفر الجلاب من جدة إلى شعبان سنة ٨١٨. ثم ذكر أن أمير مكة نزل بالجديد من وادي مر واستولى على غلال أموال رميثة، وما قدروا على أخذها منه وهو بالجديد ساكن إلى آخر جهادى الآخرة سنة ٨١٩.

وذكر الفاسي في ترجمة أمير مكة سند بن رميثة بن أبي نجي أنه حصل خلاف بينه وبين عجلان فخاف سند على نفسه فأقام بالجديد في وادي مر وذلك سنة ٧٤٦. «العقد»: ٦١٩/١٢٢/١٢١/٩٠/٤. وذكر العصامي أن ثقبه بن رميثة مات في شوال سنة ٧٦٢ بالجديد وحمل إلى مكة - «السمط»: ٢٤٣/٤.

وفهم من كلام العصامي أنه حصن في وادي مر وقد ذكر الفاسي في ترجمة ثقبه بن رميثة المتوفى سنة ٧٦٢ أنه توفي في الجديد، وحمل إلى مكة. «العقد»: ٣٩٨/٣.

الجديدة: قال العصامي في الكلام على أمير مكة رميثة أنه لما تولى سنة ٧١٥ سمع أخوه حميضة بذلك ففرغ. وكان والياً لمكة فأخذ المال من النقد والبقر وهو مئة حمل وأحرق الباقي في الحصن الذي في الجديدة من وادي مر وقطع ألي نخلة. «السمط»: ٢٢٨/٤.

وقال في موضع آخر وفي رمضان سنة ٧٣٦ هجم رميثة على مكة وخرج منها بعد قتل وزيره وبعض أصحابه وعاد إلى الجديدة. «السمط»: ٢٣٦/٤.

(كذا ورد الاسم في مطبوعة كتاب العصامي، وأخشى أن يكون خطأ، وأن الصواب: الجديد المتقدم ذكره).

(٢٩) في كتاب «البلدان» أو «ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع» وقد ذكر الحازمي هذا في (باب مرّ وممر) وقال بعده: (ومرّ عيون كثيرة ونخل وجميز، قال الواقدي بين مرّ ومكة خمسة أميال، وبين مكة وضجّان خمسة وعشرون ميلاً، وهي لأسلم، وهذيل، وغاضرة - وذكر: (باب ظهران وطهران) نحواً من هذا وزاد (وقد جاء ذكرهما في غير حديث).

(٣٠) هذا غلط بين، والمذكور في السير أن ذلك كان بالحديثة، وهناك كانت شجرة البيعة المذكورة في التنزيل، بل هذا منزله صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة، والصفراوات مشرفة على مسيل هذا الوادي، ومنها يهبط إليه وهناك آثار سوق الجاهلية مجنة المذكور في شعر الجهمي:

وهل أردن يوماً مياه مجنة  
وهل يبدون لي شامة وطفيل - هامش الأصل -

(٣١) كذا والصواب (مسجداً عظيماً مبيناً) الخ.

(٣٢) ذكر الجلال السيوطي أن أسواق الجاهلية كانت ثلاثة مجنة بمر الظهران والمجاز بوادي نعمان، وعكاظ أسفل

- من الطائف ويعرف الآن بالعبّلا، محل بينه وبين الطائف نصف مرحلة لجهة الشرق انتهى مشافهة تعيين هذا السوق من الشيخ عبد الرحمن سراج للشيخ عبد الله بن عون كذا حكاية منه لي ثمة - هامش الأصل.
- (٣٣) كذا والصدر مختل المبني والمعنى.
- (٣٤) كذا ولعل الصواب (وهنا في عيشه) الخ.
- (٣٥) فوق كلمة (الفرع) في الهامش: (الصنو أحسن).
- (٣٦) في الهامش: (طظ: ٩٠٩) أي أنها في حساب الجمل تقابل هذا الرقم إذ (ط = ٩ وظ = ٩٠٠) ثم في الهامش أيضاً:-
- انظر إلى هذا التاريخ وشيبهه للشيخ الفاضل السيد [...] لما طلع إلى الكالية وآهم يفرسون الأزهار فعل لهم تاريخاً فجاء بعد أبيات:
- تاريخه جا (اغر) انتهى ومكان النقط كلمات غير واضحة وكلمة (اغر) - ١٢٦١ فهو التاريخ.
- (٣٧) ترجمة الزركلي في «الأعلام» ج ١ ص ١١٥ - نقلاً عن «النور السافر» ص ١٢٦ - بما ملخصه: أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين المكي ولد في مكة سنة ٨٥١ وتوفي فيها سنة ٩٢٦ - ورحل إلى القاهرة، وأخذ عن علمائها، وتكسب بالتساخته، وألف كتاباً للسلطان بايزيد بن عثمان سماه «الدر المنظوم»، في مناقب سلطان الروم، فرتب له خمسين ديناراً في كل سنة، ومدح شريف مكة بركات بن محمد، فحظي عنده. ووصف الأستاذ الزركلي بعض شعره بالحسن.
- (٣٨) كذا ولعل الصواب: (ومولده).
- (٣٩) كذا ولعله (ومن يكفى).
- (٤٠) ومغبضة هذه الآن مملوكة لسيدنا وسيد الجميع أمير مكة حالاً الشريف والمعلم المتيف عون بن الشريف محمد بن عون والبركة موجودة إلى الآن تسمى المغربية - هامش الأصل.
- (٤١) هذا الوصف لا يليق إلا بالمصطفى عليه الصلاة والسلام.
- (٤٢) لم يتغير اسمها حتى الآن وهي ميتة لم يستخرجها أحد بأسفل وادي الهدى وهي الآن مملوكة للأشراف ذوي عمر - هامش الأصل.
- (٤٣) بياض في الأصل.
- (٤٤) لم يرد تعريف لموقعها.
- (٤٥) هي الآن ملك بغضها للشيبي عبد الله صاحب مفتاح البيت وباقيها للأشراف - هامش الأصل. وسيأتي ذكر الحميمة، ولا محلّ لذكرها هنا فيما يظهر.
- (٤٦) هي الآن مملوكة لورثة مولانا الشريف الحسين بن عون وكذا الركاني، وأما سروعة غالباً الآن للأشراف ذوي حسين - هامش الأصل.
- نقل الجزيري: إنه في سنة ٧٤٨ وقع بمكة ونواحيها فناء عظيم .. قيل إنه لم يبق بمكة - بالحاء المهملة - سوى أربعة أنفس وكان الوفاء عاماً. «الدر الفرائد المنتظمة».
- وذكر ابن فهد في «الدر الكفين» أن حذاء من وادي مرّ - ذكر هذا في ترجمة علي بن أحمد بن عامر المتوفي سنة ٨٥٤ هـ وذكر أنه توفي بمحذاء من وادي مر. وانظر «معجم البلدان».
- (٤٧) لعله يعني الشجرة وأما البئر معروفة حتى الآن وقد كانت هذه الشجرة تزار للتبرك بمحل البيعة فقطعها سيدنا عمر رضي الله عنه لقرب عهد الناس بعبادة الأوثان فخاف أن تتخذ وثناً - هامش الأصل.
- (٤٨) كذا وفي «معجم البلدان»: (قرية) وكذا في «المشارك» ص ١٤٦ - وليس فيه: (ماء عذبة).

(٤٩) ونصّ كلام ياقوت في «ماجم البلدان»: - عن الحميمة هذه: - قرية بيطن مرّ، من نواحي مكة، بين سروعة والبريرا (؟) فيها عين ونخل، وفيها يقول محمد بن ابراهيم بن قرية العثري، شاعر عصري، أنشدني أبو الربيع سليمان بن عبدالله المكي المعروف بابن الرحمان، قال: أنشدني محمد بن قرية لنفسه:

مرتعي من بلاد نخلة في الصب  
ف بأكناف سولة والزيمة  
وإذا ما نجعت وادي مر  
لربيع وردت ماء الحميمة  
رب لبل سريت بمطرننا الما  
ورد والندّ فيه يعقد غيمه  
بين شمّ الأنوف زرت عليهم  
جالبات السرور أطناب خيمه

وانظر عن هذا الشاعر كتاب «المناسك» ص ٣٥٥.

(٥٠) كلمة (وهو على ابن له) فوقها كلمة غير واضحة.

(٥١) ذكر ابن فهد في «معجم الشيوخ» في ترجمة الشيخ موسى بن أحمد بن جارالله بن زايد السبسي المكي (٧٨٣ / ٨٦٢) أنه مات في ضيعة الخضراء بوادي مرّ، وحُمل إلى مكة.

(٥٢) الجيم في هذا الاسم مبدلة عن القاف، كما ينطقها العامة، والاسم يطلق على قرى متعددة.

(٥٣) يياض في الأصل.

ذكر الفاسي أن أمير مكة ثقبه المتوفى سنة ٧٦٢ لما حصل الخلاف بينه وبين أخيه عجلان سنة ٧٥٨ ارتحل من الجديد إلى خيف بني شديد، ثم أتى نخلة. وذكر أيضاً أنه لما قتل علي بن عجلان سنة ٧٩٧ أشار جارالله بن حمزة بن راجح بن أبي نمي على آل بني نمي بعدم الخروج من الخيف عندما عزم آل عجلان على محاربتهم وأن يكون قتالهم لآل عجلان عند الخيف. «العقد»: ٣٩٨/٣ و ٤٠٥.

وذكر الفاسي أيضاً في ترجمة الشريف حسن بن عجلان أمير مكة أنه في سنة ٧٨٨ أمر علي بن كبيش أن يخرج بجاعة من أهل مكة إلى خيف بني شديد ليقطعوا فيها نخيلاً للإشراف فقطعت نخيل البانجة والبريقة بخيف بني شديد وكلاهما لبعض الأشراف «العقد»: ٨٩/٤.

وذكر العصامي في الكلام على أبي الغيث بن أبي نمي والي مكة سنة ٧١٣ أن أخاه حميضة قصده فانهزم وفر إلى أخواله هذيل بوادي نخلة، ثم التقيا في ٤ ذي الحجة سنة ٧١٤ فغلب حميضة أبا الغيث فأسره، ثم أمر بعض عبيده بقتله فقتله بخيف بني شديد ذبحاً بحضرة الناس ونقل عن «عمدة الطالب» أن حميضة استدعى اخواته للضيافة فلما اجتمعوا ما راعهم إلا أبو الغيث مقتولاً، في جفنة مسلوقاً كما هو وقد وضع بين أيديهم، وعلى رأس كل واحد منهم غلامان أسودان... «السمط»: ٢٢٨/٤.

خيف بني عمير: ذكر الفاسي في ترجمة الشيخ محمد بن محمد الصاغان الحنفي (٧٦٩ / ٨٢٣) أنه سكن بخيف بني عمير من وادي نخلة وكان يؤم الناس به ويخطب ويعقد الأنكحة إلى أن توفي. «العقد»: ٣٣٣/٢.

وذكر أيضاً أن أمير مكة حسن بن عجلان عاد من الطائف وسلك طريق نخلة البمانية فلما كان بالزيمة أمر بقطع نخيل فيها وبإخراها، لعتبه أمراً على أهلها، فاستعطفوه وهادوه بخيل، ومضى منها إلى سولة ثم إلى خيف بني عمير ثم إلى المبارك ثم إلى وادي مرّ وأتى منه إلى مكة في رجب سنة ٨٢٢ (؟) «العقد»: ١٣٥/٤.

الخلص: لما نقل الأستاذ رشدي ملحس عن ياقوت: الخلصة قرية بمر الظهران قال: أما اليوم فلا توجد قرية تسمى الخلصة في الوادي المذكور وإنما يوجد في هذا الوادي خيف يسمى عين الخالص ويقول المعمر من أهل الحجاز أن مرّ الظهران كان يحوي ثلاث مئة وستين خيفاً درست أكثرها ولم يبق منها إلا خمسة وأربعون. «أخبار مكة» للأزرقي ٢٦٨/١ (حاشية).





## "الدكاترة" والعَبَثُ بالتراث!!

- ١١ -

٧٠٨ - ص: ١٤٩:

طَلَّ الْحَدِيثُ كَمَا تَسَاقَى عُصْبَةُ صِرْفًا مُشْعَشَعَةَ الْحَدِيثِ شُمُولًا

تساقى وردت في المطبوعة (تسامى) وفي هامشها: (تساقى) تحريف وفي هذه الصفحة: (فيهم) تُخَاجِي: تَطْوِيحُ بِأَيْمَانِهِم) والصواب: (فيهم) تُخَاجِي: تَطْوِيحُ بِأَيْمَانِهِم).

وفيها: (الذي تهيأ للمطر) والصواب كما في الأصل: (الذي قد تهيأ للمطر).

الخلاصة: من قرى مكة بوادي الظهران على ما جاء في «معجم البلدان».  
تخليص: قال الأستاذ رشدي ملحس: خليص قرية في وادي فاطمة. «أخبار مكة» ٧٩/١ حاشية.  
وأقول: ليس معدوداً من الوادي بل يفصل بينهما عسقلان.  
خيف أبي الحز: قال في «المناسك» ص ٣٥٤ - وعلى ثمانية أميال من الغمير - أي للمتجه إلى مكة -  
عين يقال لها خيف أبي الحز وقصر مبنى بالساج والذهب، ومشرفة للدواب، وغير ذلك يمته عيون سوى ذلك لسائر الناس.

خيف السلام: قال في «المناسك» ص ٣٥٤ - خيف السلام بعد عين أبي الحز - خيف أبي الحز للمتجه إلى مكة - بأربعة أميال، وبها قصر عظيم مبنى بالساج والذهب، وبساتين لأمير المؤمنين، وبه منزل للناس، وماء كثير ظاهر. انتهى.

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: لوية: موضع بالغور بالقرب من مكة، دون بستان ابن عامر في طريق حاج الكوفة، وكان قفراً قبا، فلما حج الرشيد استحسن فضائه فبنى عنده قصراً، وغرس نخلاً في خيف الجبل، وسماه خيف السلام، وفيه يقول بعض الأعراب:

خليلي ما لي لا أرى بلوثة	ولا بفنا البستان نارا ولا سكتا
تعمل جبراني ولم أدر أنهم	أرادوا زيالا من لوية أو ظعنا
أسائل عنهم كل ركب لقينه	وقد عمت أخبار أوجههم عنا
فلو كنت أدري أين أموا تبعهم	ولكن سلام الله يتبعهم منا
ويا حسرتي في إثر تكنا ولوعني	وواكبدي قد فتقت كبدي تكنا

## "الدكاترة" والعَبَثُ بالتراث!!

- ١١ -

٧٠٨ - ص: ١٤٩:

طَلَّ الْحَدِيثُ كَمَا تَسَاقَى عُصْبَةُ صِرْفًا مُشْعَشَعَةَ الْحَدِيثِ شُمُولًا

تساقى وردت في المطبوعة (تسامى) وفي هامشها: (تساقى) تحريف وفي هذه الصفحة: (فيهم) تُخَاجِي: تَطْوِيحُ بِأَيْمَانِهِم) والصواب: (فيهم) تُخَاجِي: تَطْوِيحُ بِأَيْمَانِهِم).

وفيها: (الذي تهيأ للمطر) والصواب كما في الأصل: (الذي قد تهيأ للمطر).

الخلاصة: من قرى مكة بوادي الظهران على ما جاء في «معجم البلدان».  
تخليص: قال الأستاذ رشدي ملحس: خليص قرية في وادي فاطمة. «أخبار مكة» ٧٩/١ حاشية.  
وأقول: ليس معدوداً من الوادي بل يفصل بينهما عسقلان.  
خيف أبي الحز: قال في «المناسك» ص ٣٥٤ - وعلى ثمانية أميال من الغمير - أي للمتجه إلى مكة -  
عين يقال لها خيف أبي الحز وقصر مبنى بالساج والذهب، ومشرفة للدواب، وغير ذلك يمته عيون سوى ذلك لسائر الناس.

خيف السلام: قال في «المناسك» ص ٣٥٤ - خيف السلام بعد عين أبي الحز - خيف أبي الحز للمتجه إلى مكة - بأربعة أميال، وبها قصر عظيم مبنى بالساج والذهب، وبساتين لأمير المؤمنين، وبه منزل للناس، وماء كثير ظاهر. انتهى.

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: لوية: موضع بالغور بالقرب من مكة، دون بستان ابن عامر في طريق حاج الكوفة، وكان قفراً قبا، فلما حج الرشيد استحسن فضائه فبنى عنده قصراً، وغرس نخلاً في خيف الجبل، وسماه خيف السلام، وفيه يقول بعض الأعراب:

خليلي ما لي لا أرى بلوثة	ولا بفنا البستان نارا ولا سكتا
تعمل جبراني ولم أدر أنهم	أرادوا زيالا من لوية أو ظعنا
أسائل عنهم كل ركب لقينه	وقد عمت أخبار أوجههم عنا
فلو كنت أدري أين أموا تبعهم	ولكن سلام الله يتبعهم منا
ويا حسرتي في إثر تكنا ولوعني	وواكبدي قد فتقت كبدي تكنا

وفيه: (على الحَجَرِ والصواب: (على الحَجَرِ) وهي الفرس.  
وفيه: (فأقمت الخيل) وفي الأصل: ( فأحتمت الخيل).

٧٠٩ - ص: ١٥٠: (وقال الثوباني من هِزَانَ الْمَجَازَةِ: فَرَكِبُوا الْمُفَرَّعَ. الطَّرِيقَ.  
وَزَيْدٌ مُفَرَّعُ الرَّأْسِ: للذي جَرَّبَ الأمور، مفرعة مُجَرَّبَةٍ) والصواب - كما في الأصل:  
(المُفَرَّع .. مُفَرَّعُ الرَّأْسِ ... وهامة مُفَرَّعة: مُجَرَّبَةٌ).

ومن أبعد الكلام عن الصواب تعليق المحقق على كلمة (الثوباني) قائلاً: (نسبة إلى  
الطائفة الثوبانية من المرجثة ينسبون إلى ثوبان المرجي، أو إلى ثوبان بن شهيميل) ثم  
أحال إلى «اللباب» مع أنه نقل عن كتابي عن الهجري: (بنو هِزَانَ لا يزالون معروفين،  
ويسكنون في أعلى وادي المجازة، والمجازة تقع في أسفل حوطة بني تميم، لا تزال معروفة،  
وهي غير مجازة طريق الحج العراقي). وأضيف إلى ما نقل أوضح الهجري قبيلة الثوباني  
وبلده بما ينفي صلته بطائفة المرجثة، أو بقبيلة الأسد (الأزد) فذكر أنه مِنْ هِزَانَ، وهِزَانَ  
هؤلاء منسوبون إلى هِزَانَ بْنِ صَبَاحِ بْنِ عَتِيكَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ يَذْكُرَ بْنِ عَتْرَةَ بْنِ أَسَدَ بْنِ  
رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارَ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ. لا يزالون معروفين، في بلادهم القديمة في أعلى وادي  
المجازة، في نعام. واسم ثوبان من الأسماء الشائعة، وهو هنا من هذه القبيلة - كما هو نص  
كلام الهجري.

٧١٠ - ص: ١٥٠: (مَا لَا أَرَى دَلُوكَ صَقَوَاءَ، أَي مَائِلَةٌ)  
(صَقَوَاءَ)، صَوَابُهَا: (صَفَوَاءَ) و(مَائِلَةٌ): مَائِلَةٌ).

وأما كلمة (مَالًا) فكذا وردت في الأصل، وقد تكون من تحريف الناسخ،  
وصوابها: (مَالِي أَرَى) الخ.

٧١١ - ص: ١٥٠: (وَحَرَّكَ ابْنَهُ حَطْلًا، فَقَالَ: لَا تُصَلِّصِلْ عَلَيْنَا)  
(حَطْلًا) صَوَابُهَا - كما في الأصل: (صَطْلًا). وهو إناء معروف.

ومن أخطاء هذه الصفحة: (وَأُنْشِدُنِي فِي مَدَحِ رَجُلٍ) وفي الأصل: (وَأُنْشِدُ فِي  
مَدَحِ رَجُلٍ).

٧١٢ - ص: ١٥١: (الْمُتَّهَبُ: قَرْيَةٌ لِسَبَسَ، مُقَابِلَةُ أُنْجَا مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ، فِي

الغرب عن قَيْدِ يَوْمَيْنِ، بها هَزَمَ أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان) يوضح هذا الكلام ما جاء في كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري القسم الرابع من الجزء الأول ص: ٦٢٢ - تحقيق الدكتور إحسان عباس ومطبوعة الجامعة العبرية - ١٢٤/٥ - في الكلام على أبناء عثمان بن عفان - فذكر أن عبدالله الأكبر بن عمرو بن عثمان كان يُسَمَّى الْمُطْرَفَ لجمالِهِ - وأورد فيه شعرا، واسترسل في ذكر أخبار آل عثمان. إلى أن قال: وَقُتِلَ أُمَيَّةُ بْنُ الْمُطْرَفِ، بِقُدَيْدٍ، وكان عبد الواحد بن سليمان قد وَلَّاهُ على أَسَدٍ وَطِيِّ، فجاءه سبعون من فزارة، وذلك في أيام مروان بن محمد، فسألوه أَنْ يُخْرِجَ بِهِمْ معه، ليغيروا على طِيٍّ لثَّارِ كَانَ لَهُمْ فِيهِمْ، فَخَرَجَ بِهِمْ، وَتَجَمَّعَ إِلَيْهِمْ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعَادِنِ، طلباً لِلْغَنَائِمِ، فلقيه مَعْدَانُ الطَّائِيِّ بِالْمُنْتَهَبِ، فِي جَمَاعَةٍ مِنْ طِيٍّ، فهزموه، وقد كانوا عَرَّضُوا عَلَيْهِ أَنْ يُرَدَّ فزارة، ويأتي فيمن أَحَبَّ لَأَخْذِ صَدَقَةٍ أَمْوَالِهِمْ، وفي ذلك يقول مَعْدَانُ يَعْتَذِرُ إِلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ، ويذكر عرضهم على أُمَيَّةَ أَنْ يُرَدَّ فزارة، ويعطوه صدقاتهم:

أَلَا هَلْ أَتَى أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَرْضُنَا خِصَالاً مِنَ الْمَعْرُوفِ، يُعْرِفُ حَالَهَا  
عَلَى عَامِلِينَا وَالسُّيُوفَ مَصُونَةً بِأَغْمَادِهَا مَا زَابِلَتْهَا نِصَالُهَا  
أَتَيْنَا إِلَى فِرْتَاخَ سَمْعاً وَطَاعَةً نُودِّي الزَّكَاةَ حِينَ حَلَّ عِقَالُهَا  
وَمِنْ قَبْلِ مَا صِرْنَا وَجَاءَتْ وَفُودُنَا إِلَى قَيْدٍ حَتَّى مَا يُعَدُّ رِجَالُهَا

- في أبيات من قصيدة طويلة أوردتها صاحب «منهى الطلب» ونشرت في مجلة «المورد» في ص ٢٦١ من العدد الثالث من المجلد الثالث.

وعلى هذا فصواب كلمة (هَزَمَ): (هَزَمَ).

وقول المحقق في الهامش: (حائل موضع باليمامة لبني نُعَيْرٍ، وقيل: ماء في بطن المُرُوت في أرض بني يربوع، وقيل وادٍ في طي (٩) - أنظر «المراصد» وهي الآن مدينة عامرة على طريق العراق إلى مكة من ناحية النجف). وأقول: اسم حائل يطلق على موضعين: أحدهما يقع في جنوب الوشم - جنوب نجد، حيث بلاد بني نُعَيْرِ بْنِ عامر،

وبني حِمَّان - من تميم، مُتَّصِل بِالْمُرُوت، وفيه يقول الراجز:  
إِذَا قَطَعْنَا حَائِلًا وَالْمُرُوتَ فَيَأْبَعِدُ اللَّهُ السَّوِيقَ الْمَلْنُوتَ  
وقد حدَّد هذا الموضع صاحب كتاب «بلاد العرب».  
والموضع الثاني: وادٍ تنحدر فروعه من جبل أجَا - أحد جبلي طيء - أنشئت فيه  
بلدة أصبحت الآن من أعظم مُدُن المملكة - تحدث عنها بتفصيل في «المعجم الجغرافي»  
- قسم شمال المملكة -

ومما ورد من الأخطاء في هذه الصفحة:

١ - قردب الضغن والصواب: (قُرب الضغن) والمقصود جبل رَمَّان، الذي لا يزال  
معروفًا، والضَّغْنُ سفح الجِرار الشرقي.

٢ - في الحاشية: (عدنة موضع بنجد، في جهة الشمال من البرية) ثم الإحالة إلى  
«مراسد الاطلاع» وهو نصُّ ما في هذا الكتاب، ولكن العبارة وردت فيه مُحرَّفة  
فـ(البرية) صوابها (الشَّربة) كما في أصل الكتاب وهو «معجم البلدان» وأكْرُرُ القول بأنَّ  
كتاب «مراسد الاطلاع» لا يصلح أن يكون مرجعًا للباحث بدون التَّيْبِتِ من نصوصه  
بمقابلتها بأصولها في «معجم البلدان» وقد أوضحت موقع عَدَنَة في «المعجم الجغرافي» قسم  
شمال المملكة.

٣١٧ - ص: ١٥٢: (رَمَّانُ: عن المشهب يَّيُوم، مِنْ عَدَنَة).

والصواب: (عن المُتَّهَب) وقبل هذا:

(وأنشدني - محمد بن هُرَيْر المُرِّي:

أَيَا حَبْدَا رَمَّانُ وَالْجَرَّعُ الَّذِي تَحْفُ بِهِ رَمَّانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
فَأُغْرِضُ عَنْ رَمَّانَ وَالْقَلْبُ وَامِيقُ لِرَمَّانَ إِغْرَاضَ الْعَدُوِّ الْمُحَارِبِ

وفي المطبوعة: (والجزع).

أمَّا كلمة (رامق) فكذا وردت في الأصل، ولها معنى، وقد تكون (وامق).

٧١٤ - ص: ١٥٢:

تَحُلُّ جَنًّا وَالظُّهْرَ رَابِعَةً بِهِ وَمَحْضَرُهَا بِالصَّيْفِ جَوْ عِتَانٍ  
لا كما في المطبوعة (والظهران بعة به).

٧١٥ - ص: ١٥٢: (عتان من أعراض خيبر، مما يلي عينات).

والصواب - كما في الأصل - : (مما يلي عيّنات).

ومن أخطاء هذه الصفحة: (الصاروي) في موضعين، والصواب (الصاردي) نسبة  
إلى بني الصارد من بني مرة بن عوف من غطفان.

٧١٦ - ص: ١٥٢: (وادي البكر: طرف رمان مطلع الشمس، به حساء - ممدود

- جمع حسي - لبني القعقاع، بطن من نيهان. وأنشدني ابن هرير:

فَمَا زِلْتُ أُرْمِي الْوَحْشُ حَتَّى أُتِيحَ لِي بِأَسْفَلِ وَادِي الْبَكْرِ ظَنِّي رَمَانِيَا

ورد في هذه الجملة من الأخطاء:

١ - جمع حيس. وهي جمع حسي

٢ - أبو هرير. وهو ابن هرير.

٣ - أتيح بأسفل. والصواب: أتيح لي بأسفل - الخ -

٧١٧ - ص: ١٥٣ - وأنشدني الفزاري:

هَلْ عَيْشُ وَادِي الْبَكْرِ مُرْتَجِعٌ لَنَا  
وَهَلْ رَدُّهُ رَمَانَ الْعَذَابِ وَمَاؤُهُ  
مَضَى الدَّهْرُ أَيَّاماً لَنَا وَلِيَالِيَا  
لَقَدْ طَرَقَتْ خَسَاءٌ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ  
فَقُمْتُ مَرُوعاً لِلْخِيَالِ الَّذِي طَوَى  
وَسَيْفِي وَأَطَارِي وَأَخْلَاقُ نُمُوقِ  
رَقِيقُ السَّلَامَى وَالْوِظِيفِ مُحْمَلِجُ الْـ

بِنَعْمَائِهِ أَمْ هَلْ عَلَيْهِ عُكُورُ؟  
مُعَاوِدُنِي عَيْشُ بِهِنَّ غَزِيرِ  
بِرَمَانَ إِنَّ الدَّهْرَ لِي لَغَرُورُ  
بِذِي النَّجْلِ أَرْوَاقُ لَهُ وَسُتُورُ  
وَمَا الْآنَسُ إِلَّا نِضْوَتَانِ وَكُورُ  
وَأَضْهَبُ مِنْ سِرِّ الْهَجَانِ حَسِيرُ  
ذِرَاعَيْنِ وَاللَّفُّ التَّوَاهِضُ رِيرُ

وقع في هذه القطعة في المطبوعة:

١ - وَهَلْ - بزيادة الواو على ما في الأصل، والخَرْمُ جائر في الشعر.

٢ - ٢٢ - مكور. وفي الأصل: عكور.

٣ - بهن غبير. وفي الأصل: بهن غرير.

٤ - أَنَّ الدهر. وفي الأصل: إِنَّ الدهر.

٥ - لَقُمْتُ. وفي الأصل: قَقُمْتُ.

٦ - ستر العجان. وفي الأصل: مِنْ سِرِّ الهِجَانِ.

أما تفسير المحقق (بذي النجل) بقوله: (نجل - بالضم - قرية أسفل صفيقة بين أفيعية وأفاعين) الخ فأبعد ما يكون عن الصواب، فالشاعر يذكر أيامه بوادي البكر، وفي جبل رَمَّان، وذو النَّجْل من أوديته التي توجد فيها الأنجال - جمع نَجْل - وهو الماء الراكد في منقطعه. أما الموضع الذي بقرب صُفَيْنة - لا صفيقة - وأفيعية وأفاعية - لا أفاعين - فهو في بلاد بني سُليم في سفوح حرَّتهم، غرب الجزيرة، بعيد عن رَمَّان ووادي البكر.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

٧١٨ - ص: ١٥٤ :

وَرُبَّ فَتَى مُرَخًى النَّقَائِنِ بَادِنٌ سَتَخَسَّرَ فِيهِ عَرْسُهُ وَتَخِيبُ  
وفي المطبوعة: وتغيب، خطأ.

٧١٩ - ص: ١٥٤ : (وَأَنْتَ أَكْرَمُ النَّاسِ، وَأَطْبَاهُ، وَأَخْلَبُهُ، وَاحِدٌ).

وفي المطبوعة: (وانك الرم الناس) الخ خطأ.

وعلق المحقق على قول الهجري: (وأنشدني محمد بن الحصين الفتياني فتیان بَجيلة) تعليقا لا حاجة إليه. فقد أوضح الهجري أنه من فتیان بجيلة، وبجيلة معروف نسبها.

وكذا تعليقه على قول الشاعر في وصف فرس: (مُحَمِّلِجٌ) بأن (المحملج من الحمير) الخ فالوصف ليس لِحمار.

٧٢٠ - ص: ١٥٥ : (وانتصبت نصبة : اخترت من القوم خيارهم).  
والصواب : (انتصيت نصبة) الخ - بالمنة التحتية ، لا بالموحدة وشاهده قول كعب بن مالك :

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيبُهُ ثَلَاثُ مِثْلِينَ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ  
لا كما جاء في المطبوعة - ص: ١٥٦ - (الألف ... نصبة).

٧٢١ - ص: ١٥٦ : وَدَحَنَ يَدْحَنُ إِذَا خَصِبَ قَالَ :  
وَأَمْسُوا كُلُّهُمْ دَحْنٌ بَطِينٌ

وفي المطبوعة : وردت الكلمات بالجيم خطأً ، كما وردت (كلهم دجنا) وفي الهامش :  
(في أ - ب : دجن وهو تحريف) والتحريف ما عمله المحقق.

٧٢٢ - ص: ١٥٦ :  
أَقَمْنَا بِهَا حَتَّى إِذَا مَا تَجَرَّمَتْ مَرَابِعُهَا عَنَّا وَهَبَتْ سَمُومُهَا  
وفي المطبوعة : (مربعها منّا) تحريف.

٧٢٣ - ص: ١٥٦ :  
عَقَائِلَ مِنْ أَوْسٍ كَانَ عِيُونَهَا عِيُونُ ظِبَاءِ الْغُرَفِ أَخْلَى صَرِيمُهَا  
لا (هريمها) كما جاء في المطبوعة.

٧٢٤ - ص: ١٥٧ : (وَأَنشَدَنِي الْعَائِذِي أَحَدُ بَنِي مُطَرِّفٍ مِنْ رِبِيعَةِ بَنْتِ عُقَيْلٍ)  
وفي المطبوعة : (أحمد بن مطرف .. بن عقيل) تحريف.

٧٢٥ - ص: ١٥٧ :

قَعَدْتُ لَهُ وَهْنًا وَقَدْ نَامَ صُحْبَتِي وَلِلْعَيْنِ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِ ذَرِيفُ  
فَهَلْ تُلْحِقَنِي أَرْضَ جُمْلٍ عَوَارِفُ لَأَتِيَابِهَا بَعْدَ الْكِلالِ صَرِيفُ  
كَانَ زَفِيفَ الرُّمْدِ بِالْبَيْدِ وَخَذُهَا إِذَا احْتَشَّهَا صَبُّ الْفُؤَادِ عَنِيفُ



ورد في هذه الآيات من التحريف في المطبوعة:

١ - نام صحي: (صحتي).

٢ - عواف: (عوارف).

٣ - لأنبائها: (لأنياها).

٤ - عريف: (صريف).

أما كلمة (الرمد) فكذا وردت في الأصل، وقد تكون (الرُند).

وَفَسَّرَ المحقق كلمة (الْقَهْرُ) بقوله: (القَهْرُ: موضع قيل في الحجاز مما يلي نجد، من قبل الطائف. وقيل: موضع باليمن) وأحال إلى «مراصد الاطلاع» والقَهْرُ سلسلة من الجبال لا تزال معروفة، في جنوب نجد، شرق بلاد عسير، ممتدة من طرف السراة الشرقي، يَدْعُهَا المَتَّجِه إلى نجران من وادي الدواسر شرقه، يَحْفُ بِجَانِبِهَا الشرقي الطريق.



وتفسير المحقق لكلمة (العائذي) غير واضح.

٧٢٦ - ص: ١٥٨ : مركز تحقيقات كميوتور علوم إسلامي

فَقُلْتُ وَلَمْ أُمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَةٍ نَطَقْنَ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعٌ

وفي المطبوعة: نطقن بها. وفي الهامش: (في أ - ب: نطقي بها - حيث لا يستقيم المعنى) وما في الأصل هو ما تقدم.

٧٢٧ - ص: ١٥٨ : (والتَّزْرِيفُ طَيُّ مَرَحَلَةٍ فِي الْأُخْرَى).

وفي المطبوعة: (والتزييف) خطأ.

٧٢٨ - ص: ١٥٨ : (وَقَالَ: أَلْهَانِي بِغَاءِ الْخَيْرِ - ممدود، مكسور)

ظَنَّ المحقق أن (الهاني) اسم علم، فوضع في الهامش: (الهاني: هانيء بن عقيل أخ عمارة بن عقيل. انظر «الأمالي» للقالبي - ذيل ص: ١٦)؟!

٧٢٩ - ص: ١٥٩: (بَغَرْتُ أَنَا، وَأَبْغَرَنِي الْأَقْطُ وَالْمَضِيرَةُ)

جاءت هذه الجملة في المطبوعة محرفة، مع وضع نُقْطٍ في آخرها إشارة إلى نقصها، والواقع أنها تامة.

٧٣٠ - ص: ١٥٩: وأنشدني لِعُمَارَةَ بن عَقِيل

عَجِبْتُ لِتَغْرِيسِي نَوَى التَّمْرِ بَعْدَمَا طَلَعْتُ مِنَ السَّبْعَيْنِ أَوْ كِدْتُ أَفْعُلُ  
وفي المطبوعة: لتغريس ... السلعين - تحريف.

ومما وقع في هذه الصفحة من تحريف ناسخ الأصل (صارَة) والصواب: (صاحَة) في قول الهجري: (حدثني شيخٌ من خفاجة قال: صَارَةُ جَبَلٌ أَحْمَرٌ، عَلِمُ من الأعلام، بَيْنَ الْقِمَرَى وَدَيْلِ الْعَارِضِ) فصارة هنا صوابها (صاحَة) فهذا الجبل لا يزال معروفاً كما حدّد موقعه الهجري، وكما ورد في كلام الهجري في موضع آخر قبل هذا، ص: ١٤٧/ ١٤٨ من هذا الجزء - ونصه: (وسألت الخفاجي عن صاحَة، وهو جَبَلٌ أَحْمَرٌ فقال: هُوَ بَيْنَ الْقِمَرَى مَقْصُورَةً - وبين دَيْلِ الْعَارِضِ، ولا دَيْلٌ غيره بلد) - وانظر لتحديد موقعه «المعجم الجغرافي» - عالية نجد -.

أما صَارَة فجبل أيضاً لا يزال معروفاً في غرب القصيم، وآخر في صَمَدِ عُدْرَة، شمال تيماء - ذكره الزمخشري في كتاب «المياه والجبال».

٧٣١ - ص: ١٦٠: في الحديث النبوي: في الخادم إذا قام على رأس سيده وهو يأكل، فليأخذ لُقْمَةً، وليروغها في الدَّسَمَ، ثم ليُطْعِمَهُ إِيَّاهَا.

وحرّفت كلمة (ليروغها) في المطبوعة: (وليبرو منها)!! مع الإشارة في الهامش إلى لفظ الحديث.

٧٣٢ - ص: ١٦٠: علق المحقق على قول الهجري: (وقال الهمداني من أهل رَيْدَة) الخ فقال: (الهمداني لم يفصح عن اسمه شيئاً) - ثم ذكر نسب همدان - وقد اتضح لي أنه يقصد الهمداني العالم المعروف، صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب»

و«الإكليل» وغيرهما من المؤلفات، فقد اجتمع به في مكة، وذكره في كتاب «شرح الدامغة» - كما أوضحت ذلك في ترجمة الهمداني في مقدمة كتاب «صفة جزيرة العرب» ونقل عنه أشياء في هذا الكتاب، وإن لم يُصرَّح بالنقل - في جزلاء وذات غِسل - والهمداني من أهل ريدة.

٧٣٣ - ص: ١٦٠: (ورجلٌ شَصْبٌ إذا كان طويلاً)

لا (شعب) كما في المطبوعة.

ومن تطبيع هذه الصفحة: (قريب صنعاء) والصواب: (قُرب صنعاء).

٧٣٤ - ص: ١٦٠: علّق المحقق على قول الهجري: (لبعض بني تميم) قائلاً: (هو

عمارة بن عقيل) وأحال إلى الحاشية (٥٤٧) حيث ورد شعر لعمارة - ولكنه قال في تعليقه على البيتين اللذين نسبَهُمَا الهجري لبعض بني تميم: (لم أجد البيتين في المصادر المتوفرة) وإذن فما معنى تفسيره (لبعض بني تميم) بأنه عمارة، وهو لم يجد البيتين في المصادر؟!.

٧٣٥ - ص: ١٦١: فيها من الأخطاء:

١ - رميس الذي بالقلب: رستيس الذي بالقلب.

٢ - علمت عرس: علمت عرسي.

٣ - من يفعل الخير: من لم يفعل الخير.

٤ - من طولي: من طول.

٥ - غذار مهرة: عذاراً مهرة.

٧٣٦ - ص: ١٦٢: سقط من شعر الوليد بن سليمان السلوي - يَتُّ هو الخامس

وهو:

وَمَا بَكَ مِنْهُ غَيْرُ تَرْدَادِ عَبْرَةٍ وَالْمَامُ طَيْفٍ مِنْ خِيَالٍ مُورِقٍ

وبعده: وأذكر حاجاتي:

وفي هذه الصفحة من الأخطاء:

١ - أبلته : والصواب : أبكته.

٢ - تلتقي : والصواب نلتقي.

٣ - فليس ليالينا. والصواب فليْتَ ليالينا

٤ - بالعصر: والصواب وبالعصر.

أما البيت :

إِذَا شَاءَ أَبَكَّتُهُ وَإِنْ لَمْ يَبْكِ بِالضُّحَى وَبِالْعَصْرِ تَغْرِيدُ الْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ

فهكذا ورد في الأصل، مع اختلال وزن صدره بزيادة (لم) ووضع فوقها في الأصل.

(الا).

وَحَبْلُ حُمَيْطٍ الْوَاردِ فِي شَعْرِ السَّعْدِيِّ، مِنْ أَنْقَاءِ الدَّهْنَاءِ، (انظر كتاب «بلاد

العرب» ص: ٣١٠).

٧٣٧ - ص: ١٦٣ : من أخطاء هذه الصفحة:

١ - الْحَبْنَطِي، والصواب: الْحَبْنَطِي.

٢ - سَلِيمًا، والصواب: سُلَيْمِي.

٣ - الرَّدْسَلَمِي، والصواب: الرُّدْهَ سَلْمِي.

٤ - قَاضِيَةٍ، والصواب: قَاضِيَةٍ.

٧٣٨ - ص: ١٦٤ : فيها من الأخطاء

١ - وَأَمْبَلِ الشَّجَرِ. والصواب: (وَأَعْبَلِ الشَّجَرِ).

٢ - وَأَنْشَدَنِي وَهْبٌ لِلْقُرْدِيِّ. والصواب: (وَأَنْشَدَنِي وَهْبُ الْقُرْدِيِّ).

٧٣٩ - ص: ١٦٥ : وفي هذه الصفحة من التطبيع:

١ - بِالْيَاسَنَةِ. والصواب (بِالْيَاسَنَةِ) بالياء الموحدة.

٢ - أَدَاةُ كُلِّ التَّجَارَةِ. والصواب: (أَدَاةُ كُلِّ النَّجَارَةِ).

٣ - عَارِمُ بْنُ الْمُشِيعِ فِي الْأَصْلِ: عَازِمُ بْنُ الْمُشِيعِ.

٧٤٠ - ص: ١٦٦: (صَدَرَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْبَادِيَةِ يُقَدِّحُ، وَهِيَ الْقَدْحَرَةُ، الْعَيْثُ فِي الْأَرْضِ، وَأَخَذُ الضَّعِيفُ).

وفي المطبوعة: يقدر .. القدحرة .. العبث. وأشار المحقق في الحاشية إلى ما في الأصل، وكأنه لم يَرْضَهُ فغَيَّرَهُ حيث لم يجدْهُ في مصادره، وفاته أَنَّ الْهَجْرِيَّ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ الَّذِينَ تَوَخَّذَ عَنْهُمْ، وَمَا أَكْثَرَ مَا قَاتَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ مِنْهَا!!

٧٤٠ - ص: ١٦٦: (وَالْخُدْمَةُ أَنْ يُجَاوَزَ التَّحْجِيلُ الرُّكْبَةَ).  
لا (التجميل) كما في المطبوعة.

٧٤١ - ص: ١٦٦: (وَالْعَفْوُ - بِجَرِّ الْعَيْنِ - وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ - وَهُوَ الْغَضِيضُ وَجَمْعُهُ غِضَانٌ، وَهُوَ الشَّضْرُ، وَجَمْعُهُ ... ) وَمَكَانُ النِّقْطِ كَلِمَةٌ غَيْرُ وَاضِحَةٍ وَقَدْ تَكُونُ (أَشْصَان).

ووردت الجملة في المطبوعة محرفة: (الغفر - بجر العين ... الشعر وجمعه شعران) وكلمة (العفو) لا تزال مستعملة في نجد، ويعنون بها ولد البقرة ومن التطبيع في هذه الصفحة: (قشير وفهد والعتيك) فهد صوابها: نهْد.

ومن أخطاء التعليق: نسبة العتيك إلى بكر بن وائل من عدنان، وهم من الأزد ثم من قحطان.

٧٤٢ - ص: ١٦٦: (وَالْبُرْغُزُ، وَجَمْعُهُ بَرَاغِزٌ كَذَا فِي الْأَصْلِ وَحَرْفُهُ الْمَحْقَقُ إِلَى (الْبُوغُزِ .. بَوَاغِزٍ) وَزَعَمَ أَنَّ مَا فِي الْأَصْلِ تَحْرِيفٌ؛ مَعَ أَنَّ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ: الْبَرِغُزُ - كَجَعْفَرٍ وَقُنْفُذٍ وَعُصْفُورٍ وَطِرْبَالٍ - وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ.

٧٤٣ - ص: ١٦٦: (وَالْجَوْدَرُ - بضم الدال - وَهُوَ دَخِيلٌ مُعَرَّبٌ، فَأَعْلَى اللُّغَاتِ فِيهِ مُتَابَعَةُ الضَّمَّتَيْنِ، جَوْدَرُ).

وكلمة (الضمتين) سقطت من المطبوعة.  
كما سقطت جملة (والجميع البَحَازِجُ) بعد كلمة (وَهُوَ الْبَحْرَجُ).

٧٤٤ - ص: ١٦٨: (رَجُلٌ قَدْشٌ، للعريض الأذنين، المُحْدَرَجَةُ العَيْنَيْنِ) وفسر

المحدرجة.

وفي المطبوعة (المدرجة) بدل المحدرجة.

ومن أخطاء هذه الصفحة:

- ١ - وحدها، المنتصب. بين الكلمتين سقط يسير من الكلام، يدلُّ عليه ما بعده.
- ٢ - الفيحاء الفخذين. والصواب - كما في الأصل: (الفُحَيْحَاءُ الفُخْذَيْنِ).
- ٣ - صلى الله عليه وسلم. كلمة (وسلم) ليست في الأصل، وكذا ما ورد (ص: ١٦٠) وهذا أسلوب للمؤلف تحسن المحافظة عليه.
- ٤ - القاعد الثَّديين، وليس في القاعد، هكذا قال وكان فصيحاً. والصواب: (وليس في القاعد هاء، هكذا قال) لأن الوصف للمرأة، ولكن الراوي لم يقل (القاعدة).

٧٤٥ - ص: ١٦٩: في هذه الصفحة:

- ١ - الشصياصا: وهي الشصا صا.
- ٢ - وأنشد أبو المهدي: والصواب: وأنشدني أبو المهدي.
- ٣ - في الهامش تفسير لكلمة (الدَّالَّ) نَصُّهُ: (الدَّالَّ: بفتح الدال، جمع دَلَاةٍ، وكسرها خطأ) أورد المحقق هذه الحاشية محرفة.

٧٤٦ - ص: ١٧٠: في هذه الصفحة:

- ١ - تبديل. وهي بَدِيل.
- ٢ - عَلَّلَ بَعْدَ الْمَنْ وَالْكَلال.
- ووضع المحقق حاشية على كلمة (علل) وصواب هذه الكلمة كما في الأصل (عَلَّكَ).
- ٣ - وَالزَّرْفَرِ بَيْنَ عُقْدِ الْجِبَالِ.
- وفي هامش الأصل حاشية لم يوردها المحقق كاملة ونصها: (جَمْعُ حَبْلٍ، مِمَّا يَشْدُ

## صُورٌ مِنَ الْبَيْئَةِ النُّجْدِيَّةِ

من تلك الظاهرات البيئية أنَّ العامة لشدة عَوَزِهِمْ لا يكادون يجدون الكبريت، ولهذا يجتمع الحضر في القرى والمدن صباحاً عند بيت الحِذَادِ ليقْتَبِسُوا من ناره بقطع يابسة من روث الماشية أو بسعف أو بنخشب أو فحم.

ومن تلك الظاهرات (مَشَبُّ الجماعة) فلا يكاد كل واحد يملك أدوات صنع القهوة من دِلَالٍ ونَجْرٍ ومحاس .. إلخ.

فكان للجماعة في القرية مكان مكتمل الأواني، يجتمعون فيه، ويحمل كل واحد بالتناوب مادة القهوة معه من بُنٍّ وهَيْلٍ وسكر .. إلخ.

وأحياناً يقوم بيت الأمير أو الشيخ أو الوجه مقام مَشَبِّ الجماعة، فكان كل واحد من قحطان - على سبيل المثال - يفد على مجلس الشيخ ابن هادي ومعه قهوته ليكرم بها السمار وكان قائلهم يقول: زقف المبرد يا ابن هادي!! أي ناولني المبرد لأضع فيه القهوة، والمبردُ إناء منسوج من الخوص تبرد فيه القهوة وتنقى بعد حمسها، وقد يكون من خشب منجور.

ومن مَكَمَّلَاتِ الْأُنْسِ مع القهوة الدُّخَانُ، لا سيما عند البادية وزعمائهم. والدخان شحيح عندهم فكان هناك محتكرون يدخرونه وكان الفنجان من الدخان يباع بكسبة<sup>(١)</sup>. والكسبة ناقة يغنمونها في الإغارات فيعطونها بائع الفنجان، وهم يستهلكون الفنجان

به، وَمَنْ فَتَحَ الْعَيْنَ مِنْ (عَقَدَ) فَالْحِبَالُ أَحْبَلُ الدِّهْنِ).

٤ - بمرع من بطن قرخال. والصواب - كما في الأصل -  
بِمُرْعٍ مِنْ بَطْنِ قَوْ خَالٍ

حمد الجاسر

(للبحث صلة)

## صُورُ مِنَ الْبَيْئَةِ النُّجْدِيَّةِ

من تلك الظاهرات البيئية أَنَّ العامة لشدة عَوَزِهِمْ لا يكادون يجدون الكبريت، ولهذا يجتمع الحضر في القرى والمدن صباحاً عند بيت الحِذَادِ ليقْتَبِسُوا من ناره بقطع يابسة من روث الماشية أو بسعف أو بنخشب أو فحم.

ومن تلك الظاهرات (مَشَبُّ الْجَمَاعَةِ) فلا يكاد كل واحد يملك أدوات صنع القهوة من دِلَالٍ ونَجْرٍ ومحاس .. إلخ.

فكان للجماعة في القرية مكان مكتمل الأواني، يجتمعون فيه، ويحمل كل واحد بالتناوب مادة القهوة معه من بُنٍّ وهَيْلٍ وسكر .. إلخ.

وأحياناً يقوم بيت الأمير أو الشيخ أو الوجه مقام مَشَبِّ الْجَمَاعَةِ، فكان كل واحد من قحطان - على سبيل المثال - يفد على مجلس الشيخ ابن هادي ومعه قهوته ليكرم بها السمار وكان قائلهم يقول: زقف المبرد يا ابن هادي!! أي ناولني المبرد لأضع فيه القهوة، والمبردُ إناء منسوج من الخوص تبرد فيه القهوة وتنقى بعد حمسها، وقد يكون من خشب منجور.

ومن مَكَمَّلَاتِ الْأُنْسِ مع القهوة الدُّخَانُ، لا سيما عند البادية وزعمائهم. والدخان شحيح عندهم فكان هناك محتكرون يدخرونه وكان الفنجان من الدخان يباع بكسبة<sup>(١)</sup>. والكسبة ناقة يغنمونها في الإغارات فيعطونها بائع الفنجان، وهم يستهلكون الفنجان

به، وَمَنْ فَتَحَ الْعَيْنَ مِنْ (عَقَدَ) فَالْحِبَالُ أَحْبَلُ الدِّهْنًا.

٤ - بمرع من بطن قرخال. والصواب - كما في الأصل -  
بِمُرْعٍ مِنْ بَطْنِ قَوْ خَالٍ

حمد الجاسر

(للبحث صلة)



في جلسة واحدة.

وكان الحُمَيْدِي الدُّوَيْش نزل بإحدى القرى فنجد دخانه حتى أخرج أهل القرية فجلبوه له من المدينة بأعلى الأثمان فلما رأوا تطاير الدخان من أنفه قالوا: صُمَّ خُشْمُكَ يَا الدُّوَيْش فليس كل لحظة عندنا فنجان!

وربما احتكروه للضيف رغم حاجتهم إليه.

وربما احتكرته النساء فقد قرأت في كراسات الشيخ منديل<sup>(٢)</sup> أن الشُّرْبَ اجتمعوا في بيت شيخهم وليس معهم دخان ولا يوجد عندهم في الحي، فقالت بنت الشيخ: عندي دخان لم أدخره لطمع وإنما ادخرته لمن قال بيتين يصيب فيهما ما أهدف إليه في نفسي. فقال أحدهم:

يَا مَا حَلَا كَيْفَ النَّشَامَى وَأَنَاسَهُ  
مَعَ جَادِلٍ مَضِيُونٍ ضَافِي لُبَاسِهِ<sup>(٢)</sup>  
الْجَادِلَ اللَّي كِنْ عَجَبَاتِ رَاسِهِ  
مِسْكٍ يَجِينَا مَعَ رِدْودِ الْحَجِينِجِ<sup>(٣)</sup>

وقال الثاني :

يَا مَا حَلَا كَيْفَ النَّشَامَى وَفُنْجَالٍ  
وَمِقَابِلِكَ مَعَ تِلْعَ الْأَرْقَابِ مِكَسَالٍ<sup>(٤)</sup>  
مِنْ قَبْلِ مَايَاتِكَ قَصَّافِ الْآجَالِ  
مُفَاجَأَةً مِنْ لَابَأُولِ الْعَمْرِ فِينِجِي<sup>(٥)</sup>

وقال الثالث :

يَا مَا حَلَا كَيْفَ النَّشَامَى بِغَلِيُونٍ  
وَصَفْرًا نَهَارَ الْكَوْنِ إِلَى جَوَا يِعْنُونِ<sup>(٦)</sup>  
وَأَنَا عَلَيْهَا بَيْنَ طَاعِنٍ وَمَطْعُونٍ  
أَقْصُرُ رَسْنَهَا عَنْ تُوَالِي الْهَجِينِجِ<sup>(٧)</sup>

وقال الرابع :

وَدُّكَ تُسَوِّي حَوْمَةَ الطَّيْرِ فَتُجَالُ  
لَعَادَ مَالِكٍ حَاجَةً تَلْتَهِي بِهِ<sup>(٨)</sup>  
أَخِيرٍ مِنْ رَّبْعٍ بُخَالٍ عَلَى الْمَالِ  
مَالٍ بَلَا مَعْرُوفٍ لَوْ زَادَ خَيْبَهُ  
يَا عَنْكَ لَوْ تَجَمَّعَ طُوبَايِرُ وَأَمْوَالُ  
مَالٍ وَرَاءَ الْبَيْتِ مَا يَشْفِي بِهِ

وقال الخامس :

وَدُّكَ ثَوَافِي وَفَقَةَ الظِّلِّ رَجَّالُ  
يَا مَا حَلَا جَمَعَ الْحَبِيبِ لِحَبِيبِهِ  
إِلَيَا فَرَشْ لِكَ بَاوُسَطِ الْيَتِّ بِظِلَالِ  
وَالْكِلِّ مِنْهُمْ مِشْفِي عَقْبِ غَيْبِهِ

وقال السادس :

وَدُّكَ ادْنَيْ طَلْعَةَ الشَّمْسِ مِشْوَالُ  
لَا جَوَا عَلَى الْحِرْوَةِ وَوَاقَ الرُّقِيبَةِ  
جَوْنَا السُّبُورِ وَظَهَّرُوا لَهُ هَلَّ الْمَالِ  
وَأَهْلَ الرَّمَكِ بَيِّنَ رَدَاها وَطَنِيبَةِ  
أَخِيرِ عِنْدِي مِنْ مُوَفَاةٍ رَجَّالُ  
لَا نَشَرْتُ فَوْقَ الْمَنَاكِبِ سَبِيبَةِ

فكان الدخان من نصيب الأخير لأن أمنيته الشجاعة لا النساء.

ومن الأعراف اللغوية عند البادية ما حدثني به الشيخ منديل الفهيد أن البادية تعبر بثلاثة ألفاظ عن ثلاثة من الرجال هي :

١ - اللاحق: وهو من تبع طريق أهله وفعل فعلهم.

أي لم يتفوق عليهم، ولم يقصّر عنهم كعقاب بن شبنان بن حميد.  
وربما تفوق عليهم كمحمد بن هندي.

٢ - السابق: وهو العصامي الذي سَوَدَ نفسه بنفسه كشليويح العطاوي، ولافي بن معلث.

٣ - ماحق: وهو من قَصَرَ عن فعل أهله.

وأرفع ملاذ الحياة عندهم السمر والقهوة.

قال حمد الشراي:

الْبَيْتُ بَانِيْنُهُ عَلَى شَانِ هَرْجَةٍ

وَفُنْجَالِ بَيْنَ اضْيَافِنَا وَالرُّبُوعِ

ومما تلهج به العامة الكرم مع الفقر والاكتفاء بالقليل وتحمل الدين لبذل المال في حقوقه الاجتماعية.

وعلى هذا شواهد كثيرة منها قول علي بن محمد السليمان من أهل القرائن، يخاطب امرأة تَمَّتْ رؤيته فلما عاينت مظهره زهدت فيه:

يَا بِنْتَ مَالِي عِنْدَكُمْ قَابِلِيَّةٌ

وَلَا نَيْبَ مَنْ يَعْشَقُ إِلَى جَا مَعَ السُّوقِ

أَنَا مَتَى مَا النَّذْلُ يَبْسَتْ شَفِيَّةٌ

وَاسْتَسهَلَ الْخَائِبُ ذَرَا كِلِّ طَارُوقِ

عِنْدِي لَذَرِبَيْنِ الشُّوَارِبِ نَحِيَّةٌ

وَسَلَامِ احْلَا مِنْ لَبَنٍ عِطْفَ التُّوقِ

إِنْ حِشْتِ شَيْءَ فَرَّقْنِي يَدِيَّةٌ

وَالِي عَسَرْنَا النِّقْدَ نَاخِذٍ بِمَفْهُوقِ

وقال ابن وُثَّان من أهل فيضة السر<sup>(٩)</sup> :

يا الله يَا أَلِي سَائِلُهُ مَا يَمِلُهُ  
يَآم مِظْهَرِ الْعِشْبِ الْخَضَرُ بِالرُّشَاشِ  
تَفْرِجْ لِمَنْ كِنُّهُ عَلَى صَلَوِ مَلَّةُ  
مِتَحَيَّرَ قُلْتُ عَلَيْهِ الْمُوَاشِي<sup>(١٠)</sup>  
لَا ضَاقَ صَدْرِي جِبْتِ نَجْرٍ وَدَلَّةُ  
وَسَوَّيْتُ مَا يَبْرُدُ لِهِيبِ بُجَاشِي  
بِكْرِ عَلَى بِكْرِ مُصَفَّى نِزْلُهُ  
كِنُّهُ خَضَابِ مَعَوِجَاتِ النُّقَاشِ  
تَغْبَا لَضَيْفِ عَانِي مِنْ مَحَلَّةُ  
وَقَوْلُهُ (هَلَا) مَعَ ضِحْكَةٍ بِأَنْبَهَاشِ  
مِرَّ يَمَانِيَّةُ وَهَنِيلِ نِزْلُهُ  
وَمِرَّ عَلَى الشَّامِيَّةِ أُمَّ الْغَشَاشِ  
مِرَّ هَشِيمٍ وَمِرَّ نُوقِذِ نَجْلُهُ  
وَمِرَّ نَبْهَرَهَا وَمِرَّ بَلَّاشِي  
وَمَعَبَّرِينَ كُلَّ وَقْتِ نَحْلُهُ  
نَضَبِرُ عَلَى مَا كَادَ وَالرُّزْقُ مَاشِي  
يَوْمَ إِنْ وَلَدَ الْأَلَشُ هَمُّهُ بَظْلُهُ  
كِنُّهُ عَلَى دَرَبِ الْمَرَاكِجِلِ يُهَاشِ

وقال الشيخ مقبل بن هربس يخاطب شاعراً من جماعته الشلاوى، وهي مما وجدته  
بكراسات الشيخ منديل:

مَتَى طَلَعْتُوَا يَا طَوَالَ الْعَنَاجِيلِ  
مِثْلَ السَّلِيمِي رَمِيهَا عِنْدَ اثْمِهَا<sup>(١١)</sup>

مَرُّ نَبَهْرَهَا بَجُوزٍ مِنَ الْهَيْلِ  
وَمَرُّ نَحْلِي طَبَحَهَا مِنْ عَدَمِهَا

وقال ذعار بن مشاري بن ربيعان :

ذَا لِي ثَلَاثُ سِنِينَ مِنْ ضَيْقٍ فِي ضَيْقٍ  
وَقَتَ الْهَلَالِي وَالطَّعَامِ مَعْدُومِ  
نَمْسِي عَلَى الْخُمْرَةِ وَنَضْبِحُ عَلَى الرَّيْقِ  
وَنَهْشُ دُونَ وَجِيهِنَا بِالْمَغْزُومِ

وقال محمد الخرشد العتري يمتدح أهل أبا الدود في الأسياح ، وما شاهده من كرمهم واحفائهم بالجار ، وهي مما سمعته من ابراهيم اليوسف ونقلته من كراسات الشيخ مندبل :

وَجَدِي عَلَى اللَّيْلِ كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدَيْنِ مِنْ دُونَهُمْ حَالَتْ نُفُودَ الزَّيْبَةِ  
إِخْوَانُ شَمًا حَزَّةَ الْعَسْرِ وَاللَّيْنِ سَكَّانَ (أَبَا دُودٍ) قَصِيرَهُ خَشِيرَهُ  
إِنْ جَاهَمَ الْخَاطِرُ تَقُولُ مُتَوَاصِينَ كُلُّ عَلَى الثَّانِي بَيْتَهُ بَجِيرَهُ (١٢)  
يَقْلُطُونَ الْحِيلَ فَوْقَ الْمَوَاعِينِ أَهْلَ النَّدَا لَاجَتْ سِنِينَ عَسِيرَهُ  
يَأْمَا نَصَاهُمْ مِنْ ضِيُوفٍ مَقْلَبِينَ لَاجَتْ لَيْالٍ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ دِيرَهُ  
بِزُرُوعِهِمْ كِنَّ الضَّعَافَى خَشِيرِينَ هَذِي لَهُمْ مِنْ بِنَةِ الْقَصْرِ سِيرَهُ  
لَا كَمَلَ الْمَاجُودُ جَابُوهَ بِاللَّيْنِ دُونَ الْوَجِيهِ يَدُورُونَ السَّيْرَهُ

وقال أمير بقعاء السابق عُبيد الأسعدي - كما في كراسات الشيخ مندبل - عن فقر مر بهم ، فكانوا يخفون الطعام عن عيالهم ، يَدَخِرُونَهُ لِلضَّيْفِ الَّذِي لَا يَعْذِرُهُمْ ، وفي ذات يوم كان عنده ضيوف ، لهم مدة عن الطعام ، فوضع للضيوف ما ادخره من طعام ، وهو

عيش بدون لحم ، فسمع رجلاً من جماعته يقول : هذا من (عَيْنِ مَا) فسمعه فقال هذه الأبيات يعتذر ويبين حالته :

عِشْرِينَ لَيْلَةً مَا هَوَى كَبْدِي الرَّادِ وَاللَّهِ مَا اخْبَرَ دَاهِجِ كَبْدِي الْعِشْرَ  
دُنْيَا نَجَاهِذَهَا مِنَ الْقَلِّ بِجَهَادِ نَهْشُ دُونَ وَجِيهِنَا هَوَى (؟) بِالْهَوْشِ

تَتَّبِعْ سُلُومَ اجْدَادِنَا سَلَمَ الْأَجْوَادِ      غَيْرَ الصَّخَا نَذْرِي سُوَالِفَ هَلَّ الْجَيْشِ  
أما العقوق والبر فقد ألف أبو عبيدة كتاباً مطبوعاً عن «العققة والبربرة» وذكر نماذج  
كثيرة منها لأمية بن أبي الصِّلَتِ المشهورة.

والنماذج للعقوق كثيرة في الأدب الفصيح ولم يَمُرَّ بي في العقوق سوى عتاب  
جُحَيْش السرحاني لحفيده، وقد أوردت قصيدته في أحد أسفار كتابي عن الشعر العامي.  
وسمعت من أشياخنا العوام أن أحد البادية المتحضرين بشقراء كان يرمي والده  
بالحَجَرِ فإذا انحرف الأب عن الحجر قال الولد:

(وَلَّ عَوْدٍ مَا أُرْوَعَكَ؟!) نعوذ بالله من الخذلان.

وهناك قصيدة لابن جعيث نظمها على لسان أثنى تخاطب ابنها العاق.

قال ابن جعيث :

لِفَانِي كِتَابُكَ يَا سَرَّاجَ نَظِيرَ عَيْنِي وَالدَّمْعُ عَلَيْهِ نِشِيرٌ (؟)  
لِفَانِي وَقَبْلَتُهُ عَلَى الرَّاسِ حِشْمَةٌ      وَبَشَرْتُ مِنْ لِي صَاحِبَ وَعْشِيرِ  
كِنَّهُ قَيْصُ لِيُوسُفَ يَوْمَ جَاءَ بِهِ      لَابُوءُ مِنْ بَعْدَ الْفِرَاقِ بِشِيرِ  
يَوْمَ جَاءَ بِهِ الْبُشَيْرُ وَشَمَّةُ      فَتَحَّ وَهُوَ مِنْ قَبْلُ كَانَ ضَرِيرِ  
خِيَارَ مَا بِهِ كَلِمَةٍ سَرَنِي نَبَا      بِقَوْلِهِ: حَقُّ الْوَالِدَيْنِ كَبِيرِ  
عَسَاكَ تَذَكَّرَ حَقَّهُمْ لَا عَدَمَتِكَ      وَيَجْعَلُ خَيْرَكَ مَا يَزَالُ كَشِيرِ  
حَمَلَتِكَ تَسْعَةً أَشْهُرٍ فِي شَوَاكِلِي      وَالْبَطْنُ مِنِّي مَاقِعَ وَجْفِيرِ  
حَمَلَتِكَ فِي كَرِهِ وَكَرِهِ وَضَعَتِكَ      وَوَسَعَتْ لَكَ حِضْنِي وَصَارَ سَرِيرِ  
وَارْضَعَتِكَ حَوْلَيْنِ مِنْ دُرٍّ مُهْجَنِي      وَارْعَاكَ رَغْمِي عَنْ طَرِيقِ خَطِيرِ  
أَبِيكَ لِعَازَاتِ اللَّيَالِي ذَخِيرَةٍ      مَا أَبِيكَ تَشْفَعُ لِي يَوْمَ كَبِيرِ  
يَوْمَ بَلَغْتَ الرُّشْدَ وَابْصُرْتَ نَفْسِكَ      وَقَدْرِي غَدَا عِنْدَ الرِّجَالِ حَقِيرِ  
قَلَّطْتُ بَنَاتَ النَّاسِ وَأَنَا نَسِيتَنِي      وَحَطَّيْتُ فَوْقِي بِالْوَلَاتِ حَقِيرِ

خَفَّ اللَّهُ مَا قَبْلَكَ حَدِّ بَعْدَ أُمَّةٍ  
خَفَّ اللَّهُ وَدَعَّ عَنْكَ مَا مَضَى  
خَفَّ اللَّهُ وَادَّكَرَ آيَاتِنِ نَسِيَّتِهِنَّ  
مَا قَالَ اللَّهُ: (لَا تَقُلْ لَهَا أَفْ)  
(وَاخْفِضْ لَهُم جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنْكَ)  
خَفَّ اللَّهُ وَادَّكَرَ حُفْرَةَ مَدْلَهْمَةٍ  
تَرَكَ لِمَا غَشَّيْنِي وَاغْضَبْتَ خَاطِرِي  
مَا هُوَ بِبَغْضٍ وَلَكِنْ شَرَهَةٌ  
تَرَكَ لَوْ حَجَّيْتُ بِي فَوْقَ رَأْسِكَ  
وَلَا يُجَازِينِي مَنْ الطَّلَقُ سَاعَةً  
وَصَدْرِي يَهْدُبُ بِالْحَدِيدِ لَكِنَّهُ  
وَلَا عَاذَ فِي بَطْنِي وَلَا عَاذَ فِي ظَهْرِي  
إِلَّا أَنْتَ وَاخُوكَ بَزَرَ جَاهِلٍ  
مَبِيرٍ أَنِّي رَاجِيهِ يَحْظِي بِكَبْرِي  
وَارْجِي الَّذِي وَدَّكَ يَرْجِعُكَ سَالِمٍ  
وَيَرْزُقُكَ رِزْقٍ وَاسِعٍ مَا حَسِيتُهُ  
وَصَلُّوا عَلَى سَيِّدِ الْبَرَايَا مُحَمَّدٍ  
مَا لَا بَرَّاقٍ وَمَا حَفَرَ بَيْرٌ<sup>(١٣)</sup>

على أنه روى عن البدو أنهم يتركون المجدور والمُسِنَّ في المكان الذي يرحلون عنه  
ويتركون عنده شيئاً من الزاد ، ولهذا تجد في تشبيهات الحضرة قولهم : فلان عَوْدٌ بَدُو ،  
طاح في المراح .

قال عبد الجبار الراوي : وينقل أن رئيساً من رؤساء العرب ابتلي بالجدرى فتركه  
وحده ، مع كلبه ، ورحل عنه أهله فخاطب كلبه واسمه شير بقوله :

هَلِكْ شَأْلُوا عَلَى مَكْحُولٍ يَا شِيرَ  
وخلُّوا لك عظامَ الحيد يا شِيرَ

لا تبكي بكل الدمع ياشير هلك شالوا على حمص وحماه (١٤)  
وقال عبيد بن حمود الأسعدي عندما طعن في السن يعتب على أولاده :

لَا وَاللَّهِ الَّذِي دَوَّيَحَنُ اللَّيَالِي      وَاقْنِ بُشَيْمَاتِ الْعَرَبِ وَالْمُرَاوَةِ (٣)  
أَقْفَنُ وَلَا خَلْنُ لِلْأَجْوَادِ تَالِي      إِلَّا قَنَانَهُ وَاحِدٍ وَبَيْنَ أَبَا الْقَاهِ  
دَاسَتْ صَنَادِيدُ الْعَرَبِ بِالْتَعَالِ      وَطَنُهُم الدُّنْيَا وَالْأَيَّامُ عَدَلَاهُ  
الْعَوْدُ عِنْدَ النَّاسِ مَالُهُ جَلَالِ      الْعَيْنُ صَارَتْ كَبِيرَ (أَبَانَاتِ) عِلْبَاهُ  
يَمْشِي بَلَا رِفْقٍ كَثِيرِ الْحَلَالِ      وَيَنَارُ عَنْ وَجْهِهِ وَتَسْمَعُ حَكَايَاهُ  
هَذَا زَمَانٍ فِيهِ قَطَعَ الْعَقَالِ      الرَّحِمُ هُوَ وَالْجَارُ مَا عَادَ لَهُ جَاهُ  
وَالْوَالِدَ الَّذِي حَشَمَتِهِ وَالْجَلَالِ      فَرَضِ رَخْصٍ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ طَرِيَاهُ  
قَالَهُ نَبِيٌّ اللَّهُ صَدُوقَ الْمَقَالِ      فِي تَالِي الدُّنْيَا لَكَعْ طَالِ مَبْنَاهُ  
يَا الْعَوْدُ لَا تَسْعَى لَجَمْعِ الْحَلَالِ      لَا صَارَ عِنْدَ الْكَبِيرِ تِسْفَهُ حَكَايَاهُ  
لَعَلَّ مِنْ يَرِثُ حَلَالِ لِنَتَالِي      لَا يَلْحَقَ الْآوَلُ وَلَا يَلْحَقَ اثْنَاهُ  
يَشْرَبُ قَرَاطِيعَ مِنَ الشُّرْسِ قَالِي      حَفَنَاتِ مَكْرُورَةٍ صَبَاحِهِ وَمَمْسَاهُ  
الْعَوْدُ يَوْمَ أَنَّهُ يَجِيبُ الْعِيَالِ      يَبْنِي بِنَالِي الْعُمَرِ سَجَّةً وَطَرِيَاهُ  
كَبِيرِ الْوَلَدِ دَلَّى يِلْمُ الْحَلَالِ      طَاعَ الْمَرَّةَ وَالْعَوْدُ لَهُ سُبْعُ كَوْبَاهُ  
تَمَّتْ وَصَلُوا عَدُوَّ وَبَلَ الْخِيَالِ      عَلَى نَبِيٍّ عَزَّ لِلدِّينِ رَايَاهُ (١٥)

ومن البررة شباب شكى له والده سوء معاملة زوجته له ، وكان للابن زوجتان .

قال الأب :

أَلَا يَا وَلَدِي وَإِنْ غِيَتْ جَفْنِي      خَبِثَاتِ نَقَاصَاتِ عَهْدِ الْوَثَائِقِ  
أَرَيْتَكَ بَعْدَ زِدَتْ الْمُوَاطِي بِنَالِثِ      وَادْفَحَتْ كِنِّي فِي قَلْبِ مَوَائِقِ  
أَيْنِكَ تَوْصَا بِي نَحْيٍ يَرْوِفُ بِي      حَتَّى إِلَى مَا يَلْحَقُ الْعُمَرُ عَائِقِ  
فَأَجَابَهُ الْوَلَدُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

عَلَامِكَ كَفَيْتَ النَّارَ ضَيِّقُ خَاطِرِي      بِقَوْلِكَ: كِنِّي فِي قَلْبِ مَوَائِقِ؟



مَا دِمْتُ حَيًّا لَكَ عَلَى رَأْسٍ مَرْقَبٍ طَوِيلِ الذَّرَا عَسِرَ عَلَى كُلِّ وَاقٍ  
دَيْسْتَنِي دَيْنٍ وَأَنَا مَبْسُورٌ بِهِ وَكُلَّ فَنَى مَا يُؤْفَى الدَّيْنُ بَابِقٍ

فعند ذلك طلق نساءه وتزوج غيرهن وذلك إكراماً لوالده<sup>(١٦)</sup>.

ومن البررة المشهورين ذيب بن شالح بن هذلان.

ومن البررة الجليف وله قصيدة مشهورة في التحرق على والدته عندما خرجت من  
بيته إلى بيت أخيه الصغير.

ومما ورد في البرقول شاب أرادت منه خطيبته أن يخرج عن بيت والدته فقال<sup>(١٧)</sup>.

مَا تَشُوفُ مَسْلُوبَ الْحَشَا مِرْسِلٍ لِي

رسالة تَجْعَلَنِي اصْخِي بَفَرْقَاهُ<sup>(١٨)</sup>

إِنْ كَانَ مَاصِدَ الْحَبِيبِ تَغِلُّ

مَا أَقْبَلُكَ يَا الْمَرْسُومَ لَا أَنْتَ وَلَا آيَاهُ

أُمِّي إِلَى شَافَتْ خَيَالِي ثَهَلِّي

وَالَا الْغَضِي لَا شَافَ غَيْرِي تَحَلَّاهُ<sup>(١٩)</sup>

مَا أَنْسَى سَنِينَ دَيْدَهَا سِقْمَةٍ لِي

أَرْكَبُ عَلَى الْمُتَيْنِ وَأَقُولُ يَا يَا<sup>(٢٠)</sup>

دُونَ لَسَنَةٍ وَبَطْنَهَا حِجْرَةٍ لِي

الْبَرْدُ مَا أَشُوفُهُ وَالْحَرُّ مَا أَذْنَاهُ

أُمِّي وَأَبْوَيَهُ مَا لَهُمْ غَيْرَ ظِلِّي

وَمَنْ دَوَّرَ الظِّلَّ يَا تَرْفَ يَلْقَاهُ<sup>(٢١)</sup>

الْوَالِدَيْنِ لَهُمْ بِقَلْبِي مَحَلُّ

مَعْرُوفُهُمْ مَعَ طَوْلِ الْأَيَّامِ مَا أَنْسَاهُ

وكتبه لكم :

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

- عفا الله عنه -

## الحواشي :

- (١) الدخان لم يتشرف في نجد إلا في زمن متأخر، وقد أفتى علماء نجد كالشيخ عبدالله بن عبد الرحمن (أبا بطين) والشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - بحرمة شربه، وثبت من الناحية الصحية ضرره، بحيث أن في البلاد التي يكثر استعماله فيها ألزمت حكوماتها الشركات التي تتولى الإعلان عنه أن تلحق بإعلاناتها ما يفيد بأنه ضار بالصحة.
- (٢) وردت هذه الأبيات في دراسة للأستاذ كاظم الدجيلي نشرت بمجلة «لغة العرب» ٣٦٧/٣ وقد نشر بعضها بمجلة «الفن الكويتية» عدد ٢٧٢ في ١٣٩٧/٣/٢٣ هـ.
- (٣) في مجلة الفن: ما قيل تظهر حساسه.
- (٤) في المجلة: المسك والريحان يمدح براسه.
- (٥) في المجلة مع تلح «العرب»: لعل القافية (عوج) وصف للرقاب.
- (٦) في المجلة: الله على من قبل قصاف.
- فيجي: فوجي.
- (٧) في المجلة: بن يعملون. ولعله تطيع.
- (٨) في المجلة: وعند تالي.
- (٩) حومة الطير: آخر الضحى حيث يحلق ويحوم لأن الجو أبرد له.
- (١٠) نشرها الأحيدب في التحفة ص ١٢٧ وحدثني بها ثقة من أهل الدوادمي.
- (١١) أحفظ هذا الشطر هكذا:
- متحير ما شاف عنده مهاش.
- (١٢) المناجيل: جمع عنجول وهو القليون [العرب: المتداول حول هذين البيتين: أن رجلاً زار آخر فقدم له قهوة مبهرة بالقرنفل بدون هيل فلما ذاقها قال:  
الدلة اللّي ما تبهر من الهيل  
فأجابه صاحب القهوة:  
مرّ نبهرها بقرف مع هيل  
ومرّ نخلي الموجهة من عدمها
- (١٣) بيته: يحلف بالطلاق على الضيف أن يتزل عنده.  
أخذوه من (البتة) وهي لغة بمعنى القطع، وتأتي من مؤكدات الطلاق الصريح، وتأتي ضمن ألفاظ الطلاق الكناية.
- وربما كانت من (بت) مباشرة.
- (١٤) الأزهار النادية ٨٨/٨ - ٩٠.
- (١٥) البادية ص ٣٢٧.
- (١٦) الرواة: المروآت. عدلاه عدلات. على لهجة سكان منطقة حائل وهي لهجة قديمة العرب.
- (١٧) من آدابنا الشعبية ١٤٢/١ - ١٤٣ ونشر منها لويحان في روائحه ص ١٧٣ خمسة أبيات.
- (١٨) روائع من الشعر النبطي ص ١٧٤.
- (١٩) نشرها الراوي في البادية ص ٣٢٢ - ٣٢٣ وسمعتها من الشيخ منديل.

# رسالة في الحلم

تأليف

شارل بلا Charles Pellat

أستاذ الحضارة في جامعة باريس (السوربون)

دار الكتاب الجديد - بيروت

هذا الكتاب بالعربية لمستشرق معروف بمباحثه الكثيرة في الحضارة العربية ، ثم إنه قد شارك في نشر شيء من كتب أبي عثمان الجاحظ ، كما أن له كتاباً جليلاً في موضوع الجاحظ والبيئة البصرية . وهو أحد المصطلعين بدائرة المعارف الإسلامية فقد حرر فيها جملة مواد مهمة .

ولن أذهب في حديثي عن المستشرق الفرنسي (شارل بلا) مع غيري من جمهرة من يتحدث عن المستشرقين فيسلمهم كل خير ويرميهم بكل شر ، فهم ملاحدة ، وهم دسّاسون مفرقون كذّابون ، يكيدون للإسلام وأهله كما يكيدون للعرب . وهذا النفر من الدارسين المسلمين يمتلك جملة مواد تناول بها المستشرقون القرآن والحديث ومشكلات إسلامية أخرى ، ومسائل تاريخية تتصل بالرسول الأمين ﷺ كما تتصل بأصحابه - رضي الله عنهم أجمعين - وغيرهم من رجال العرب والمسلمين .



(١٩) عند منديل: علمت مسلوب.

وعند الراوي: مرسال من الترف تسخي بفرقاه.

(٢٠) عند الراوي: أُمِّي لو شافت .. وانقرض على المتنين واقول ياياه.

(٢١) عند الراوي: وثلاث سنين وديدها غدوة لي.. وكم ليلة همي عن الزاد قراه.

(٢٢) هذه راوية الراوي ويستقيم الوزن لو قال: واللي يريد الظل يا الترف يلقاه.

أقول : وكان على أصحابنا الدارسين من العرب والمسلمين أن يكونوا منصفين ، وأن يحكموا بالعدل كما أمر الله فيقروا بما قدّم طائفة من هؤلاء الأعاجم المستشرقين للحضارة الإسلامية من بيض الأيادي وجليل العمل ، وبذلك نُصَدِّق قول الله - تعالى - ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

ولنرجع إلى كتابنا الذي ألفه الأستاذ المستشرق في مادّة «الحلم» ، ومن غير شك أن تكملة العنوان ينبغي أن تكون «عند العرب» لأن الكتاب قائم على هذه المسألة فلا بُدَّ من التّويه بها .

وكان الأستاذ شارل بلا حين كتب كتابه بالعربية أراد أن يقول : إننا معشر الأعاجم نملك من هذه اللغة العريقة ما نقدر به على أن نعرب بها على نحو ما يعرب بها أهلها إن لم نكن خيراً منهم وكأنه أراد أن يتجلّى بين جماعة المستشرقين الذين لا يكتبون أو يصنفون إلا بلغاتهم التي فطروا عليها . ومن أجل ذلك لن تجد بينهم من كتب بالعربية وهو ألماني أو فرنسي أو إنكليزي مع انصرافه إلى العربية التي جعلها شُغْلَهُ الشاغل ، وقل مثل ذلك في أولئك الآخرين من الغربيين الذين انصرفوا إلى الفارسية أو التركية أو غيرها من اللغات . وعلى هذا يكون صاحبنا المستشرق الفرنسي بارزاً بين أصحابه الأعاجم متميزاً عنهم ، وكأنه أراد أن يقول أيضاً للقارئ العربي : إن عربيّك لغة عسيرة ، لا يُصار إليها إلا بعد الكدّ والجد ، ألا ترى أنه قال شيئاً من هذا في كتابه هذا الذي نعرض له . فقد قال في مقدمته وهو يتوجه إلى سائل تخيله فيجيبه ويرد عليه ويحاوره على نحو ما كان المتقدمون من أدباء العربية يصنعون ، أو قل على نحو ما كان أبو عثمان الجاحظ يفعل في رسائله وكتبه :

(فلا يغيب عنك يا حبيبي - أن اللغة العربية لم تزل في نظر الأعاجم والفرنج أمثالي بئراً لا قاع له أو بحرّاً لا تُسْبَرُ أغواره عمقاً ، ولا تبلغ أطرافه طولاً وعرضاً ، لكثرة جذورها<sup>(١)</sup> وتعدد مفرداتها ، واتّساع اشتقاقها ، واختلاف معاني ألفاظها ، فهي لغة الأضداد والمشتركات والمترادفات ، وكما أن المفهوم الواحد قد تعبّر عنه عبارات لا تحصى ولا يقوم عليها عدّ ، فكذلك كثيراً ما يدلّ الدالّ الواحد على عدد وافر من المدلولات ، لأن لغتك لغة جزلة عنيفة كثيفة ، من شأنها أن تثير من عقول الناس انفعالات بعيدة

المدى ومن صدورهم انطباعات<sup>(٢)</sup> عميقة المصدر ، فلا نخلو من أن نصادف في المنظوم والمنثور ألفاظاً جامعة يتسع حقل معانيها<sup>(٣)</sup> ( Champ Sémantique ) اتساعاً لا يتيسر معه أن نكشف في اللغات الغربية عما يقابلها مقابلة تامة ، ويناسبها مناسبة كاملة ، لأنها تطلق على مفاهيم مركبة معقدة كثيرة الوجوه ، متعددة العناصر ، متفاوتة الاستعمال ، مختلفة الصدى في قلوب المستمعين ، منها «الحلم» الذي سألتني عنه ودعوتني إلى دراسته<sup>(٤)</sup> .

وهو يعود ثانية فيشير إلى عُسر العربية فينطلق متعجباً ويقول :

(يا لها من لغة تنصب الفخاخ في كل خطوة بخطوها المبتدئ وحتى المنتهي)<sup>(٥)</sup>  
ولنعد إلى الكتاب فنستقره استقراءً وافياً فنقف بادي ذي بدء على مقدمته التي صدرها بدعاء جميل وهو قوله :

﴿ رَبِّ أَنْعَمْتَ فِرْدُ ﴾

وليس لي أن أطالبه في أن يُحيل مقدمته إلى فاتحة كتاب يحورها مسلم ملتزم فيبدأ بالبسملة ثم الصلاة على النبي وعلى آل بيته الطاهرين ثم يخلص إلى غرضه .  
أقول : ليس لي أن أطالبه ، لا لأنه غير مسلم ، ولكني لا أطالبه لأن دُعاه الجميل قد يحملني على إعفائه لو كان مسلماً ، ولرضيت لعمله أن يكون (ابتر) كما ورد في الحديث الشريف .

ولتسمع صديقنا المستشرق في مقدمته :

(أطال الله بقاءك ، وأدام نعمته عليك ، وجعلك ممن يشكر للباحثين كدودهم والعلماء جهودهم ، ويحمد للمستشرقين إخلاصهم ، وللمستعربين تجردهم ، ولكلا الفريقين سعيه الحثيث في إحياء تراث الشعوب وانكبابه على دراسة لغاتهم ونشر آدابهم ، دفاعاً عنهم وتنويعاً بمآثرهم وتحليداً لما يستحق أن يُخلد إلى الأبد من رسوم حضاراتهم .

أما بعد فقد بلغتني رسالتك ، وفهمت ما فيها إلا أنك عبتني فقلت : لماذا لا تكتب

رسائلك باللَّسَانِ العربي المبين ولا تحرر مقالاتك بلغتنا الضادية لكي تنهيا قراءتها لجم غفير  
من لا يحسن رطانتك؟<sup>(٦)</sup> .

أقول : إن فاتحة هذه المقدمة تنقل القارئ إلى شيء ذابَّ عليه أبو عثمان الجاحظ  
حين يتوجَّه إلى قارئه فيخطبه ويحاوره ، وقد يتخيله سائلاً فيجيبه ، ألا ترى أنه قال :  
... انك عبتني ...

وهذا يشعر القارئ بما ورد في أول كتاب «الحيوان» فقال فيما قال :

وَعَبَّتَنِي بِكِتَابِ الصُّرَحَاءِ وَالْهُجَنَاءِ ، ومفاخرة السودان والحرمان ، وموازنة ما بين  
حق الحوثة والعمومة ، وعَبَّتَنِي بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب ...<sup>(٧)</sup> .

ثم قال الأستاذ شارل بلا في مقدمته :

ثم قلت : حدثني الآن عن فضيلة عربية عريقة في القدم ، طالما أثنى عليها المتقدمون  
من الشعراء ، والمتأخرون من الأدباء ... ألا وهي فضيلة الحلم - بالكسر - التي اشتهر بها  
من سلفنا شخصيات بارزة<sup>(٨)</sup> ...

ثم يمضي المؤلف فيشير إلى أنه اهتدى إلى كتابه هذا بعد أن بدأ في محاضرة ألقاها في  
الهند في موضوع الحلم . ثم استأنف الموضوع في محاضرة أخرى في باريس وما عرض له  
في أثناء إلقائها من اعتراض أحد الحاضرين الجهايل . ثم انتهى إلى بيان المنهج الذي اتبعه  
في الكتاب وهو اعتماده في فهم «الحلم»<sup>(٩)</sup> على ما ورد في «القرآن» و«الحديث» و«الأثر»  
وعلى ما ورد في أخبار المشاهير في صدر الدولة الإسلامية ، وما جاء في الأشعار  
والأمثال ، منذ الجاهلية إلى ماورد في ذلك في أشعار المتأخرين وأخبارهم كما سنرى .

قلت : إنَّ القارئ لشعر شيئاً من نفس أبي عثمان في أسلوب الأستاذ شارل  
بلا ، وليس ذلك غريباً فلقد أحبَّ الأستاذ بلا أبا عثمان وتعلق به ، بل قل أعجب به  
حتى إنني لأذكر أنني سمعت في محاضرة له ألقاها ببغداد قبل أكثر من عشرين سنة بالعربية  
ختمها بقوله :

(... اللهمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه ، اللهمَّ اشهد أنَّي جاحظي .)  
ودلالة هذا الختام معروفة .

ثم نأتي إلى صلب الكتاب ، فنجد الباب الأول معقوداً على (تعريف الحلم وحقل معانيه في المعاجم) .

يقول المصنف :

يبدو لأول وهلة أن أسهل طريق إلى تعريف الحلم وإدراك ماهيته تمرّ بالمعاجم العربية ، لأن المنهج المعنوي يقتضي طرق الموضوع من الناحية اللفظية ...

ثم تفرض هذه الطريقة تتبع معاني المفردات في تطورها إن تطورت ، ومقارنة<sup>(١٠)</sup> دقيقة بينها وبين أصدادها ومجانساتها ومترادفاتها ...<sup>(١١)</sup> .

وهو يشير إلى أن المعاجم الموجودة غير وافية بالمقصود ولا كافية لإنجاز هذا العمل الدقيق ، لأنها - وإن نوّعت التعريفات بعض التنوع - لا تستشهد إلا بشواهد قديمة ولا تحفل بما طرأ على الألفاظ من تغير وتحول على مرّ الزمان ..<sup>(١٢)</sup> .

ثم يعرض لما ورد في «اللسان» في معنى (الحلم) وهو الأناة والعقل ، وما جاء على ذلك من شواهد من الآيات الكريمة ومما ورد في الحديث الشريف .

وهو حين يعرض لما ورد في «اللسان» يعقبه بما ورد في «القاموس المحيط» ، ثم يكتفي بهذين المعجمين القديمين فيتحول إلى المعاجم الحديثة فيورد ما قاله (البستاني) في «البستان» وهو من المعجمات التي صنعها البستاني كما صنع «محيط المحيط» .

فيجد فيها أن «الحلم» نقيض السفه ، والعقل والأناة والتثبت في الأمور ، وضبط النفس والطبع عن هيجان ...

ولم ينسَ أن يورد ما ذكره الشرتوني في «أقرب الموارد»<sup>(١٣)</sup> .

ثم يتحول إلى المعاجم الغربية التي صنعها أصحابها للعربية ولكن بلغاتهم الفرنسية أو الانكليزية أو غيرها فعرض لمعجم «كازمرسكي» الفرنسي وذكر تعريف الحلم بالفرنسية كما ورد في هذا المعجم . ثم عرض لمستدرك (دوزي) على المعجمات العربية وما ورد فيه .

ثم ختم هذه الإلماعات بشيء مما ورد في معجم (فير) (H. Wehr) الإنكليزي .

وخلص من ذلك إلى أن اللغويين المسلمين استندوا خاصة إلى ما ورد في القرآن والحديث من ذكر الحلم فذهبوا إلى أن أساسه الذي عليه يرتكز هو الصبر بالنسبة إلى (...). والعقل والأناءة والتثبت في الأمور بالنسبة إلى الإنسان ، ولم ينتهوا إلى خصلة مهمة تتبادر إلى الذهن عند ذكر الحلم ، وتعتبر غالباً من أقوى مقوماته ألا وهي السباحة والعفو من جهة ، وقمع الغضب من جهة أخرى ، بيد أن (كازمرسكي) يشير إلى ضبط النفس عند الغضب و(فير) يسجل معنى المغفرة ويغفل عن كظم الغيظ ، مع أنه يعدد من المعاني المتنوعة ما يكاد يشفي الغليل<sup>(١٣)</sup> .

ثم نخلص إلى القول :

والجدير بالملاحظة هنا أننا بحاجة ماسة إلى معجم عربي حديث ، فمن واجب اللغويين المعاصرين أن يشرعوا في تأليف قاموس تاريخي يكون كاسمه ، فيشتمل على جميع المراحل التي مرت بها اللغة العربية ، ويكون وافيًا شافيًا ، وجامعًا مانعًا<sup>(١٤)</sup> . ويشير المؤلف إلى (العقل) و(الحلم) ، والفصل بينهما ، ويعود ثانية إلى (الأناءة) كما وردت في «اللسان» ، وأنه الحلم والوقار والتؤدة ، وقال : «وَأَنِّي وَتَأَنِّي وَاسْتَأَنِّي بِمَعْنَى تَثَبَّتْ» .

ثم قال المؤلف : ومن طريف الاتفاق أن العامة تقول بمعنى (انتظر) إمّا (اصبر) وإمّا (استنّ) وهي نَحْتُ من تَأَنِّي وَاسْتَأَنِّي .

أقول : لا أرى أن قول العامة (استنّ) آتٍ من النحت بين تَأَنِّي وَاسْتَأَنِّي ، بل هي طريقة عامية في تسهيل الهمزة أو حذفها ، ومن أجل ذلك كان (يستنّ) لغة أقطار عربية بعينها كسائر بلاد الشام الواسعة ، في حين أن أهل أقاليم أخرى يقولون : (يتاني) بمعنى ينتظر ، وهذا هو سبيل العامة في التسهيل وحذف الأصول .

ومن الطريف إشارة المؤلف الفاضل إلى (التؤدة) بمعنى (الأناءة) والرزانة والتمهل فيقول :

وجذرها (وَاد) ، وَالْوَادُ دفن البنت في القبر وهي حَيَّة : يالها من لغة تَنْصِبُ الْفِحَاخَ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا الْمُبْتَدِئُ وَحَتَّى الْمُنْتَهَى ...<sup>(١٦)</sup> .



أقول : صحيح أنَّ هذه العربية لغة (تنصب الفخاخ) غير أنَّ من العلم أن نعرف كيف نهدي إلى الخروج من (الفخاخ) .

الذي أراه ليس من إشكال بين معنى التُّودَة وهي الأناة والتمهّل ، وأنها من أصل (وود) وبين (الوَاد) بمعنى دفن البنت حيّة في القبر ، وذلك أن النظر في هذا الإشكال يَتَضَيِّحُ إذا عرفنا أن (التُّودَة) و(الوثيد) وما يتصل بهذا من الأناة والتمهّل والتباطؤ كله من (الهوادة) وأن مادة (هُود) و(وود) بهذه الدلالة واحدة ، والسييل إلى ذلك أن هذا يحصل بشيء من القلب والاببدال ، ونظائر هذا كثير في العربية ، وهو معروف عند أهل الصنعة .

وعلى ذلك فإن (التُّودَة) من (الوَاد) وهو أصل قائم بذاته يسهل رده إلى (هود) وأن (الوَاد) بمعنى دفن البنت حيّة أصل آخر .

ويقول المؤلف :

... ذلك أننا ربما نستفيد ، عند محاولتنا تعريف كلمة من الكلمات بنقيضها ، وإني مُقِرٌّ بأنني لم أفهم كثيراً من أقوال صديقي الجاحظ ، ولا قليلاً لو لم يكثر من العبارات المتناقضة ، إلهاماً لما يقصد التعبير عنه من أفكاره ، فقد قرأنا في (البستان) أن «الحلم نقيض السَّفه» وإن راجعنا مرة أخرى «لسان العرب» لم نَمَلِكْ من أشد العجب عند قراءة ما أورده ابن منظور من تعريف (السفه) فقال : (السَّفه والسَّفاه والسَّفاهة : خفة الحلم ، وقيل : نقيض الحلم ، وأصله الخفة والحركة ، وقيل الجهل ، وهو قريب بعضه من بعض ، وقد سَفِهَ حلمه ورأيه ونفسه سفهاً وسفاهاً وسفاهةً : حمله على السفه ... والسفيه الجاهل ... وسفه الرجلُ : جعله سفيهاً ...

وقول المشركين للنبي ﷺ : (أَسَفُهُ أَحْلَامُنَا) معناه : أَتَجَهَّلُ أَحْلَامُنَا

والسفيه : الخفيف العقل ...

وقال مجاهد : السفيه الجاهل والضعيف الأحمق .

وقال ابن عَرَفَة : والجاهل ههنا<sup>(١٧)</sup> هو الجاهل بالأحكام لا يُحسن الإملال ، ولا

يدري كيف هو).<sup>(١٨)</sup>

وهكذا يحول المؤلف الفاضل في رحاب هذه الكلمة فيستقرها ليصل إلى شيء فيه مُتعة وطرافة وعلم .

وقد أشار في حديثه عن وجوه المعاني وما يمكن أن يدخل من الدلالات المعنوية في (الحلم) إلى ما جاء في «اللسان» وغيره من القواميس<sup>(١٩)</sup> القديمة مستفيداً من ذلك بطرائق الاستقراء والاستنتاج فوائده جمة .

ولا يفوتني أن أقف على استعماله (القواميس) فأقول :

«القاموس» في العربية وسط البحر وأعلاه ، وبناء الكلمة على (فاعول) وانتهائها بحرف السين يوحي إلينا أنها من الدخيل الذي استعمله العرب فعربوه كالناموس والفاunos والراموس وغيرها . وأول من استعار (القاموس) فسمى به كتاباً أو معجماً على سبيل التشبيه لا الحقيقة هو مجد الدين الفيرز آبادي في كتابه «القاموس المحيط» وهو شرح واستدراك على «الصحاح» للجوهري ، وكأنه أراد أن يزهي بهذا الكتاب فلقبه بـ «القاموس» ووصفه بـ «المحيط» والمحيط من صفات البحر . ولما كتب لهذا المعجم الشهرة والذيع غلب اسمه فصاروا حين يطلقون «القاموس» ينصرف الذهن إليه ، ثم غلب اسمه في اللغة السائرة الدارجة على كل «معجم» ولا سيما في لغة أهل السوق والتجارة فصاروا يقولون : قاموس انكليزي - عربي . مثلاً . وعلى هذا ليس من الضبط وحسن التأليف استخدام الكلمة (قاموس) للدلالة على كل (معجم) .

ويُنهي المؤلف هذا الباب الأول وكأنه أجمل فيه ما يعود إليه ثانية في أبواب تليه فيستوفي الكلام على هذه الفوائد اللغوية التاريخية وبسط دلالاتها الحضارية في القرآن والحديث والأثر والاشعار والأمثال فيقول<sup>(٢٠)</sup> : ... لعلها توقفنا على الضالة المنشودة .

أقول : ولو قال : لعلها تَقِفْنَا على الضالة المنشودة لكان في ذلك رجوع إلى استعمال الفعل (وقف) الثلاثي كما ورد في كلام الفصحاء .

ومن اجتهادات هؤلاء المستشرقين الأعاجم وفطنهم أنهم يحسنون النظر في غير العربية من اللغات السامية وهكذا يقول المؤلف :

وإذ نحن بصدد المعاجم فقد التمسنا في غير العربية من اللغات السامية الجذر (حلم) فوجدناه لا يشتق منه إلا معنى (الحلم) (بالضم) ، أي الرؤيا ، وفي ذلك دليل بين على أن (الحلم) (بالكسر) خصلة عربية محضاه (٢١) .

والمؤلف هنا يقرر إن (الحلم) خصلة عربية محضة وأن اللغات السامية الأخرى لم تتصرف في هذا الأصل اللغوي فتتحول من معنى الرؤيا إلى ما تحولت إليه العربية من دلالات بارعة .

ثم يقول متسائلاً :

... ولكن هل هناك رابطة بين الحلم (بالكسر) الذي نحاول تعريفه و(الحلم) (بالضم) ؟

فلا علاقة بينهما في ظاهر الأمر ، إذ أن الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقيح ... (٢١) .

أقول : ومن الخير أن أقف على قول المؤلف وإفادته أن (الرؤيا) غلبت على ما يرى النائم من الخير والشيء الحسن بخلاف (الحلم) دل على ما يراه من الشر والقيح . ولم أقف على هذا الفصل أو هذا التخصيص الذي مرده إلى (الغلبة) وفي استقراءنا لما ورد من هذا الكلم في كلام الله انتهينا إلى أن هذه (الغلبة) التي أشار إليها المؤلف غير حاصلة ، ودونك ما ورد في لغة التنزيل العزيز :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ .

«الآية ٤ من سورة يوسف»

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

«الآية ٥ من سورة يوسف»

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي  
أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \* قَالَ  
لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي  
تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾

«الآيتان ٣٦ ، ٣٧ من سورة يوسف»

إلى قوله تعالى :

﴿بِأَصْحَابِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ  
مِنْ رَأْسِهِ ، قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾

«الآية ٤١ من سورة يوسف»

وقال تعالى :

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ  
خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ \* قَالُوا أَضْغَاثُ  
أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ \* وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا  
أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ \* يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ  
عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ \* قَالَ  
تُرْزَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ \* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ \* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾

«الآيات من ٤٣ إلى ٤٩ من سورة يوسف»

وقال تعالى :

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ  
قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾

«الآية ١٠٠ من سورة يوسف»

أقول : وفي هذه الآيات التي ذكرتها لا يمكن أن نميز هذه الغلبة للرؤيا في أنها تنصرف إلى الخير ، وأن الحلم ينصرف إلى الشر ، فقد ورد من الآيات ما يثبت أن هذا التخصيص أو قل : إن هذه الغلبة ليست حاصلة وإن الرؤيا ما يراه النائم في نومه ، وكذا الحلم من غير تخصيص بالخير أو الشر ، كما ورد ذلك فيما أثبتناه من دلالة هاتين المادتين في لغة التزليل .

وقد يستفاد من «الحلم» - بالضم - الاحتلام المعروف ، وإلى هذا تنصرف الكلمة في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ﴾ (٢٢) وكذلك في قوله تعالى أيضا : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾ (٢٣) .

ويقول المؤلف في التعليق على الآيتين الكريميتين : ومعنى الحلم في هذه السورة ، والاحتلام في نصوص أخرى : البلوغ من حيث الشئون الجنسية والإدراك من حيث الأمور الفكرية ، فهو إذن بلوغ سنّ الرشد ، والرشد هنا إنما هو العقل (٢٤) .

قلت : إن للمؤلف جولات في رحاب هذا الكلم الشريف ولنسمعه وهو يطيل النظر فيقول :

ويقول الفقهاء : إن السفه نقيض الرشيد في الاصطلاح الفقهي ، فينتج من ذلك أن السفه هو الجاهل ، وأن الرشيد هو العاقل ، أي الحليم والبالغ الحلم في آن واحد (٢٥) .

ونقل الغزالي قول ابن أبي حبيب في قوله تعالى : ﴿ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢٦) .

وقوله تعالى أيضا : ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ (٢٧) ، قال : الكهل منتهى الحلم (٢٨) .

وجاء في «اللسان» : وقد اكتهل الرجل وكاهل إذا بلغ الكهولة فصار كهلاً ، وقيل : أراد بالكهل ههنا (٢٩) الحليم العاقل أي إن الله يدخل أهل الجنة حُلَمَاء عَقْلَاء (٣٠) .

ثم نأتي إلى الباب الثاني .

ومحبس المؤلف هذا الباب على ما ورد في (الحلم) في القرآن والحديث والأثر .  
وكأن المؤلف أراد أن ينتهج نهج اللغويين المسلمين في اعتمادهم على القرآن والحديث والأثر في شرحهم لمواد العربية خلافاً لعامة المستشرقين الذين يقتصرون على القرآن فيقولون على ما ورد فيه ثم يعتدون بما صح من أحاديث الرسول - كما يقول المؤلف - وآثار الصحابة والتابعين، ويستغلون (كذا) أخبار الجاهلية وما رواه الرواة من قديم الأشعار وجاري الأمثال، ببعض الاحتياط والتحفظ لكثرة ما تشتمل عليه من الأقوال الموضوعية والأساطير المصنوعة (٣١) .

وقال أيضاً :

(وإذ نحن ندرس الحلم فمِمَّا يستدعي الانتباه ، بادى ذي بدء ، قِلَّةُ ورود اسمه في القرآن ، ولعل أول من انتبه إلى ذلك وأشار إليه الحسن البصريُّ حيث قال : ما نَعَتْ تعالى الأنبياءُ نَعْتًا أَقَلَّ مِمَّا نَعْتَهُمْ بِهِ من الحلم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (٣٢) ، وقال أبو عبيدة : يعني أن الحلم في الناس عزيز) (٣٣) .

ثم أفاض المؤلف في ورود الحلم في القرآن وأيد قِلَّةَ ورودها كما مرَّ بنا وإلى هذا أشار الجاحظ .

وقد عرض المؤلف إلى الخصال التي يتصف بها (الحليم) فعاد بنا إلى ما ذكره أهل العلم من المتقدمين فقد ذكر الغزالي في باب «الإحياء» الموقوف على الحلم عدة آيات لها مساس بالفضيلة المتعلقة بالحلم ، فقال : قيل في قوله تعالى ﴿ كُونُوا رِبَّانِينَ ﴾ (٣٤) أي : كونوا حلماء علماء .

وقال عطاء بن رباح : ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٣٥) أي حلماء . وعن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٣٦) ، قال حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا (٣٧) .

ثم يعرض لما ورد من الآيات في العفو والغفران فيقرر أن الحلم من يغفر ويعفو ويصبر ويكظم غيظه .

ثم غاد المؤلف إلى مادة (السَّفَه) فأشار إلى ما ورد منها في الآيات وخلص إلى أن السَّفَه هو إما الحمق أو الجنون ...

ثم عاد واستقرى لفظ الجهل أو الجهالة والفعل من ذلك جهل يجهل . وقرر أن (الجهالة) قد تكون عدم العلم والمعرفة غير أن الجهل وما ورد من مادة الفعل اقرب إلى الطيش وعدم ضبط النفس وإلى ضَرْبٍ من الهمجية منه إلى المعنى المتعارف . وأشار إلى المعنى الذي غاب عَمَّن ترجم كلمة (جهل) « ignorance » و(جاهل) « ignorant » أن هناك مفاهيم قديمة لا تدرك ما هيَّتها إلا بعد دراسة عميقة لمفهوم الحلم (٣٨) .

ثم تحول المؤلف إلى الحديث الشريف فاستقرى (الحلم) ودلالته وضده (الجهل) ودلالته وعرض للحديث : « ليليني منكم ذوو الأحلام والنَّهْي ، ثم الذين يُلُونَهُمْ ثم الذين يُلُونَهُمْ » (٣٩) ، أي العقلاء .

وأفاض في صفات الحلم في الأحاديث التي تدل عليه وليس فيها لفظ الحلم أو الحلم واستدل عليه بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (٤٠) فالكرام هم الحلماء وبه فسروا قول الرسول في عبد الله بن مسعود « أصبح ابن مسعود وأمسي كريماً » (٤١) .

وذكر قولاً للجاحظ هو : (ولم ترَّ العيون ولا سمعت الآذان ولا توهمت العقول عملاً اجتباه ذو عقل أو اختاره ذو علم بأوباً مغبة ولا أنكد عاقبة ... ولا أشد خلافاً على الحلم من التكبر في غير موضعه والتنبُّل في غير كنهه) (٤٢) .

ويُنْهِي هذا الباب بالنظر في هذه المواد في كلام صحابة رسول الله .

ثم نأتى إلى الباب الثالث المعقود على (الحلم في الأمثال السائرة) . وليس من حاجة أن استقرينه فقد عرف القارئ طريقة المؤلف ، ولكنني سأقف وقفات ثانوية أصح مادَّة وأقوم وزناً وأثير مسائل قد خفيت على المؤلف .

ومن ذلك قوله مثلاً في باب الأمثال ذات الدلالة :

(حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءَ) . كذا . (٤٣)

أقول : لعل من المفيد أن يفطن القارئ إلى أن المثل المذكور شطر بيت من البحر البسيط ، وكان يحسن بالمؤلف أن يتبين أو يشير إليه . وإذا كان ناشر «مجمع الأمثال» وناشر «المستطرف» لم يشير إلى ذلك فذاك مما لم يتبها إليه .

ومثل هذا ما ورد في المثل : «إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لَلْذِي الْحَلَمُ» (٤٤) ، وحقه أن يشار إلى أنه شطر بيت من البحر الكامل ، ولا يعفينا من هذا إغفال ناشر «مجمع الأمثال» لهذه الحقيقة .

وينتهي هذا الباب الثالث ويعقبه الباب الرابع المعقود على (الحلم فيما رُوي من الأشعار) (٤٥) .

وهو باب طويل عرض فيه المؤلف إلى دلالة الحلم في أشعار الجاهليين والاسلاميين والأمويين والعباسيين وأخبار الشعراء في سيرهم ليقوي ما ذكروه إن كان له وجود في سيرة القائل .

وسأقف وقفات في هذا الباب لا تَمَسُّ كثيراً مادة الكتاب ، وحسن تناول المؤلف للنصوص الشعرية واستخلاص الأفكار منها ، بل هي وقفات في مسائل يسيرة منها :

قال المؤلف :

... وذلك أَنَّ من تصفَّح دواوين الشعراء الجاهليين وكتب الأدب المحتوية على أبيات مبعثرة ... (٤٦) .

أقول : أَنَّ فعل (الاحتواء) يتطلب المفعول ولا حاجة إلى الخافض (على) ، وعلى هذا يكون الصواب : ... وكتب الجاهليين المتوية لأبيات مبعثرة ، والمعنى أنها (تحتويها) لا (تحتوي عليها) .

وجاء بعد هذا قوله : ... دون أن أرجو من سؤال الشعراء جواباً يلقي ضوءاً ساطعاً على مشكلتنا (٤٧) .



أقول : وقوله : يلقي ضوءاً ساطعاً من الأساليب المترجمة التي أدخلها التراجمة إلى العربية المعاصرة ، والمؤلف معنيٌ بهذه العربية الجديدة كما أشرنا .

ومن هذه الوقفات إيراد المؤلف لمقطوعة شعرية قديمة اقتبسها من «الحيوان» ١٥/١ جاء فيها :

فَالسَّامِعُ الذَّمَّ شَرِيكُهُ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْآكِلِ

والوجه أن يقال : (فسامِعُ الذَّمِّ) بتجريد اسم الفاعل من الألف واللام وإضافتها إلى (الذَّمِّ) وليس جعل (الذَّمِّ) منصوباً باسم الفاعل ، وتجريد المضاف من الألف واللام ، يعضده ما ورد في عجز البيت (مطعم المأكول) فكلمة (مطعم) وَرَدَتْ مجردة وهي مضافة إلى (المأكول) ودلالة اسم الفاعل هنا على الماضي . وقد كنا حفظنا هذا الوجه منذ زمان طويل ، ولا يعني المؤلف أن يكون البيت ورد على هذه الصورة في «الحيوان» بتحقيق عبد السلام هارون (٤٨) .

وجاء مثل هذه المسائل الهينة في الصفحة (٦٨) البيت :

لَعَمْرُكَ مَا بِالسَّكْرِ عَارٌ فِي الْفَتَى وَلَكِنْ عَارًا أَنْ يُقَالَ لَيْئِمٌ

أقول : والصواب : عار على الفتى .

وجاء بيت زهير المشهور :

وَمَنْ لَا يَدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

ويعلق ابن شرف في «مسائل الانتقاد» ص ٦٦ ، على البيت فيقول في تعليقه :

... وإن كان إنما أشار في شعره إلى أن الظالم يُرْهَبُ فلا يُظْلَمُ فهذا قياس ينقد (كذا) (٤٩) .

أقول : وليس في مادة (فَسَدَ) بناء (انفسد) ، وقد يكون هذا من خَطَأِ الناسخ فلم يتبه محقق كتاب «مسائل الانتقاد» ، وربما كان هذا البناء المولدة مما وَلَدَ المغاربة في العربية الافريقية .

وجاء في النماذج الشعرية أبياتٌ للفضل بن العباس بن عُتبة بن أبي هب (من الكامل) :

زَعَمَ ابْنُ سَلَمَى أَنَّ حِلْمِي ضَرَبِي      مَاضِرٌ قَبْلِي أَهْلُهُ الْحَلَمُ  
إِنَّا أَنَاسٌ مِنْ سَحِيَّتِهِمْ      صِدْقُ الْحَدِيثِ وَرَأْيُهُمْ حَنَمُ  
لَبَسُوا الْحَبَاءَ فَإِنْ نَظَرْتَ حَسِيَّتَهُمْ      سَقُمُوا ، وَلَمْ يَمْسَسْهُمْ سُقْمُ  
إِنِّي وَجَدْتُ الْعُذْمَ أَكْبَرَهُ      عُدْمُ الْعُقُولِ وَذَلِكَ الْعُذْمُ  
وَالْمَرءُ أَكْثَرُ عَيْنِهِ ضَرَرًا      خَطَلُ اللِّسَانِ وَصَمْتُهُ حُكْمُ<sup>(٥٠)</sup>

ومصدر الأبيات «شرح نهج البلاغة» ١٩١/٢ - ١٩٢ .

ولم يلتفت المؤلف صاحبنا المستشرق كما لم يلتفت محقق «شرح نهج البلاغة» إلى ما اعتَوَرَ هذه الأبيات من نقصٍ ، مِلَاك الأمر فيه أَنَّ الأبيات اشتملت على العروضِ الأولى وهي (مستفعِلن) ثلاث مرات في كل شطر كما اشتملت على العروضِ الثانية وهي (مستفعِلن فاعِلن فَعِلُ) ، وليس جائزاً أن يكون صدر البيت من العروضِ الأولى وعجزه من العروضِ الثانية أو العكس . وفي هذه الأبيات خلط من هذا النوع فصدر البيت الأول من العروضِ الأولى وعجزه من العروضِ الثانية ، ومثل ذلك عرض للبيت الثالث .

وجاء من أبيات لمسلم بن الوليد قوله :

مِنَ اللَّاءِ لَا يَرْجَعَنَّ إِلَّا شَوَارِدًا      لَهُنَّ بِأَفْوَاهِ الرِّجَالِ تُهْمُهُمْ<sup>(٥١)</sup>  
أقول : والصواب : تَهْمُهُمْ وهو مصدر (تَهْمَهُمْ) لا فعل مضارع . وجاء البيت الآتي :  
وَجَهْلٍ رَدَدْنَاهُ بِفَضْلِ حُلُومِنَا      وَلَوْ شِئْنَا رَدَدْنَاهُ بِالْجَهْلِ<sup>(٥٢)</sup>

أقول : والبيت غير مستقيم الوزن في عجزه ، وهو ناقص تفعيلة هي (فَعولن) ، ولا بد أن يكون الأصل :

..... بِحِلْمٍ وَلَوْ شِئْنَا رَدَدْنَاهُ بِالْجَهْلِ

وينتهي الباب الرابع ويليه الباب الخامس الذي صرفه المؤلف إلى أخبار حلماة العرب . وفي هذا الباب عرض للمشاهير من العرب الذين عرفوا بالحلم فيقف المؤلف على أخبارهم ويفحصها ويتبين وجوه هذه الشهرة وصدقها ، وله في ذلك نظرات صائبة فيأتي على ذكر الأحنف بن قيس وقيس بن عاصم ومعاوية بن أبي سفيان والمهلب بن أبي صفرة ، ويعرض لما قيل فيهم من أخبار الحلم ، وما قيل في ذمهم ، ثم يفسر المؤلف أن صور الحلم لدى هؤلاء تمثل الخصال البدوية والحلم من هؤلاء يمثل السيد البدوي أكثر مما هو المسلم الذي أكسبه الإسلام خصلاً حميدة هي جماع الحلم من عقل وأناة ومغفرة وصبر وعفو وصفح عن المسيء وسماحة وكرم .

وَلُتَاتٍ عَلَى أَشْتَاتٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَنَقُولُ :

جاء في كلام عن الأحنف بن قيس البيت :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَصْبِيرًا وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ (٥٣)

أقول : والمشهور في الرواية : أقول للنفس تأسأً وتعزية .

وجاء في الكلام على قيس بن عاصم أنه كان رجلاً ذا مروءة وحلم ... (٥٤) .

أقول : و(المروءة) بهذه الصيغة لغة عامية دارجة والفصيح المطلوب هو (المروءة) بالهمز .

والمروءة مصدر أُخِذَ مِنَ الْاسْمِ وَهُوَ (المراء) ، وهذا المصدر قد تحول في الاستعمال إلى اسم يقوم على جماع فضائل وخصال يتصف بها (المراء) ، وهكذا تكون (المروءة) شجاعة ونخوة ونصفه وعدل وكرم .

وهذا المصدر الذي أخذ من الاسم (المراء) نظير (الرجولة) من (الرجل) أو (الرجولية) ، والطفولة أو الطفولية من (الطفل) والفتوة من (الفتى) والشيوخة والشيوخية والشيخوخة من (الشيخ) وكلها لم تَبَقْ مصادراً وإنما تحولت في الاستعمال إلى أسماء تمتلك صفات الموصوف بها وهو الرجل والطفل والفتى والشيخ .

وجاء في الكلام على قيس بن عاصم وتناقض أخباره قول المؤلف :

(فنحن الآن بين اثنتين : إما أن نرفض جميع تلك الأخبار الواردة في «الأغاني» ،  
وأمّا أن نقبلها ولو ببعض الاحتياط ، معتبرين أنه ليس دخان بلا نار ، فلنقبلها رأينا  
رجلاً يئد بناته ويشرب الخمر ويكفر ... ويرتد بعد إسلامه ... (٥٥).

أقول : وقوله : (فلن) يقتضي أن تكون الجملة في أسلوب القسم ، أما ما جاء في  
نص المؤلف فالجملة شرطية ، وعلى هذا كان الصواب حذف اللام من قوله : (فلن)  
لتظل شرطية .

وجاء في أخبار الأحنف بن قيس ما حكاه الميداني في «مجمع الأمثال» (٢٢٩/١)  
أنه أشرف عليه رجل فقال بيتاً ردّياً (كذا) (٥٦) .

أقول : والصحيح الفصح أن يقال (ردّياً) بالهمز . وهذا يحدث من أن محقق  
النصوص القديمة لا يرون الهمزة مرسومة في المخطوطات ، وأن المرسوم هو (كرسي الهمزة)  
فيثبتون الياء . وهذا كثير الحدوث لدى من لم يفتن إلى هذه الطريقة في الرسم القديم .  
وأود أن أقول شيئاً يتصل بالكتاب وصاحبه (شيئاً) مما يردده المستشرقون مخلصين حيناً  
وغير مخلصين حيناً آخر .

لقد كان الأستاذ شارل بلا قد أقرّ أن الحلم من خصال العرب الحميدة ، وأن السيد  
الجاهلي من الحلماء الكرماء ذوي الرياسة والسماحة ، غير أنه على نحو جميع الباحثين  
في هذا العصر لا يؤمنون بـ (المسلّمات) وقد يبدو لهم أن من الخير أن يشك الإنسان في  
الأخبار إن كان فيها تناقض ، كأن يوصف الإنسان بالسماحة والحلم ، ولكنه يكذب  
ويئد البنات ، ويكفر بالنعم ، ويساعد الباطل ، وقد تحملهم المبالغة على الشك . وهذا  
ما حدث للأستاذ شارل بلا في كتابه كغيره من الباحثين .

غير أنه ربما تجاوز هذا القدر فرجع إلى (شيشنة أعرفها من أخزم) كما قال المثل  
القديم ، وهي تلك التي أولع بها المستشرقون ، حين ردوا كثيراً من فضائل العرب إلى أن  
فيها شيئاً اصطنع ليكون مُنافساً لما اشتهر به الإغريق أو الفرس أو غيرهم مثلاً .

وإذا عُرف عن بعض العرب لَوْنٌ من ألوان العبقرية فهم يجتهدون إلى أن يحجبوا هذا

اللون ، ويردّونه إلى أنه أخذه من اليونان أو الفرس أو غيرهم ، ولنضرب على ذلك

مثالاً واحداً ثم نذكر ما أورد الأستاذ شارل بلا .

وهذا المثل يمثل الانحياز عن العلم فنقول : لقد اشتهر الخليل بن أحمد في أنه من أهم الذين أقاموا هيكل النحو العربي ، وأنه يمتلك من الصفات ما يجعله أحد المبدعين فقال المستشرقون وأيدهم تأييداً الأعمى نفر من الدارسين العرب : لا بُدَّ أن يكون الخليل قد أفاد مما نقله حنين بن إسحاق السرياني عن الإغريق ، فوضع ما وضع من مواد النحو العربي . وقد فات هؤلاء أن الخليل مات قبل أن يولد حنين بن إسحاق . وقالوا فيه إنه اهتدى إلى وضع «كتاب العين» على نحو ما صنع قدماء الهنود في هذا الباب بالإفادة من نظام مخارج الحروف ، وليس من دليل على هذه المقولة التي أطلقوها من غير نظر علمي تؤيده الوثائق العلمية .

ونأتي الآن إلى صاحبنا الأستاذ بلا فنجدّه يقول وهو يناقش ما جاء في أخبار الأحنف بن قيس فيقول :

... إذا لم نَعثر على أخبار صحيحة كانت أو موضوعة - تصدق هذا القول ، فقد وردت في كتب الأدب أقوال تدل على حكمة الأحنف وبلاغته ، ونزعته إلى تأديب الناس : فلست ممن ينكر بلاغته وحكمته جملة غير أنني أعتقد أن معظم أقواله وحكمه - وإن روى بعضها الجاحظ نفسه في «البيان» وغيره من مؤلفاته ، والجاحظ معوّلي على كلّ حال ، موضوعة وضعها من كان يريد أن يبرهن على أن للعرب حكمة تشاكل ما يتناقله الرواة من حكم الفرس والهند واليونان ، وأن الأحنف نظير بزر جمهر وغيره من حكماء العجم (٥٧) .

أقول : لو أن العرب ما نطقوا بشيء من حكمة منذ عُرِفوا تاريخياً في جاهليتهم ، ولم يكن لهم شيء من هذا فيما ورد في الحديث الشريف وما ورد في الأثر مما أُثِر عن صحابة رسول الله وغيرهم من المشاهير ، أقول : لو لم يكن هذا كله لقلت : إن ما ذهب إليه الأستاذ الفاضل وأصحابه المستشرقون حق لا مرأى فيه ، ولكن بعد أن عُرِفَتْ هذه الصحائف المشرقة من تراث العرب في الحكم والأقوال الماثورة ، والفكر المتفلسف ، فليس من العلم أن يذهب باحث علمي إلى نكران هذا بل إلى الشك فيه .

ومن حق المؤلف أن ينهج النهج العلمي فيقف ويتردد في قبول الأخبار إن اتصفت بالمبالغة والترديد أو أنها كانت متناقضة ، وليس من حقه أن يذهب فيما ذهب إليه من أن هذه الآثار قد صيغت وافتعلت لتكون مادة منافسة وزهو لما كان عند الأمم الأخرى . على أن هذا الذي عرض في كتاب المؤلف لا يمنعني من الإشادة بجهده الكبير وإنجازته العلمي الموفق .

ولنعد إلى الكتاب فنقرأ ما يقوله الجاحظ في الأحنف بن قيس :

لقد شهر الأحنف بالحلم ، ولكنه تكلم بكلام كثير يجرح في الحلم ويثلم في العرض (٥٨) .

أقول : لم يفظن المعاصرون من العرب إلى هذه العبارة الجاحظية واستعمال (الجرح) في الحلم ، و(الثلم) في العرض حين يستعملون في العربية المعاصرة في قولهم مثلاً : (إن هذا العمل الشائن يجرح شعور الكثيرين) .

وهذا المجاز في استعمال (الجرح) آت عن طريق الترجمة وقد كنا أشرنا إلى ذلك ، لأن المعاصرين لم يقفوا في لغتهم السائرة على الأساليب القديمة وقوفاً نافعاً وواقعياً . ويمضي الجاحظ فيقول في الأحنف :

(... فهلاً تورّع (أي الأحنف) بالإغراء بالزبير حتى قتله من قتله بسبب كلامه وتهجينه ، وذلك بعد أن غادر الزبير ساحة القتال يوم الجمل .

أقول : وأراد الجاحظ بـ (الإغراء) التحريض في لغة المعاصرين ، وهو استعمال صحيح ، ولكنني أردت أن أقول : إن (الإغراء) قد اكتسب شيئاً خاصاً في العربية المعاصرة وكأنه تحييب عملي شيء قد يكون غير صحيح فيقال مثلاً : أغرى فلان صاحبه على أن يقوم بهذا العمل ، وكأن (الإغراء) الحث على ما لا يجوز أكثر منه فيما يجوز . وقد أراد الجاحظ منه أنه حبب إليه قتل الزبير .

والإغراء في اللغة والنحو الحث أو الحظ على أمر يستحسن عمله وضده التحذير .

ومضى الجاحظ في كلامه على الأحنف فقال :

(ولو كان صاحب وَرَعٍ ونَظَرٍ لَأَعْتَقَدَ رَأْيَهُ على الناس يوم الأزارقة ، ولم يَتَمَشَّ إلى المهلب يسأله ذلك) .

يشير الجاحظ إلى ما وقع في البصرة ونواحيها سنة ٦٥ حينما هدها الأزارقة ، فطلب البصريون إلى الأحنف أن يقاتلهم ولكنه سأل ذلك المهلب بن أبي صفرة وهو سائر إلى خراسان من قبل عبد الله بن الزبير .

أقول : واستعمال الجاحظ (لم يتمش) يريد به التَّيَلُّ من الأحنف ، وكأنه أراد أن يقول كما نقول في عصرنا بالدارجة للإعراب عن التباطؤ والتثاقل في أداء مُهِمَّةٍ : (وسحب رجله وراح ... كذا وكذا) . واستعمال الفعل (تَمَشَّى) ، مفيد في هذه الحالة ، مفصح عما أراد من تصوير الحال .

وجاء في أخبار المهلب بن أبي صفرة أنه مَرَّ بِحَيٍّ من هَمْدَانَ ، فرآه شابٌ من أهل الحي فقال : (هذا المهلب ؟ - قالوا نعم ، - قال : والله ما يُساوي خمس مئة درهم !) وكان المهلبُ رجلاً أعور ، فسمعه المهلب ، فلما كان الليل أخذ في كُمِّه خمس مئة درهم وأتى الحيَّ وارتقب الشابَّ إلى أن رآه ، فأتى إليه وقال : افتح حِجْرَكَ ، ففتح الشابُّ حجره ، فسكب فيه الخمس مئة درهم ، وقال : خُذْ قِيَمَةَ عَمِّكَ المهلب ، والله يا ابن أخي لو قَوْمَتْنِي بِخَمْسَةِ آلاف دينار لأَتَتَكَ ، فسمعه شيخ من أهل الحي فقال : والله ما أخطأ فيك من جعلك سيِّداً) .

وقد أردت من هذا الخبر أن أقف على ما جاء فيه وهو قول المهلب : خذ قيمة عَمِّكَ المهلب ، والله يا ابن أخي لو قَوْمَتْنِي بِخَمْسَةِ آلاف دينار لأَتَتَكَ ، وعلى استعماله للفعل (قَوْمَ) بإزاء (القيمة) لأشير إلى أن المعاصرين صنعوا فعلاً جديداً من (القيمة) هو (قِيمَ) على توهم أن (الياء) في (القيمة) أَصْلٌ ، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا الفعل (قَوْمَ) للتقويم أي جعل الشيء قائماً مستقيماً .

ثم يأتي الباب السادس المعقود على (تشریح الحِلْمِ ومترلته من الأخلاق الإسلامية) . وفي هذا الباب عرض لهذه المادة كما وردت في كتب المتقدمين من أهل الأدب واللغة وغيرهم ومكان الحِلْمِ بين الآداب الإسلامية ، ومن هؤلاء قدامة بن

جعفر ، وابن قتيبة ، والمسعودي ، وأبو حيان التوحيدي ، وابن حزم ، ومسكوية والغزالي والجاحظ .

وجاء في «رسالة النبل والتبُّل» للجاحظ التي حققها الأستاذ بلا نفسه ، وأقتبس منها في كتابه هذا لعلاقة مادة الرسالة بمادة الحلم ، قول الجاحظ :

... ولئن كان الذي سهَّل عليهم الحلم ومكَّنهم من العزم معرفة الناس بقدرتهم على الانتقام ، واقتدارهم على شفاء الغيظ ، فإنَّ منعهُم لأنفسهم ومجاذبتهم لطبعهم مع الغيظ الشديد والقدرة الظاهرة أشدُّ عليهم في المزاولة ... من صبر الشكل على أذى شكله .

أقول : لقد استعمل الجاحظ كلمة (لئن) مراراً لا تُحصَى في كتبه ورسائله استعمالاً صحيحاً في أنها تشعر بالقسم لوجود اللام ، وعلى هذا يكون الجواب للقسم مؤكداً بالنون أو بغيره كقوله تعالى : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ فليس من المعقول أن يخالف ما درج عليه من الأسلوب الفصيح في هذه المرة ، والذي أراه أنَّ (اللام) إضافة من عبث الناسخ ورفعها أولى لِتَبْقَى الجملة شرطية صحيحة والجواب فيها مقترن بالفاء لأنه جواب شرط .

أقول : لم يلتفت المحقق الفاضل الأستاذ بلا إلى هذه الدقائق اللغوية .

ثم نأتي إلى الباب السابع وهو آخر الأبواب وقد عقده المؤلف على آراء بعض المستشرقين في الحلم .

وابتدأ بالمستشرق المجري كلدزير فعرض لكتابه المشهور الموسوم بـ «دراسات اسلامية»<sup>(٦٠)</sup> الذي لاحظ فيه أن العرب يقسمون تاريخهم قسمين : أولها الجاهلية وثانيها الإسلام ، ثم يضعون الإسلام بإزاء الجاهلية ، ويلحُّون على ما بينهما من التباين والتضادِّ ، فهذا مفهوم معروف ، إلا أنَّ العالم المجري يجتهد في شرح اسم الجاهلية فيخالف من قال بأن الإسلام نقيض الجاهلية باعتبار أن اسم الجاهلية مشتق من (جهل) (يجهل جهلاً) عكس (علم يعلم علماً) ، ويُخطئ من اعتقد أن الجاهلية عصر الجهل أي الجهالة بمعنى عدم العلم والمعرفة بصفة عامة ، وعدم معرفة الله وشريعته بصفة خاصة<sup>(٦١)</sup> لأن اسم الجاهلية مشتق من الجاهل ، ونقيض الجاهل هو الحليم على حسب



ما تشهد به العبارات التي يرد فيها اسمًا الجاهل والحليم مقرونين ببعضها ببعض ،  
والاشعار المشهورة التي يتضح فيها أن الجهل غير عدم المعرفة ، وأدل دليل على ذلك  
بيت عمرو بن كلثوم (من الوافر) :

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ  
فإنَّ جهل الشاعر لا يمتُّ إلى الجهالة بصلة، بل هو قريب من الشدة والعنف  
والفتك، وأما الحلم فكان في نظر كلدزهر الأثران الجسدي والنفسي، والمتانة الخلقية  
والخُلقية والاستقامة والرحمة والسماحة في المعاملات اليومية...

ثم يستعرض أقوال الآخرين كالمستشرق الفرنسي ديمنين في ترجمته للرسول ﷺ  
وغیره.

ثم نأتي إلى خاتمة الكتاب وفيها تلخيص موجز جدًا لما انتهى إليه في بسط هذه المادة  
العربية. وهكذا ينتهي هذا السفر الممتع الذي طاف فيه المؤلف فعرض للكثير مما جاء في  
المصادر مُستفهِمًا ومُحاكِمًا ومتوصلًا بعد ذلك إلى رأي اطمأن عليه.

عمّان - كلية الآداب - الجامعة الأردنية د: ابراهيم السامرائي

مركز تحقيقات كميوتور علوم إسلامي

### الحواشي :

( ١ ) يودي أن أقف على قول الكاتب (جذورها) لأشير إلى أنه كان قد ألف في العربية المعاصرة معجمًا أسماه «العربية  
الحية» ( L'Arabe vivant ) « جمع فيه الأقوال الجديدة في العربية التي تشتمل على شيء من هذا  
الترجم الجديد . واستعماله لـ (جذور) هو شيء من هذا الواقد الجديد فهو ترجمة للفرنسية ( Racines ) أو  
للانكليزية ( Roots ) ، والذي نعرفه أن العرب المتقدمين من اللغويين لا يعرفون (الجذور) بل قالوا :  
(الأصول) .

( ٢ ) واستعماله (انطباعات) من الجيد المنقول ترجمة وهو : ( impression ) .  
( ٣ ) وقوله (حقل معانيها) مترجم أيضًا ، وقد ذكر نفسه الأصل الفرنسي . أقول : ولولا ذكره العبارة الفرنسية  
لقلت : إن في العربية سعة لهذا (المولد) . وأقول : (مولد) لأنه قد يقطن إليه العرب من العرب دون أن يكون  
عارفًا بالعبارة الفرنسية .

( ٤ ) انظر «رسالة الحلم» ص ٦ .

( ٥ ) انظر المصدر نفسه ص ١٨ .

( ٦ ) المقدمة ص ٥ .

- (٧) الحيوان ١ / ٤ .
- (٨) المقدمة ص ٥ - ٦ . ولا بد من الإشارة إلى أن عبارة (شخصيات بارزة) ، التي كثرت في العربية المعاصرة هي شيء من الوافد المترجم ، وليس من شك أنها من الفرنسية :
- (٩) لقد اضطلع الاستاذ بلا بتحرير مادة (حلم) في «دائرة المعارف الإسلامية» في طبعها الأخيرة .
- (١٠) (المقارنة) معروفة في العربية المعاصرة ، وحقيقتها في العربية (المصاحبة) ، أما ما اكتسبته من معنى جديد فكان العرب يستعملون (الموازنة) ، ومنه كتاب «الموازنة» .
- (١١) رسالة في الحلم ص ١٣ .
- (١٢) المصدر السابق ص ١٤ .
- (١٣) المصدر السابق ص ١٥ .
- (١٤) المصدر السابق ص ١٦ - ١٧ .
- (١٥) المصدر السابق ص ١٧ .
- (١٦) المصدر السابق ص ١٨ .
- (١٧) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة (٢٨٢) ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِبَلَ هُوَ فَلَئِمَّا وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ ﴾ ، والإملال هو الإملاء .
- (١٨) رسالة في الحلم ص ١٨ .
- (١٩) المصدر السابق ص ٢٠ .
- (٢٠) المصدر السابق ص ٢١ .
- (٢١) المصدر السابق .
- (٢٢) الآية ٥٨ من سورة النور .
- (٢٣) الآية ٥٩ من سورة النور .
- (٢٤) رسالة في الحلم ص ٢٢ .
- (٢٥) المصدر السابق .
- (٢٦) الآية ٤٦ من سورة آل عمران .
- (٢٧) الآية ١١٠ من سورة المائدة .
- (٢٨) إحياء علوم الدين ٣ / ١٧٧ .
- (٢٩) يشير إلى الحديث الشريف في فضل أبي بكر وعمر : «هذان سيِّدا كهول أهل الجنة» .
- (٣٠) اللسان (كهول) .
- (٣١) رسالة في الحلم ص ٢٥ .
- (٣٢) الآية ٧٥ من سورة هود . ومن المفيد أن أشير إلى أن (الحليم) في قول المشركين لشعيب (الآية ٨٧ من سورة هود) : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ، يعني السفيه الجاهل ، قالها المشركون على سبيل السخرية والتهكم .
- (٣٣) مجمع الأمثال ١ / ٢٢٠ .
- (٣٤) الآية ٧٩ من سورة آل عمران .
- (٣٥) الآية ٦٣ من سورة الفرقان .
- (٣٦) الآية ٣٧ من سورة الشورى .
- (٣٧) رسالة في الحلم ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣٨) المصدر السابق ص ٣٣ .  
(٣٩) المصدر السابق ص ٣٥ .  
(٤٠) الآية ٧٢ من سورة الفرقان .  
(٤١) رسالة في الحلم ص ٣٥ .  
(٤٢) من رسالة في النبل والتبذل للجاحظ ص ٢٧٧ ، وينبغي أن نشير إلى أن الصواب : «... ولا توهمت العقول عملاً اجتبه ذو عقل أو اختاره أوباً (كذا) وليس «بأوباً» كما أثبت المؤلف وهو محقق رسالة الجاحظ المشار إليها .

(٤٣) رسالة في الحلم ص ٤٦ .  
(٤٤) المصدر السابق ص ٤٧ .  
(٤٥) الباب الرابع ص ٥٥ إلى ص ٨١ .  
(٤٦) المصدر السابق ص ٥٦ .  
(٤٧) المصدر السابق .  
(٤٨) المصدر السابق ص ٥٧ .  
(٤٩) المصدر السابق ص ٧٠ .  
(٥٠) المصدر السابق ص ٧١ - ٧٢ .  
(٥١) المصدر السابق ص ٧٥ .  
(٥٢) المصدر السابق ص ٧٧ .  
(٥٣) المصدر السابق ص ٨٨ .  
(٥٤) المصدر السابق ص ٩٠ .  
(٥٥) المصدر السابق ص ٩٤ .  
(٥٦) المصدر السابق ص ٩٥ .  
(٥٧) المصدر السابق ص ١٠٢ .  
(٥٨) فضل هاشم على عبد شمس في رسائل السندوي ص ١٠٤ .  
(٥٩) المصدر السابق ١٢٠ (بلوغ الآراب في لطائف العتاب) لمحمد بن أحمد المقرئ الانباري ، مخطوط باريس رقم ٣٤٩٤ .

(٦٠)  
(٦١) أقول : لعلنا نرتكب أعظم الخطأ في إقامة مقابلة قائمة على الضدّة وهي أن (الجاهلية) صفحات سود في العادات والعقيدة والسلوك فوثنية متأخرة وواد للبنات وغزو واعتداء وقتل وسلب ونهب ، وأن (الاسلام) صفحات مشرقة فعبادة قائمة على التوحيد وعدل وأمن وسلوك حسن في المعاملات وأبطال لكثير من رسوم الجاهلية .

وقد تنسّى هذه المقابلة الضدّة وذلك حين نعرض لعصور ما قبل الإسلام دون أن نصل في هذا الدرس إلى الحقبة الإسلامية ، وعلى ذلك تكون الجاهلية صفحات مشرقة في الأدب والحضارة والفكر فالكلام على الشعر يبرز جوانب فكرية ، والحديث عن «اليمين» وما كانت عليه من تقدم حضاري في الزراعة والتجارة ، وما أدركته قریش في حياتها الاقتصادية .

وعلى هذا نرى أنفسنا متناقضين ، فإذا تحدثنا عن الجاهلية ومسحّنا صورتها فما ذلك إلا لنقول : إن

# ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤ هـ)

- ١٩ -

١٨٥ - بَابُ جُرْثُمَ وَخُرَيْمٍ وَحَرِيمٍ<sup>(١)</sup> :

أَمَّا الْأَوَّلُ - بَعْدَ الْجَيْمِ الْمَضْمُومَةِ رَاءً سَاكِنةً، ثُمَّ ثَاءً مُثْلثةً مَضْمُومَةً - : مَاءٌ لِبَنِي  
أَسَدٍ بَيْنَ الْقَنَانِ وَتُرْمُسَ. قَالَ زُهَيْرٌ :

تَبْصُرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ تَحْمِلْنَ بِالْعَلَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمٍ<sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا الثَّانِي - أَوَّلُهُ حَاءٌ مَعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ رَاءً مَفْتُوحَةٌ - : ثِنْتَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ بَيْنَ  
الْجَارِ وَالْمَدِينَةِ. وَقِيلَ : بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالرُّوحَاءِ، كَانَ عَلَيْهَا طَرِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
مُنْصَرَفُهُ مِنْ بَدْرٍ قَالَ كُثَيْبٌ :

وَأَجْمَعَنْ بَيْنَنَا عَاجِلًا وَتَرَكْتَنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَانِمًا أُتْبِلِدُ<sup>(٣)</sup>

وَأَمَّا الثَّالِثُ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ رَاءً مَكْسُورَةٌ - : الْحَرِيمُ الظَّاهِرِيُّ مِنْ مَحَالٍ بَقْدَادٍ،  
خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّوَاةِ، وَسَكَنَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ<sup>(٤)</sup> .

وَأَيْضًا : مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ، كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ بَيْنَ كِنَانَةَ وَخَزَاعَةَ<sup>(٥)</sup> .

---

<sup>(١)</sup> الإسلام قد قفز بالمجتمع العربي قفزات واسعة في مضمار التقدم ، ومن أجل أن تكون صورة الإسلام مشرفة نرى  
أن السبيل إليه لا يتم إلا بمسح صورة ما قبل الإسلام .

على حين أننا لا نغالي من هذا الإشكال إن عرضنا لعصور ما قبل الإسلام وحدها .  
أقول : ينبغي لنا أن نرفض هذا الأسلوب ونعطي الجاهلية حقها من الخير والشر ، والإسلام مُستغني  
بفضائله وحضارته عن تشويه الجاهلية ووصفها بالجهل والشر والباطل .

# ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤ هـ)

- ١٩ -

١٨٥ - بَابُ جُرْثُمَ وَخُرَيْمٍ وَحَرِيمٍ<sup>(١)</sup> :

أَمَّا الْأَوَّلُ - بَعْدَ الْجَيْمِ الْمَضْمُومَةِ رَاءً سَاكِنةً، ثُمَّ ثَاءً مُثْلثةً مَضْمُومَةً - : مَاءٌ لِبَنِي  
أَسَدٍ بَيْنَ الْقَنَانِ وَتُرْمُسَ. قَالَ زُهَيْرٌ :

تَبْصُرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ تَحْمِلْنَ بِالْعَلَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمٍ<sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا الثَّانِي - أَوَّلُهُ حَاءٌ مَعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ رَاءً مَفْتُوحَةٌ - : ثِنْتَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ بَيْنَ  
الْجَارِ وَالْمَدِينَةِ. وَقِيلَ : بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالرُّوحَاءِ، كَانَ عَلَيْهَا طَرِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
مُنْصَرَفُهُ مِنْ بَدْرٍ قَالَ كُثَيْبٌ :

وَأَجْمَعَنْ بَيْنَنَا عَاجِلًا وَتَرَكْتَنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَانِمًا أُتْبِلِدُ<sup>(٣)</sup>

وَأَمَّا الثَّالِثُ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ رَاءً مَكْسُورَةٌ - : الْحَرِيمُ الظَّاهِرِيُّ مِنْ مَحَالٍ بَقْدَادٍ،  
خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّوَاةِ، وَسَكَنَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ<sup>(٤)</sup> .

وَأَيْضًا : مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ، كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ بَيْنَ كِنَانَةَ وَخَزَاعَةَ<sup>(٥)</sup> .

---

<sup>(١)</sup> الإسلام قد قفز بالمجتمع العربي قفزات واسعة في مضمار التقدم ، ومن أجل أن تكون صورة الإسلام مشرفة نرى  
أن السبيل إليه لا يتم إلا بمسح صورة ما قبل الإسلام .

على حين أننا لا نغالي من هذا الإشكال إن عرضنا لعصور ما قبل الإسلام وحدها .  
أقول : ينبغي لنا أن نرفض هذا الأسلوب ونعطي الجاهلية حقها من الخير والشر ، والإسلام مُستغني  
بفضائله وحضارته عن تشويه الجاهلية ووصفها بالجهل والشر والباطل .

## الحواشي :

- (١) زاد نَصْرُ: (وَجِدْتُمْ).
- (٢) لم يَزِدِ الحَازِمِيُّ على ما ذكر نَصْرُ سَوى بَيْتِ زُهَيْرٍ، وأورد ياقوت الكلام غير منسوب مع بَيْتِ زُهَيْرٍ، ولم يَزِدِ سَوى: (الْجُرْثُومَةُ فِي الْأَصْلِ قَرِيَةُ النَّخْلِ).
- ويعرف جُرْثُومُ الْآنَ بِاسْمِ الْجُرْثُومِيِّ كَانَ مَثَلًا مَأْوَاهُ مَرَّةً، وَأَصْبَحَ الْآنَ قَرْيَةً صَغِيرَةً سِكَانُهَا مِنْ مَرْيَنَةٍ مِنْ بَنِي سَالِمٍ مِنْ حَرْبٍ، مَلْحَقَةٌ بِإِمَارَةِ الْفَوَّارَةِ، فِي شِمَالِ الْقَصِيمِ.
- وَتَرْمُسٌ - تَفْتَحُ النَّاءُ وَتُضَمُّ، وَيَعْرِفُ التَّرْمُسُ - وَادٍ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا، تَنْحَدِرُ فُرُوعُهُ مِنْ جَبَلٍ حَبَشِيٍّ وَمَا بِقَرْبِهِ مِنَ الْجِبَالِ مِنْ شِمَالِ غَرْبِ الْقَصِيمِ، وَيَتَجَّهُ مُشْرِقًا إِلَى شَرْحٍ وَنَاطِرَةِ غَرْبِ الدَّهْنَاءِ، وَيَجْزَعُهُ الطَّرِيقُ الْمَتَّجِهَةُ مِنْ مَدِينَةِ بَرْيَدَةِ إِلَى حَايِلٍ عِنْدَ الْكَيْلِ (١٢٠) مِنْ بَرْيَدَةِ وَالْقَنَانِ سُلْسُلَةَ جِبَالٍ تَعْرِفُ الْآنَ بِاسْمِ الْمُوسَمِّ بَقَعَ فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ جَبَلٍ حَبَشِيٍّ.
- وَبَيْتُ زُهَيْرٍ مِنْ مُعَلَّقَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ.
- (٣) تعريف خُرَيْمٍ هُوَ نَصْرٌ مَا فِي كِتَابِ نَصْرِ، إِلَّا أَنْ قَبْلَهُ: (مَاءٌ قُرْبَ الْقَادِسِيَّةِ، وَأَيْضًا) النَّخْلُ.
- ولم يَزِدِ ياقوت على ما ورد في كتاب نَصْرِ عَنْ خُرَيْمٍ - سَوى قَوْلِهِ: (خُرَيْمٌ بِلَفْظِ تَصْغِيرِ خُرَيْمٍ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي خُرَيْمَانَ) يَقْصِدُ قَوْلَهُ: (وَهُوَ مَا خَرَّمَ السَّيْلُ، أَوْ طَرِيقٌ فِي قَفٍّ أَوْ رَأْسِ جَبَلٍ، وَاسْمُ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ إِذَا اتَّسَعَ: مُحَرَّمٌ، وَالْحَرَمُ: أَنْفُ الْجَبَلِ).
- أَمَّا الْبَكْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَقَدْ كَانَ تَعْرِيفُهُ لِلْمَوْضِعِ أَوْضَحَ، قَالَ - «مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ» - ١٠٣٨ -
- بَعْدَ أَنْ أَوْضَحَ أَنَّ الْفَيْفَ وَالْفَيْفَا كُلُّهُ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ - قَالَ: (وَفَيْفَا خُرَيْمٍ مِضَافَةٌ إِلَى خُرَيْمٍ اسْمُ رَجُلٍ -: ثَنِيَّةٌ بَيْنَ الْمَضْيِقِ وَالصَّفْرَاءِ، وَهِيَ عَلَى طَرِيقِ الْجَارِ، عَادِلَةٌ عَنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ بَيْنَاءً، قَالَ كَثِيرٌ:
- وَأَزْمَعَنَ بَيْنَاءً عَاجِلًا وَتَرَكْنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَانِمًا أَتْبَلَدُ
- وَأورد بيتين بعده. وقريب من قول البكري ورد في كتاب «بلاد العرب» - ولم يزد السهودي مع تَقْصِيهِ في ذكر المواضع القريبة من المدينة على ما جاء في معجم البلدان» وقد تتبع ذكر المواضع الواردة في طريق الرسول ﷺ حين انصرف من بَدْرٍ فِي «سيرة ابن هشام» وفي «تاريخ الطبري» فلم أرَ لَفَيْفَا خُرَيْمٍ ذِكْرًا، ويفهم مما في كتابي «بلاد العرب» و«معجم ما استعجم» أَنَّ الْمَوْضِعَ يَقَعُ بَعْدَ مَضْيِقِ الصَّفْرَاءِ فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْمَضْيِقِ إِلَى الْجَارِ الْوَاقِعِ فِي أَسْفَلِ وَادِي الصَّفْرَاءِ، وَهَذَا الطَّرِيقُ عَادِلٌ إِلَى جِهَةِ الْيَمِينِ بِالنِّسْبَةِ لِلطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، الَّذِي يَنْصَرِفُ إِلَى الْبَسَارِ مِنَ الْمُتَنَصِّرِ (الْمَسِيحِيَّةِ) وَهَذَا الطَّرِيقُ عُذِلَ عَنْهُ فِي عَهْدِنَا الْحَاضِرِ إِلَى طَرِيقِ الصَّفْرَاءِ وَكَانَ ذَلِكَ الطَّرِيقُ أَعْظَمَ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ طَرِيقُ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهُ كَانَ مَسِيرُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَبَيْتُ كَثِيرٍ فِي «دِيَوَانِهِ»: ٤٣٩ - وَفِيهِ: أُتْلِدُ.
- (٤) الْحَرَمُ الطَّاهِرِيُّ مِنْ زِيَادَاتِ الْحَازِمِيِّ، وَأَطَالَ ياقوت الكلام عليه، وَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ بِأَعْلَى بَغْدَادَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، مَنْسُوبٌ إِلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَبِهِ كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ، وَكَانَ مِنْ لَجَأٍ إِلَيْهِ أَمِينٌ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْحَرَمُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَعَلَهَا حَرَمًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَكَانَ عَظِيمًا فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَبَالِغٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ.
- (٥) ذَكَرَ نَصْرُ مَوْضِعَ الْوَقْعَةِ بَيْنَ كَنْثَانَةٍ وَخِزَاعَةٍ، وَأَضَافَ: (وَأَيْضًا: وَادٍ فِي دِيَارِ بَنِي نُمَيْرٍ، فِيهِ مِيَاهٌ، وَأَيْضًا مِنْ دِيَارِ بَنِي تَغْلِبَ، قَرِيبٌ مِنْ ذِي بَهْدَا) وَمِثْلُ هَذَا فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» وَقَبْلَهُ: (وَالْحَرِيمُ أَيْضًا: قَرْيَةٌ لِبَنِي الْعَتَبِ بِالْجَمَامَةِ) بِدُونِ تَفْصِيلٍ. وَعَلَى هَذَا فَاسْمُ الْحَرَمِ يُسَمَّى بِهِ - غَيْرَ الْحَرَمِ الطَّاهِرِيِّ -:

رحمك الله يا أبا نبيه!!

دمعة حزن وأسى :

يا الله !! ما أتفه هذه الحياة وما أجهل من يَغْتَر بها!!

في صبيحة هذا اليوم (الأربعاء ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٠٣) وبينما أنا أتصفح جرائد الصباح ومن بينها جريدة (الرياض) إذًا بي أبصر في الصفحة الأخيرة صورة أخ عزيز،

١ - موضع جرت فيه وقعة بين كنانة وخزاعة في الحجاز، وينبغي أن يكون هذا الموضع في تهامة، بقرب مكة حيث بلاد القبيلتين.

٢ - وادي في بلاد بني نُمير. وبلاد هاؤلاء في نجد، في أطراف السَّريِّنة وبين العُرض.

٣ - موضع في بلاد بني تغلب، قريب من بَهْدَا. ولكن هذا القول مشكل، فَدُوْ بَهْدَا يفهم من تحديده في «معجم البلدان»:

قرية ذات نخل باليمامة. قال جرير:

وَأَقْسَرَ وَادِي ثَرْمَدَاءَ وَرَبًّا تَبَدَّأَنِي بِذِي بَهْدَى طُولُ الْأَصَارِمِ  
وقيل هما موضعان متقاربان يفهم من هذا أنه في بلاد بني نعيم، إذ ثرمداء من بلادهم، ومنهم من يسميها الآن (البَهْدَا) ثم إن بني تغلب غادرت الجزيرة قبل ظهور الإسلام، ولم يبق سوى أصرام قليلة في وادي حنيفة في قرية قري آل كرمان، وفي جنوب عارض اليمامة في الأفلاج وفي وادي الدواسر، حيث يتسبب الجذم الثاني من قبيلة الدواسر إلى تغلب.

٤ - قرية لبني العنبر باليمامة. وبلاد بني العنبر باليمامة في شهاها في إقليم سُدير - على ما أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وصاحب كتاب «بلاد العرب» وورد في الكتاب الأخير - في الكلام على منازل بني جُنْدَب بن العنبر - ص: ٢٥١ - (وبنو عوف بن مالك بن جُنْدَب يسكنون الفُقْءَ يتزلون الحَرِيمَ) وقال - ص: ٢٦١ - : (ثُمَّ بَطْنُ الْحَرِيمِ، وهو وادي لبني العنبر بالفُقْءَ) انتهى. والفُقْءَ - الفُقْءُ - هو سُدير، ووادي الحَرِيمِ قَدْ يَكُون ما يُعْرَف الآن باسم (حَرَمَة) بلدة أنشئت بقرب وادي، يقع شمال سُدير، أعلاه مدينة المجمة. على أن نصراً ذكر في كتابه في باب (الحَرَم والحَزْم وحَرَم وحَرَم وحَرَم) ما نصه: (وأما بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين - وادي من أقصى عارض اليمامة ذو نخل وزروع، وقد تفتح الراء) وحَرَم هذا الذي في أقصى عارض اليمامة من الشمال ينطبق على موضع حَرَمَة، فقد يقال فيه حَرَم وحَرَم، أو هما موضعان. حَزِيم - الذي زاد نصراً قال عنه: (بكسر الحاء المهملة، وسكون الذال المعجمة وفتح الباء - موضع نجدية، كانت فيه وقعة) انتهى وعنه نقل ياقوت وصاحب «التاج» بدون زيادة.

رحمك الله يا أبا نبيه!!

دمعة حزن وأسى :

يا الله !! ما أتفه هذه الحياة وما أجهل من يَغْتَر بها!!

في صبيحة هذا اليوم (الأربعاء ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٠٣) وبينما أنا أتصفح جرائد الصباح ومن بينها جريدة (الرياض) إذًا بي أبصر في الصفحة الأخيرة صورة أخ عزيز،

١ - موضع جرت فيه وقعة بين كنانة وخزاعة في الحجاز، وينبغي أن يكون هذا الموضع في تهامة، بقرب مكة حيث بلاد القبيلتين.

٢ - وادي في بلاد بني نُمير. وبلاد هاؤلاء في نجد، في أطراف السَّريِّنة وبين العُرض.

٣ - موضع في بلاد بني تغلب، قريب من بَهْدَا. ولكن هذا القول مشكل، فَدُوْ بَهْدَا يفهم من تحديده في «معجم البلدان»:

قرية ذات نخل بالهامة. قال جرير:

وَأَقْسَرَ وَادِي ثَرْمَدَاءَ وَرَبًّا تَبَدَّأَنِي بِذِي بَهْدَى طُولُ الْأَصَارِمِ  
وقيل هما موضعان متقاربان يفهم من هذا أنه في بلاد بني نعيم، إذ ثرمداء من بلادهم، ومنهم من يسميها الآن (البَهْدَا) ثم إن بني تغلب غادرت الجزيرة قبل ظهور الإسلام، ولم يبق سوى أصرام قليلة في وادي حنيفة في قرية قري آل كرمان، وفي جنوب عارض الهامة في الأفلاج وفي وادي الدواسر، حيث يتسبب الجذم الثاني من قبيلة الدواسر إلى تغلب.

٤ - قرية لبني العنبر بالهامة. وبلاد بني العنبر بالهامة في شامها في إقليم سُدير - على ما أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وصاحب كتاب «بلاد العرب» وورد في الكتاب الأخير - في الكلام على منازل بني جُنْدَب بن العنبر - ص: ٢٥١ - (وبنو عوف بن مالك بن جُنْدَب يسكنون الفُقْءَ يتزلون الحَرِيمَ) وقال - ص: ٢٦١ - : (ثُمَّ بَطْنُ الْحَرِيمِ، وهو وادي لبني العنبر بالفُقْءَ) انتهى. والفُقْءَ - الفُقْءُ - هو سُدير، ووادي الحَرِيمِ قَدْ يَكُونُ مَا يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ (حَرَمَةِ) بلدة أنشئت بقرب وادي، يقع شمال سُدير، أعلاه مدينة المجمة. على أن نصراً ذكر في كتابه في باب (الحَرَمِ والحَزْمِ وحَرَمٍ وحَرَمٍ وخَرَمٍ وخَرَمٍ) ما نصه: (وأما بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين - وادي من أقصى عارض الهامة ذو نخل وزروع، وقد تفتح الراء) وحَرَمُ هذا الذي في أقصى عارض الهامة من الشمال ينطبق على موضع حَرَمَةِ، فقد يقال فيه حَرَمٍ وحَرَمٍ، أو هما موضعان. حَزِيمٌ - الذي زاد نصراً قال عنه: (بكسر الحاء المهملة، وسكون الذال المعجمة وفتح الباء - موضع نجدى، كانت فيه وقعة) انتهى وعنه نقل ياقوت وصاحب «التاج» بدون زيادة.



أثير في نفسي، تربطني به رابطة الأدب ووشيجة الأخوة، وآصرة المعرفة عشرات السنين. ولكنني بعد ما قرأت ما كتب تحت تلك الصورة كدت أصاب بذهول، بحيث أن الجريدة سقطت من يدي، أحقاً مات أبو نبيه؟! هذا ما قرأته وأنا أرتعش من الأسى: (انتقل إلى رحمة الله تعالى الليلة البارحة الأديب والكاتب المعروف الأستاذ عبد القدوس الأنصاري) إلى آخر ما جاء في تلك الجريدة مما يتعلق بهذا الخبر.

وقبل ذلك بنحو شهرٍ وكنت في القاهرة قرأت في إحدى الصحف أن الأستاذ الأنصاري دخل أحد المستشفيات لإجراء فحوص طبية.

ولكنني تأثرت حقاً حين قرأت بعد ذلك خبراً جاء فيه أن الأطباء استأصلوا إحدى كليتي الأستاذ الأنصاري فكتبت إليه من القاهرة مبدئياً تأثري، ومتمنياً له الشفاء العاجل.

### الخلاف في الرأي لا يؤثر في الصداقة

حقاً لقد كان بيني وبين الأستاذ عبد القدوس - رحمه الله - ما يكون عادة بين المتعاصرين، اللذين تجمعهما مهنة واحدة، ولكنني كنت أعتبر أن ما جرى بيننا لا يعدو أن يكون خلافاً في بعض الآراء، لا يصل إلى درجة إثارة البغضاء والكراهية أو يدعو إلى التقاطع.

وخلاصة ما جرى أن جريدة (عكاظ) نشرت بتاريخ (١٣ رجب ١٣٨٥) كلمة نسبت فيها إلى أحدنا على لسان الآخر ما كان سبباً في تجاذب الحديث بيننا، بدرجة قد تخرج أحياناً بالنسبة لكليتنا عن دائرة النقاش الفكري في الحدود العلمية، وكان من أثر ذلك أن استفادت بعض الصحف بأكثر من أربعين مقالة، مني ومنه ومن غيرنا من الكتاب.

والموضوع في حد ذاته قد يعتبره بعض المثقفين تافهاً، لأنه يتعلق بضبط اسم (جدة) ولكل واحد منا رأيه في ذلك.

فكان الأستاذ عبد القدوس - رحمه الله - غيراً منه على اللغة العربية، وحفاظاً على

كيانها من العبث، وحرصاً على عدم انتشار اللحن - كان يرى وجوب ضم الجيم.  
وكنت أرى أن الأمر أوسع من ذلك في هذا الاسم، فهو لا يتصل بجوهر اللغة،  
وضبط الأسماء غالباً ما يكون بطريق السماع.

ولا شك أن الأستاذ الأنصاري - رحمه الله - كانت له مجالات في المباحث اللغوية  
وأنه كان أقدم مني في هذه المباحث، وأقدر مني، وقد ألفت في ذلك وأنا لا أزال طالباً  
في (المعهد السعودي بمكة)، وكنت أعترف له دائماً بالفضل، إلا أنني قد آخذُ عليه وعلى  
غيره بعض المآخذ، كما يأخذُ هو وغيره عليّ مثل ذلك (والكمال لله وحده، والعصمة  
لأنبيائه).

وإني لأحمد الله تعالى على أننا قد تصافينا، وزال ما في نفوسنا من تأثر، ولم يرحل  
أحدنا من هذه الدنيا الفانية وفي قلبه ضغينة على أخيه.

في آخر ربيع الثاني ١٤٠٠ أقامت (جامعة الامام محمد بن سعود) أسبوعاً ثقافياً عن  
حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكنت من بين المشاركين فيه.

وفي صبيحة اليوم السابع والعشرين من ذلك الشهر، زارني أحد الإخوة، فكان  
من حديثه أن قال: رأيتُ اليوم صاحبك، فاستوضحت منه من هذا الصاحب؟ فقال  
لي: الأستاذ عبد القدوس، فقلت له: يا أخي ينبغي أن يترفع المثقفون بأفكارهم  
وغاياتهم عن كُلِّ ما يورث امتعاضاً في النفوس، وحقاً فأنا أعتبر (أبا نبيه) صاحباً لي،  
وصديقاً قديماً، وأعتبر ما جرى بيننا من تجاذب فكري في موضوعات ثقافية لا يؤثر في  
تلك الصداقة.

وبعد ذلك مررت بالصديق الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي وكان ممن حضر ذلك  
الأسبوع، وهو جار لي في الغرفة - في الفندق -، فقلت له: لنذهب لزيارة الأستاذ عبد  
القدوس الأنصاري، فسرَّ بهذا، وذهبنا فاستقبلنا أبو نبيه - رحمه الله - استقبلاً كريماً،  
وجلسنا نتجاذب أطراف الأحاديث في غاية الانشراح والسرور.

ثم قدَّم لي في عصر ذلك اليوم نسخة مطبوعة من بحثٍ أعده في تلك المناسبة، وفي

أثناء تصفحي لذلك البحث رأيت فيه نقلاً عن كتاب «دعاة الإصلاح» للأستاذ أحمد أمين، ظهر لي أنّ أحمد أمين فهم أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهماً فيه شيء من الغموض، فأبديت ملاحظتي للأستاذ الأنصاري - رحمه الله - فتأسف لكون البحث قد طبع ووزع.

ثم إنني ذكرت لأحد الإخوة المشرفين على تنظيم ذالك الأسبوع تلك الملاحظة، حول ذالك البحث لكي لا يطبع الطبعة الأخيرة بدون تصحيح، ولعل ذالك الذي لفت إليه النظر هو الأستاذ ابن لميّل.

وقبل سفر الأستاذ عبد القدوس - رحمه الله - مررتُ به، وقدمت له قائمة (منشورات دار الإمامة) ووعده بإهداء كل ما يرغب قراءته من مطبوعاتها.

### صلي بالأستاذ:

إن صلي بالأستاذ عبد القدوس - رحمه الله - تقرب من نصف قرن، وإن نقصتُ قليل، وذالك منذ أن انتقل إلى مكة المكرمة ونقل إدارة مجلة «المنهل» إليها في عشر الستين من القرن الماضي. فقد كنتُ أمُرُّ به غالباً في عصر كل يوم في مكتب المجلة، وكان في (السوق الصغير)، وكان يتولّى مساعدة الأستاذ الأنصاري في إدارة أعمال المجلة الأستاذ هاشم نحاس، وكنتُ أجدُ هناك الصديق الأستاذ محمد سعيد العامودي، وكان منزله في جانب (المسفلة) القريب من (السوق الصغير)، فنمضي وقتاً في تجاذب الأحاديث الأدبية، مما تثيره الصحف تلك الأيام، وقبل غروب الشمس نذهب ثلاثتنا فنمر بالأستاذ السيد إبراهيم هاشم فلاّلي - رحمه الله - وكان منزله بالقرب من (السوق الصغير)، فنذهب كلنا إلى بركة ماجد، وهناك قهوة نظيفة بقرب البركة في حديقة، نجلس فيها، ونتناول الشاهي، ونصلي المغرب، ثم نعود ويذهب كل واحد منا إلى منزله.

ومازلتُ أتذكرُ أن الأستاذ الأنصاري - رحمه الله - حين يمرُّ على صاحب دكان في السوق يشتري منه حفنات من الحمص فيفرقها بيننا، مثنياً على ما يحويه الحمص من

جِدِّ الغداء، وَقَلَّ أن ترك ذلك.

ولقد فتح لي - رحمه الله - صَدْرَ مجلته فكان ينشر كل ما أُقَدِّمُ له من أبحاث، بل يطلب مني في كثير من الأحيان أن أكتب في موضوع يحده.

وأذكر أنه في سنة ١٣٦٠ خصص جُزْءِي رجب وشعبان عن (المصايف في بلادنا) فاستغرق ما كتبه أكثر صفحات الجزء ومنه فاتحته وخاتمته، فالفاتحة عن الأحساء، والخاتمة عن حائل وكانت بتوقيع (الأصمعي) وكنت أنشر بعض المقالات بهذا التوقيع.

### الأنصاري من رواد الثقافة:

وجُهِد الأستاذ الأنصاري في المجال الثقافي في بلادنا، وأثره في ذلك واعتباره من الرواد في هذا المجال، كل ذلك لا ينكره إلا جاهل أو مكابر.

ومجلته «المنهل» ومؤلفاته تعتبر ذخيرة من الذخائر الثقافية التي تضاف إلى ما لبلادنا من الآثار النافعة في المجالات الفكرية.

ولقد متعه الله بعمر مديد، حيثُ ولد سنة ١٣٢٤ وعاش ممتعاً بالصحة وقوة الحواس، بحيث أن إنتاجه الثقافي، فيما ينشره من أبحاث في الصحف أو في مجلة «المنهل» بقي مستمراً حتى قبيل وفاته.

ولا أبالغ إذا قلت: بأن بلادنا فقدت بفقد الأستاذ الأنصاري أحدَ رُؤَادِ الثقافة والأدب الكبار الذين لهم في كل مجال من ذلك آثار نافعة ليس هذا موضع استقصائها. ولن أبالغ إذا قلت: بأنني صُدِمتُ بنبأ وفاته، لأنني أرى وأُحس بعمق الصلات التي تربط بين مثقفي هذه البلاد، بحيث أنه بلغ بي التأثير درجة أثرت في إحساسي حتى تذكرتُ مأساة ابن مقلة وقوله:

إِذَا مَامَاتَ بَعْضُكَ فَأَبْكَ بَعْضاً فَإِنَّ الْمَوْتَ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبٌ!!

رحمك الله يا أبا نبيه، وأسبغ عليك شآبيب رحمته ورضوانه. ←

# هذيل.. وفروعها

قرأت في مجلة «العرب» العدد الصادر في رجب وشعبان سنة ١٤٠١ هـ مقالاً للأستاذ محمد جابر الحسني عن قبيلة هذيل وفروعها.

ولقد أورد الأستاذ الحسني قبائل هذيل الحديثة ولكن لاحظت بعض الملاحظات التي شددت انتباهي حيث أن الأستاذ الحسني مدير لمدرسة وادي نعمان أي إنه يقيم في ديار هذيل وادي نعمان وما حوله فعجبت كيف وقع في كلامه ما يُعدُّ من الأخطاء. وكان الأجدر به أن يتصل بكبار السن من أبناء هذه القبيلة والتأكد من صحة ما سيحتفظ به التاريخ من كلامه عن نسب هذه القبيلة أما الملاحظات فهي:

- ١ - أسقط من فروع هذيل بني لحيان بن هذيل ولم ينسبهم لأحد القسمين اللذين ذكرهما كما أسقط بني كعب والحسانة والعبدة من هذيل اليمن.
- ٢ - تقسيم القبيلة ليس المسودة وجميل بل إن قبيلة هذيل تنقسم الآن إلى:  
القسم الأول: هذيل الشام وهم الذين يسكنون شمال مكة وينقسمون إلى ثلاثة أقسام. بني، وفليت، وصليم بالصاد على وزن سليم القبيلة المعروفة.



وألمنا الصبر لفقدك.

وعزاء للابن الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري، وللصديق الدكتور عبد الرحمن الأنصاري ولجميع الأسرة الكريمة و(إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون).

عن جريدة «الجزيرة» ٢٤ - جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣

حمد الجاسر

# هذيل.. وفروعها

قرأت في مجلة «العرب» العدد الصادر في رجب وشعبان سنة ١٤٠١ هـ مقالاً للأستاذ محمد جابر الحسني عن قبيلة هذيل وفروعها.

ولقد أورد الأستاذ الحسني قبائل هذيل الحديثة ولكن لاحظت بعض الملاحظات التي شددت انتباهي حيث أن الأستاذ الحسني مدير لمدرسة وادي نعمان أي إنه يقيم في ديار هذيل وادي نعمان وما حوله فعجبت كيف وقع في كلامه ما يُعدُّ من الأخطاء. وكان الأجدر به أن يتصل بكبار السن من أبناء هذه القبيلة والتأكد من صحة ما سيحتفظ به التاريخ من كلامه عن نسب هذه القبيلة أما الملاحظات فهي:

- ١ - أسقط من فروع هذيل بني لحيان بن هذيل ولم ينسبهم لأحد القسمين اللذين ذكرهما كما أسقط بني كعب والحسانة والعبدة من هذيل اليمن.
- ٢ - تقسيم القبيلة ليس المسودة وجميل بل إن قبيلة هذيل تنقسم الآن إلى:  
القسم الأول: هذيل الشام وهم الذين يسكنون شمال مكة وينقسمون إلى ثلاثة أقسام. بني، وفليت، وصليم بالصاد على وزن سليم القبيلة المعروفة.



وألمنا الصبر لفقدك.

وعزاء للابن الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري، وللصديق الدكتور عبد الرحمن الأنصاري ولجميع الأسرة الكريمة و(إنّا لله وإنّا إليه راجعون).

عن جريدة «الجزيرة» ٢٤ - جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣

حمد الجاسر

والقسم الثاني: هذيل اليَمَن، ويسكنون جنوب مكة ونَعْمَان. وينقسمون إلى جميل وزُهَيْر.

أما المسودة فهو اسم يطلق على جميل.

٣- آل جاهل، ويقال لهم الكباكة وهم الآن مع ثقيف تُرعة.

والكباكة أحد فروع هذيل اليمن، سكان جبل كَبْكَب والمجاز وينقسمون إلى عدة أفخاذ منهم آل فضل والسبعان والسهمة وآل جابر والجلجلة والحوازم والمشاعلة والقمشات وآل حسن فإن كان الأستاذ الحسيني من سلالة الشريف (باش جاويز التلمساني) وأن آل حسن من الأشراف وليسوا من الكباكة فليس معنى هذا أن الكباكة ليست قبيلة على حدة وفيها الأفخاذ التي ذكرتها بل إنه أورد أفخاذها كقبائل لا ترجع في الأصل إلى اسم الكباكة.

٤- السبعان ويسكنون ضلعة بجبل كَبْكَب قال عنهم الأستاذ جابر: وأصلهم من خزاعة وذكر قصة حاطم بن جابر جار أبي جندب الهذلي وقتل بني لحيان حاطم الكعبي الخزاعي وغارة أبي جندب الهذلي على بني لحيان وأخذه بثأر جاره الخزاعي ومن ذلك الوقت دخلت بنو كعب في هذيل ومنهم السبعان الذين هم الآن أحد أفخاذ الكباكة.

هذه القصة لا تكفي دليلاً على أن كعب خزاعة هم كعب هذيل وأن السبعان منهم فقد قرأت في كتاب «أبو علي الهجري» تأليف الأستاذ حمد الجاسر اسم سُبَيْع الكعبي الهذلي وليس معنى هذا أنه جد السبعان الكباكة حيث يوجد من أفخاذ السعايد من صُلَيم من هذيل الشام فخذ يُسَمَّى السبعان فهل هم أبناء سُبَيْع الكعبي الهذلي؟ وهل قبيلة السبعان (سُبَيْع) المعروفة من قبائل المملكة من سلالة سُبَيْع هذا؟ علماً أن اسم سُبَيْع كان ولا يزال يُسَمَّى به العرب وكذا اسم كعب فهو اسم لكثير من الرجال الذين ذكرهم التاريخ.

٥- الجلجلة قال عنهم الأستاذ جابر: وأصلهم من خزاعة نسبة إلى جدتهم جلجلة ابن عمرو الخزاعي.

لو كانوا أبناء جلدلة الخزاعي لكانت النسبة إليهم (الجلجي) بينما النسبة إلى الجلجلة من الكباكية (جَلْجَلِي) وليس معنى توافق اسم الشخص مع اسم القبيلة دليلاً على أنه جدّهم، ولو كان من قبيلة أخرى.

٦ - أ - الصلحان وفروعها - كذا ورد في مقال الأستاذ جابر.

والصواب الصلمان - بالميم (صُلَمٍم) وهذا تطبيع (غلط مطبعي)

ب - المطعان: الصواب المعطان العين قبل الطاء.

ج - الزواهرة ليسوا من صُلَمٍم وإنما هم من فليت.

٧ - هذيل آل جميل: دَعْدُ، وفروعها: الصلمان وفروعها الحتارشة وبني مسعود والمطارفة.

ليسوا جميعاً من آل جميل بل إن دَعْدُ من هذيل اليمن من زهير، والصلمان أحد فروع هذيل الشام، والحتارشة والمطارفة من فليت من هذيل الشام وبني مسعود من (بني) من هذيل الشام.

٨ - الحتارشة. عدّ الأستاذ جابر منهم الرياشي.

الحتارشة من فليت من هذيل الشام وينقسمون إلى العفران وذوي عياض فقط والرياشي من هذيل اليمن وقد سمعت أن الحتارشة والرياشي يتقاربون في النسب ولكن الرياشي ليسوا من أفخاذ الحتارشة حيث ذكرهم القلقشندي في كتابه «قلائد الجمان» في التعريف بقبائل عرب الزمان» المؤلف عام ٨٢١ هـ ص ١٣٨ فقال عن هُذَيْل (قُلْتُ وبوأي نخلة من قرى مكة منهم الجُمُّ الغفير، ولهم بأس وشدة، ومن بطونهم الحتارشة وبني رَيْشَة، كلاهما بالقرب من نخلة) ولو كان الرياشي من الحتارشة لقال الحتارشة ومن بطونهم الرياشي.

وسأحدث أن شاء الله عن هذيل وفروعها ومنازل كل فرع، عن رجال ثقات من مشايخ هذيل الشام وهذيل اليمن.

مكة المكرمة محمد علي هلال الحويرشي الهذلي



# مع القراء في أسئلهم وتعليقاتهم

السَّعيد من قحطان لا من الظفير

آل علي : أسرة كبيرة متحضرة في مدن نجد وقراه، وبلادهم القديمة القصب ومنها تفرقوا، ولا يوجد في بلدان الوشم أسماء أسر من قبائل أخرى تطابق أسماءهم ما عدا المنيع في شقرا من البواريد.

١ - ذكرتم أن آل منيع في القرابين من آل علي من السعيد من الظفير (ص ٨٧٨) ثم ذكرتم أن الحمد في القرابين من قحطان (ص ١٧٨) .

ولا يوجد في القرابين الحمد من قحطان إلا الحمد آل منيع حيث أنهم ذرية حمد بن منيع يسكنون القرابين.

والصحيح أنهم من آل عاصم من قحطان وذلك أن ذرية عاصم بن سليمان بن جحدر أربعة: طريف ورزق ويسمون آل رزق، وآل طريف، وهم الموجودون في الهياثم، وأميرهم ابن حشر.

وخضر وعجلان، ويسمون الخُضُر والعَجَالين وأميرهم سَفَّاح بن حَلَّاف، ويُلقَّبون السَّعيد وقد نزحوا من الجنوب في آخر القرن العاشر الهجري تقريباً إلى نجد، لأسباب جرت بينهم وبين قبيلتهم وعندما وصلوا إلى نجد بقي منهم آل علي في القصب، ولم يحاوروا الظفير مع ابن حَلَّاف الذي جاور الظفير وجميعهم من آل عاصم من قحطان وقد تمثل شيخ الجحادر عندما نزحوا من الجنوب إلى نجد بقصيدة منها:

شَدُّوا مَنِيَّةَ الدِّبَشِ تَرِثُ حَلَّافُ  
عَوَاضُهم تَرْكُضُ مَراكِيزُ رُومِي  
اغْتَضَتْ فيهم نازِلِينَ بِالْأَسْلَافِ  
هَجَّاجَةً لَأَجَا النَّذْرِ والزُّحُومِي

وعندما نزحوا إلى العراق حصل بين ابن حَلَّاف وابن سُويط خلافٌ أدَّى إلى نزاع وقد تمثل ابن حَلَّاف بِقَوْلِهِ:

إِنْ سَلْتُ عَنَّا يَا السَّوَيْطِي قَحَا طِينُ  
عَوَاضِمٍ وَاللِّي خُذَانَا لِفَاقِ  
حِنَّا وَعَبْدَهُ وَالضِّيَاغِمِ بُجَسْدَيْنِ  
ذَبَّاحَةِ بِسُيُوفِنَا كُلِّ مَايِقُ

وفعلًا رحل ابن حَلَّاف وجاور عَتْرَةَ.  
وهذا يَدُلُّ دلالة واضحة على أَنَّهُم من آل عاصم من قحطان ولبسوا من الظفير.  
وقبل ثلاث سنواتٍ تقريباً سافر ابنُ حَلَّاف إلى الطائف وطلب من ابن حشر أنْ  
يَتَوَسَّطَ له عند الحكومة وتجعل له هجرة قرب الحفرة، بصفة ابن حشر ابن عمِّ لابن  
حَلَّاف فحصل له ما طلب.

٢ - آل منيع من آل علي من آل عاصم من قحطان موطنهم الأصلي القصب،  
وتفرقوا منه وسكنوا في الزلفي والزُّلفي والغايط والقراين، والدَّوادمي والرياض ولم يرد لهم  
ذكر في مؤلفكم. .

وذكرتم أنَّ آل منيع في القصب ص ٨٧٧ من الفضول وهذا غير صحيح وإنما هم  
من آل عاصم من قحطان.

٣ - آل علي من آل عاصم من قحطان ومنهم المنيع ومساكنهم ذكرت فيما تقدم.  
٤ - آل مقحم ومنازلهم القصب - والحريق - وسُدَيْر، والدرعية والرياض -  
ومشاش القصب.

٥ - آل قاسم ومنازلهم القصب والبير وحوطة سُدير وثادق ورغبة والروضة الرياض  
ومنهم آل قصبي كانوا يسكنون الزُّبير ثم انتقلوا إلى الرياض وجدة.

ومن آل قاسم الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني مع هذا

صورة من كتابه إلينا وقد ذكرتم أن القاسم والمقحم في أُشَيِّقَر والصحيح أن المذكورين لم يسكنوا أُشَيِّقَر سابقاً.

الفدّا منازلهم سابقاً في القصب لأنهم من آل علي، ثم نزحوا إلى أُشَيِّقَر وبريدة وسُدَيْر والرياض والزُّبَيْر ثم عاد الذين في الزُّبَيْر إلى الرياض.

آل سيف: - في الرياض وأُشَيِّقَر.

آل هُدَيْب: في القصب - والرياض.

آل حمدان: (آل منيع آل قاسم، آل مقحم).

وقد ذكرهم المغيري في «المنتخب» ص ١٢١ أنهم من آل عاصم وذكرهم الشيخ حمد الحقيّل في «كتر الأنساب» ص ٢٠٢ وص ٧٦ أنهم من آل عاصم.  
آل منيع: ثلاثة بطون:

آل محمد من المنيع، ويسكنون الزُّلْفِي والغاط والقصب والرياض.

وذكرتم آل محمد في الزُّلْفِي من قحطان بدون ذكر المنيع (ص ٧٨٢) ولا يسكن الزُّلْفِي من قحطان أحد بهذا الاسم إلا المنيع الثاني: الحمد المنيع ويسكنون القرّين والرياض.

وذكرتم الحمد في القرّين من قحطان بدون ذكر المنيع (ص ١٧٨) والقرّين لا يسكنها من قحطان أحد بهذا الاسم إلا المنيع وكذلك يسكن شقراء آل علي من آل منيع وهم غير منيع البواريد.

الثالث: آل عثمان المنيع في القصب والدوادمي والرياض.

وذكرتم أن آل رويشد من آل علي من الظفير.

الفهد في عشيرة في سُدَيْر والكويت (ص ٧٠٧).

آل عليّان وآل محارب كلاهما بالقصب من آل سعيد من الظفير (ص ٦١٧).

آل علي: منهم آل قاسم في القصب ورغبة وثادق والحريق والرياض والكويت وآل

(انظر ص ٢٧٦)



مقحم وآل سيف في أشيقر وآل محارب في القصب وآل رُوَيْشِد وآل عُليَّان وآل منيع في القراين وآل ابن فَدَا في أَشَيِّقَر وفي جنوبية سُدير، والرَّغابا في عُنيْزة والحَبْرَاء غير الرغابا الذين من حَرْب كل هؤلاء من آل علي من الظفير.

آل عُليَّان في القصب من آل سعيد من الظفير (ص ٦١٩) آل قاسم في البير والقصب وحوطة سُدير منهم الشيخ عبد الرحمن بن قاسم من آل عاصم من آل روق من قحطان (ص ٧١٥).

آل قاسم في أَشَيِّقَر من الظفير.  
آل قَصَبِي في الكويت من آل قاسم من آل عاصم من قحطان ٧٩٨.  
آل محمد في الزلني من قحطان (ص ٧٨٢)  
نُفيدكم أن هؤلاء كلهم من آل علي من آل عاصم من قحطان من أسرة واحدة.  
وذكرتم (ص ٥٢٨):

وبعد أن ارتحلت الظفير من نجد إلى العراق خَلَّفَتْ بعض الأسر حاضرةً في نجد إلى آخره.

وحيث أن ابنَ بشرٍ ذكرهم في «عنوان المجد» (ص ١٦٢) عندما داهمهم سعود بن عبد العزيز سنة ١٢١٩ هـ جَلَّوْا إلى العراق وهُتِلَ منهم بنجد بعض الأسر.

لذا نرفق لكم صورة من وصية منيع بن علي بن منيع الذي توفي قتيلاً في حوادث الدرعية رحمه الله وقد انقطعت ذُرِّيَّتُهُ وتاريخ الوصية عام ١٢٣٣ هـ أي بعد بقاء من هتِلَ باثني عشر عاماً للمقارنة بين زمن سكنى المنيع أو على العموم العلي، وبين رحيل الظفير من نجد.

المُهم أن جميع آل علي ليسوا من الظفير ولكنهم من آل عاصم من قحطان. ولنضرب مثلاً للقبائل التي نزحت للعراق وغيره مثل بني لام وآل قشعم من أنهم انضموا أو جاوروا قبائل أخرى ولكنهم بقوا على أصلهم الأول.

ملحوظة : الفهد هم آل جعد ويسكنون عُشيرة الكويت ومنهم وكيل وزارة داخلية الكويت سليمان المشعان هم من السعيد ولكنهم ليسوا من آل علي والذين في



الكويت من سكان الزلفي سابقاً.

ذكرتم (ص ١١٩):

١ - آل عامر بن جليدان أسرة الشيخ عبدالله بن عمرو، من السعيد من الصمدة من الظفير.

٢ - آل مزيد بن عمرو في عنيزة وبريدة من آل سعيد من الصمدة من الظفير. والصحيح أن الصمدة ليسوا من السعيد ولا لهم بهم صلة بالسعيد، حيث أن السعيد من آل عاصم من قحطان والصمدة من آل مغيرة كما جاء في «المنتخب» ص ١٠٨ وأميرهم أبو ذراع ومن قبائل أخرى.

٣ - ذكر فؤاد حمزة ص ١٧٦ أن السعيد من قحطان.

٤ - ذكر الأستاذ عبدالله بن خميس أن آل قاسم بالقصب من قحطان (الجزء الثاني من «معجم الإمامة» ص ٢٩١)

وذكرهم المغيري في «المنتخب» ص ١٢١ أنهم من آل عاصم. وذكرهم الشيخ الحقييل ص: ٢٠٢ وص ٧٦ أنهم من آل عاصم «كثر الأنساب».

مركز تحقيق كافيور عبد الزلفي: عبدالله بن أحمد آل منيع

العرب: أما القول بأن السعيد ليسوا من الظفير.

فن المعروف أنه مضى زمن طويل وهم معدودون في الظفير، وذكر هذا كثير من المؤلفين، وقل أن توجد قبيلة عربية ليس فيها أحلاف ليسوا من أصلها بل من أصل آخر. وقبيلة الظفير ليس كما زعم فؤاد حمزة، بل هي قبيلة لا تقل شرفاً عن غيرها من القبائل وهي من قبيلة طي.

ولكن القبائل يعترها من القوة والضعف ما يعترى بني الإنسان قوة وضعفاً وشباباً وشيوخاً ثم هرماءً وفناء.

والأسر التي ذكرتم أنهم ليسوا من الظفير نقلت ما ورد في الكتاب عنها من كتاب «علماء نجد» للشيخ عبدالله البسام وذكرت المصدر. وشكراً، ومزيداً من الملاحظات.



# جَدَّة كَانَتْ مِينَاءَ لِمَكَّةَ

قبل عهد عثمان - رضي الله عنه -

يرى كثير من مؤرخي مكة أنَّ عثمان بن عفان أول من جعلها ساحلاً لمكة ، بعد أن شاور الناس في ذلك ، لما سُئِلَ فيه في سنة ست وعشرين من الهجرة ، وكانت الشعبية ساحل مكة قبل ذلك «شفاء الغرام» ج ١ ص ٨٧ - .

ولكن ابن كثير ذكر في «البداية والنهاية» ج ٧ ص ٩٠ - في حوادث سنة ثمانى عشرة - .. فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بالبصرة: أَنَّ يَاعُوْثَاهُ لَأُمَّةٍ مُحَمَّد ، وكتبَ إلى عَمْرُو بن العاصِ بِمِصْرَ : أَنَّ يَاعُوْثَاهُ لَأُمَّةٍ مُحَمَّد ، فبعث إليه كل واحد منها بقافلة عظيمة ، تحمل البَرَّ وسائر الأطعمة ، ووصلت مِيزَةُ عَمْرُو في البَحْرِ، إلى جُدَّة ، ومن جُدَّة حُمِلَتْ إلى مكة . وهذا الأثر جيّد الإسناد . لكن ذَكَرَ عَمْرُو بن العاص في عام الرَّمَادَةِ مشكل ، فَإِنَّ مِصْرَ لم تكن فُتِحَتْ في سنة ثمانى عشرة ، فإمّا أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثمانى عشرة ، أو يكون ذكر عَمْرُو بن العاص في عام الرَّمَادَةِ وَهْمٌ ، والله اعلم انتهى فما رأيكم في هذا الخبر؟! .

سعد بن محمد بن حسن

العرب : لا شكَّ في قدم جُدَّة ، وأنها كانت ميناء لمكة قبل العهد الإسلامي ، وهذا مما سبق إيضاحه ، وهي أقرب لما يرد إلى مكة من مصر وسواحل البحر الشمالية ، مما يَرُدُّ عن طريق مِينَاءِ الشُّعْبَةِ .

ولعل شهرة الشعبية ناشئة عن قوة الصلة بين قريش وبين سكان اليمن ، ولقربها أيضاً من بلاد الحبشة التي كانت من البلاد التي تقصدها قريش للتجارة ، ويعرفونها . وذلك قبل العهد الإسلامي الذي فُتِحَتْ فيه مِصْرُ والشَّامُ ، فكانت صلة أمّ القرى بهما بطريق ما ينقل من بضائعهما من موانئ بحر القلزم (البحر الأحمر) أقوى من صلتها بما يرد من ميناء الشعبية لهذا أصبحت جدة ميناء لمكة .



## آل بسام .. وآل الصقر

جاء في مجلة «العرب» - س ١٧ ص : ٧٩٣ - ذكر الفروع التي تتفرع من آل الصقر.

ومنهم - (٨ - آل عابس - آل بسام)

والصحيح أن آل بسام ليست فرعاً، بل عشيرة وحدها، من قبائل آل الصقر، ويرأسهم الشيخ علي بن رافع الحسنية.

وآل عابس عشيرة وحدها من قبائل آل الصقر أيضاً

تثليث - حسين بن هادي الحسنية

## سَرَاءُ وَالرَّهْدُ وَالْكَحْفُ

في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»

في «المعجم الجغرافي» شمال المملكة عند كلمة سَرَّ (ص : ٦٦٤ ، أوردتم أن ثمامة بن أوس بن لأم أرسل إلى طليحة الأسيدي : إِنْ دَهَمَكُمُ أَمْرٌ فَنَحْنُ بِالْقَرْدُودَةِ ، وَإِلَّا بَسْرٌ ، دُوَيْنَ الرَّمْلِ وبعد هذا .. أما موزل فقد قرأه (الأنس).

وذكرتم أنه : ليس بعيداً أن يكون صواب الاسم (سَرَاءُ).

وفي الجزء الأول ص ١٩٨ ورد : وعلى فرض أن القردودة اسم موضع هنا وليس المقصود الأرض التي فيها صلابة وارتفاع ، فإنها والأنسر دُوَيْنَ الرمل ، أي دونه وقريب منه ، فأين هذا الرمل ؟

والجواب على هذا بحكم أنني من سكان هذه الأماكن أولاً أن ثمامة بن أوس ربما يقصد سَرَاءَ المورد القديم الذي أصبح قرية كما ورد في كتابكم هذا ، وهناك رمل فوق الماء ، مرتفع في سفح الجبل يُعرف بِرُقَّةِ سَرَاءَ ، والآن فيما يبدو لي أننا توصلنا إلى جواب أنه إذا كان ثمامة بن أوس في سَرَاءَ وليس في القردودة التي تبعد عن سَرَاءَ حوالي ١٥

كَيْلاً كما يبدو من وصف موزل للمكان (وادي القردى).

فكيف يقال: أَنَّ المقصود سَرَّ الموقع الذي ذكره نصر قرب رك؟

وقد توفرت لدينا ثلاثة أدلة أو أربعة: القردودة والأنسر وسَرَّاء، ثلاثة مواضع متجاورة، إذ أن الأنسر يبعد حوالي ١٥ كَيْلاً عن سَرَّاء التي ليست سَرَّاء رك الواقعة في جبل سلمى الشرقي على بعد حوالي ٧٠ كَيْلاً وثبت بالمشاهدة أن سَرَّاء القرية من القردودة والأنسر بها رمل وبهذا الرمل مقبرة أثرية بعضها باتجاه الشمال الغربي.

وهناك نقوش وتصاوير للحيوانات على صخرة الأسد عند الماء الجاري على سطح الأرض في مضيق هناك.

وتقع سَرَّاء هذه بين حائل والغزالة.

ويجاورها موضعان هما الحفر والهذب.

الحفر جنوب غرباً عنها، والهُدَب شمال غربها ووادي الهذب يضم عدة أماكن في وادٍ واحد، هي: هَدْبَا وهُدَيْبَا وهُدَيْبَان كلها في ذلك الوادي الخصب، القديمة آباره ويقع بين سَرَّاء والأنسر وبُزَاخَة وقد وردت هذه الأسماء في معجم قبائل المملكة عند ذكر (الهمزان) اسم قبيلة (ومن بلادهم الحفر وهدبا وهديبا وهديبان وكل الثلاث في موضع واحد (الوادي الكبير شمال سَرَّاء).

ومن هذه الأسماء الثلاثة سَرَّاء، الهذب (هدبا) والحفر المتجاورة جنوب مدينة حائل على بعد ٥١ كَيْلاً تقريباً يتضح مراد الشاعر زهير:

دَارَ لِأَسْمَاءَ بِالْغَمْرَيْنِ مَائِلَةً كَالْوَحْيِ كَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا إِرْمُ  
بَلْ قَدْ أَرَاهَا جَمِيعاً غَيْرَ مُقْوِيَةٍ سَرَّاءَ مِنْهَا فَوَادِي الْحَفْرِ فَالْهَدَمُ

أما الغمران فالغمر موضع الآن جنوب غرب بُزَاخَة على بعد حوالي عشرين كَيْلاً ويجاور (عُقلة ابن جبرين) من الناحية الجنوبية الغربية.

ولقد ذكرتم في الكلام على بزاحة أن الغمر يقع شمال سَمِيرَاء وأنه الموضع المسمى الآن غَمْرَة القرية المعروفة.

أما عندنا أهل جبل رَمَّان فإنَّ الغمر بجوار بزاحة.

ولقد ورد ص: ٦٦٥ «شمال المملكة».

أما سَرَّاء الواردة في شعر زهير فينبغي أن تكون بقرب الحفر والهدم (الهدب) وهذان ماءان معروفان بقرب حَرَّة كُشْبٍ في أعلى نجد.

وأقول: إنَّ الأدلة توفرت على سَرَّاء بزاحة وهدباء بزاحة وجفر بزاحة وغَمْرُ بُزَاخَة كل هذه الأماكن متجاورة وليس في حرة كُشْب موضع اسمه سَرَّاء حسب ما ورد في المعجم.

وما ورد في شعر جميل بن مَعْمَرِ الْعُدْرِيِّ فإنه أيضاً ينطبق على أسماء مواضع نعرفها الآن في منطقة حایل.

وقال خليلي: طالعاتُ من الصِّفا فقلتُ: تَأْمَلْ لَسَنَ حَيْثُ تُرِينِي  
قَرَضْنَ شَمَالاً ذَا الْعُشِيرَةَ كُلَّهُ وذات اليمين البرقُ بَرْقُ هَجِينِ  
فاضْعَدْنَ في سَرَّاء حتى إذا انتَحَتْ شمالاً نَحَا حَادِيهِمْ لِيَمِينِ  
إلى قوله :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى على جَنْبٍ نَهْيٍ ذِي شَرَائِعَ جُونِ

١ - إن كان المراد من كلمة (الصِّفا) اسم موضع فإن هناك موقع بجوار سَرَّاء على بعد حوالي عشرة أكيال غرب قرية سَرَّاء.

٢ - ذو الْعُشِيرَة الآن غير معروف.

٣ - الْبَرْقُ بَرْقُ هَجِينِ. لا يزال الموقع معروفاً جنوب قرية سَرَّاء بجوار قرية الجفر والدارة، وبه جُبيلات صفر في برقة ويقال صُفَيْرَاءُ الْهَجِينِ أو بَرْقَا الْهَجِينِ.

٤ - أما سَرَّاء فهي القرية المعروفة بجوار هذه الأماكن وليس في موضع رك (أرك) مكان يقال له سَرَّاء الآن حسب قول السكان في جوار رك ومنهم مشعان بن عابد الشَّمري وفهد بن باحل، ابن أمير قبيلة المناصير أهل قرية السَّلِيل غرب العدو القرية من أرك (رك).

٥ - وعلى بعد كيلين اثنين في الشمال الشرقي من سَرَّاء جبل يدعى جبل الشرائع، في أعلاه آثار عمران قديم، منها ما يشبه السور أو الحصن ممتد من أعلى الجبل إلى أسفله، من الناحية الجنوبية الشرقية، ولقد صعدته الأستاذ مشوح بن حضيري الهمزاني أحد الجامعيين من خلال هذه الشرائع ويقول: إن في أعلاه خزانات للمياه نُحِتَتْ نُحْتاً لجمع مياه الأمطار اكتفيت بكلام الأخ مشوح عن الصعود إليه لوعورة ذلك الجبل الأثري

حایل: سعيد بن فهيد الدوخي

«العرب»: للأخ الكريم الشكر لما بذله من جهد في تحقيق مواضع في هذه البلاد الحبيبة، وما ذكره عن المواضع الواردة في شعر زهير جدير بالتأمل والملاحظة.

١ - أما كلمة (سَرَّاء قرب رك) الواردة في «المعجم» فليس المقصود أن بقرب رك قرية غير سَرَّاء التي بقرب رَمَّان، ولكن المراد القرية المعروفة الآن، وقربها إلى رك قرب نسبي.

٢ - وكلمة (الشرائع) الواردة في شعر جميل يقصد بها جمع شريعة وهي الماء - كما في قول امرئ القيس:

وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ وَرَدُّهَا وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي  
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ بَقِيَ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِي

٣ - كلمة (الحفر) وردت في كتابة الأخ مرة بالجيم (الحفر) وأخرى بالحاء (الحفر) فأي الاسمين أصح بالنسبة للموضع الذي بقرب سَرَّاء؟!

## السَّعِيدُ .. الزَّغَابَا

١ - السعيد الذين نرحوا مع الظَّفير وسبب تزوحهم أن من أولاد عاصم خضير وعجلان بعد ما قتل والدهم ذهباً مع والدتهما ومعها عبد لها يقال له سعيد اشتهروا باسمه وقد تزوج والدتهما ابن سويط وذهبوا مع السويط وعندما حدث نزاع بين ابن سويط وابن حلاف قال نمر بن حلاف قصيدة منها هذا البيت:

إن ساءلت عنا بالسَّويطي قحاطين عواصمٍ واللِّي حَذَانَا لفَابقُ  
والسَّويطي هو مانع بن ضويحي بن سويط.

ومن أمراء السَّعيد مثقال من مَّواج بن حلاف ويسكن الجهراء ومعه قسم من السعيد وأخوه سقَّاح بن حلاف، ويسكن، الحفر ومعه قسم من جماعته.

وحلاف لَقَبُ لعاصم الجد الأول، ولكن أمراء السَّعيد هم الذين اشتهروا بهذا اللقب.

ومن السعيد علي بن صقر الذي سكن القصب وتفرقت ذريته في بلدان نجد.

٢ - ذكر أن الزَّغابَا من آل علي.

والصحيح أنَّهم ليسوا منهم وقد سألنا كبار آل علي وكذلك الزَّغابَا فأكدوا لنا أنَّهم ليسوا من بعضهم والزَّغابَا ينتسبون إلى الأشراف من السعدون أمراء المتفق

الزلفي: عبدالله بن أحمد بن عبد العزيز آل منيع

العرب: ما ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر» منسوبٌ إلى مَصْدَرِهِ، ومع ذلك فكما في المثل: (أهل شُعْبَا أدري بشعابها) وسيلاحظ هذا عند إعادة طبع الكتاب.

## □ الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي:

هذا الكتاب الذي ألفه الدكتور عبدالله بن محمد السيف، المدرس في كلية الآداب من (جامعة الرياض) يُعدُّ من أعمق الدراسات وأشملها في موضوعه، وهو موضوع لم يَسْبِقْ لأحد الباحثين أن أفرد به بالتأليف - فيما أعلم - ويظهر أنه البحث الذي نال به مؤلفه إجازة (الدكتوراه) وسيعجب القارئ حقاً - بل يُسرُّ - حين يرى كثرة المصادر التي رجع إليها المؤلف الكريم، واستخلص منها مادة كتابه، كما يُسرُّ الباحث بطريقة المؤلف في استخلاص تلك المادة، فهي تدل على استيعاب وعمق فهم، ويزداد سروره حين يرى المؤلف الفاضل يعتبر كتابه (محاولة لدراسة الحياة) - الخ - ص ٣٤١ - فهو ينظر إلى عمله بعين العالم المتواضع، وما أجَّلها من صفة كِدْنَا نفقدها عند كثير من مؤلفي عصرنا. ومباحث هذا الكتاب - بعد المقدمة عن أهمية الموضوع ودراسة المصادر -

### الباب الأول الحياة الاقتصادية وفيه من الفصول:

١ - الزراعة والنشاط الرعوي.

٢ - التجارة.

٣ - الصناعات والحرف.

٤ - النظم المالية.

### الثاني الحياة الاجتماعية: وفصوله:

١ - عناصر السكان.

٢ - الحياة العامة.

٣ - المجالس الاجتماعية ووسائل التسلية.

ثم الخاتمة، فالمصادر، والخرائط (ثلاث) فالفهارس للأعلام وللأماكن.  
وجاء الكتاب في (٤١٦) من الصفحات، بطباعة حسنة لم يُذكر مكانها، وصدر في  
هذا العام - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

□ رفع الحرج في الشريعة الإسلامية:

دراسة نال بها الأستاذ الدكتور يعقوب بن عبد الوهاب الباحِسين - المدرس في  
جامعة الإمام محمد بن سعود - إجازة (الدكتوراه) من جامعة الأزهر عام ١٣٩٢  
(١٩٧٢ م) بمرتبة الشرف الأولى تدلُّ على سعة اطلاع في المباحث الفقهية، وفهمٍ  
للنصوص الشرعية، واستيعاب لجوانب الموضوع، بحيث جاءت في مجلد بلغت صفحاته  
(٧٠٠) طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في  
الجمهورية العراقية، في مطبعة جامعة البصرة، سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م).

□ من أدب المرأة السعودية:

كتاب يحوي مجموعة من مقالات لـ *ليثوية كاتبة* من فتيات هذه البلاد، جمعها  
الأستاذ عبد الكريم بن حمد الحُقييل، فَيَسِّرُ للباحثين في أدب المرأة في هذه البلاد حيث  
عرض نماذج مما نُشر منه في الصحف، جرائد ومجلات - جاءت في ٢٥٦ صفحة  
والمؤلف الفاضل - يجمعه هذه المقالات بذل جهداً جديراً بأن يذكر فيشكر، إذ البحث  
في ثنايا صفحات الصحف - على كثرتها - ليس مما يتسنى لكل من أراد دراسة موضوع  
ذي أهمية بالغة وهو دراسة الأدب النسوي في هذه البلاد. وطبع الكتاب في (المطابع  
النموذجية) في الرياض، وصدر هذا العام (١٤٠٣ هـ).

□ المقنع في الفلاحة:

ومن مطبوعات (مجمع اللغة العربية الأردني) كتاب «المقنع في الفلاحة» تأليف  
أحمد بن محمد بن حجَّاج الاشيلي من أهل القرن الخامس الهجري، بتحقيق الأستاذين

صلاح جرار وجاسر أبو صفية، وقد أشرف على التحقيق الأستاذ الجليل الدكتور عبد العزيز الدُّوري.

وعنوان الكتاب يغني عن استعراض موضوعاته، وهو على اختصاره يعرض طرقات ووسائل لزراعة الفواكه والخضر، ومعالجتها من الآفات، ذات فائدة للمشتغلين بعلم الفلاحة، دراسة أو عملاً.

وقد جاء الكتاب بدون مقدمته عن الزراعة في الأندلس، وعن المؤلفات في الفلاحة، والبحث عن حياة المؤلف ووصف المخطوطة - في ١٦٢ - من القطع الكبير. وقد صدر في العام الماضي (١٤٠٢ / ١٩٨٢) ولم يذكر مكان الطبع.

#### □ الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية :

حسن أن تتجه دراسات الباحثين في بلادنا إلى ما هو الصق بحياتنا في مختلف جوانب الحياة الكثيرة التي لا تزال بحاجة إلى الدراسة.

ولهذا سررت حقاً حينما رأيت الأستاذ عبدالله محمد حسين أبو داهش المحاضر في كلية الآداب (جامعة الملك سعود) يتصدى للبحث في الحياة الفكرية في حقبة من الزمن (من سنة ١٢٠٠ هـ إلى ١٣٥١ هـ) في جنوب بلادنا ثم يؤلف كتاباً عن ذلك هو في الأصل رسالة قدمها إلى قسم اللغة العربية في تلك الجامعة بعنوان (الأدب في جنوبي البلاد السعودية) فنال بها درجة (الماجستير في الآداب) في عام ١٤٠١ هـ وهذه الدراسة تتناول منطقتي تهامة وعسير مصدرة بتقديم بقلم الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشامخ جاء فيه (ومما يحمد للمؤلف أنه جمع من الوثائق ما كاد يفنى، واطلع على عدد من المخطوطات التي أوشكت أن تنسى. ولا أريد أن أتحدث عن القيمة العلمية لهذه الدراسة، فهذا شأن النقاد من أرباب الفكر والأدب، ولكنني أود أن أشير إلى ما في البحث من مادة علمية جديدة وإلى ما بذل في سبيل جمعها وإخراجها من جهد مخلص).

وبحمد للمؤلف أيضاً أنه تصدى لجوانب مجهولة لدى كثير من الباحثين فأضاف إلى الدراسات النافعة عن بلادنا مصدراً جديداً جاء في نحو ٤٢٠ صفحة، بطباعة حسنة صدرت عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) عن دار (الأصالة للثقافة والنشر والإعلام) في الرياض ولم يذكر مكان الطبع.